ثائر سلامة (أبو مالك)

مزج الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية

سبيل نهضة المسلمين

الطبعة الثانية: مزيدة ومنقحة

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

الفهرس

(١) الطاقة العربية والطاقة الاسلامية ٣
سبب انحطاط الأمة الاسلامية اليوم ٩
(٢) إعجاز القرآن: إنا جعلناه قرآنا عربيا ١١
(٣) مكانة مزج الطاقتين من الفكر الاسلامي ١٧
(٤) اللغة وعاء الفكر ٣٠
(٥) كيف تعبر العرب عن المسميات ٣٦
الحقيقة: ٣٦
المجاز: أقسام المجاز: ٣٧
المجاز: أولا: التشبيه ٣٩
المجاز: ثانيا: الاستعارة: ٤٤
أركان الإستعارة ٤٨
المجاز: ثالثا: المجاز المرسل: ٥١
المجاز: رابعا: الكناية: ٥٦
أمثلة توضح فهم بلاغة القرآن وإعجازه ٥٨
(٦) معرفة خصائص اللغة شيء من فقه اللغة وسر العربية ٦٥
معاني أسماء الأسد في العربية ٧١
(٧) البلاغة علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني وعلم العروض ١٠٣
علم المعاني: ١٠٣
علم البيان: ١١٠
أركان علم البيان ١١٠

دلالات الألفاظ:.. ١١١
أركان علم البيان.. ١١١
من أمثلة البيان القرآني:.. ١١٣
البديع:.. ١٢١
المحسنات المعنوية:.. ١٢٢
المحسنات اللفظية:.. ١٣٣
التعريب: المعرَّب ١٤٠
الاشتقاق والتصريف:.. ١٤٦
التصريف:.. ١٧٢
نموذج لمزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية ومقارنة بين الشعر والقرآن .١٧٤
أهم معالم البحث: ١٨٢
خاتمة ١٨٧
المراجع: ١٩١

١

الطاقة العربية والطاقة الاسلامية

الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى.

الطاقة لغة: جاء في اللسان: و الطَّوقُ والإطاقة : القدرة على الشيء،، وهو في طَوْقي أي في وُسْعي،، قال: والطَّوْقُ الطاقة أي أقصى غايتهِ وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقَّة منه.

الطاقة: تولد تأثيرا ناتجا عن الكمونة فيها او الحركة فيها.

من خواص الطاقة: التأثير، اللغة العربية: طاقة لأن من خصائصها الذاتية التأثير

الطاقة العربية هي اللغة العربية، الطاقة الاسلامية هي الاسلام بعينه.

مزج الطاقتين: لانه توجد خصائص معينه مشتركة بين اللغة العربية وبين الاسلام اذا ربطنا الطاقتين بخصائصهما المشتركة تتولد قوة عظيمة كفيله بإنهاض المسلمين، كما أن المزج يعني جعل التعبير عن الاسلام باللغة العربية بإمكاناتها الضخمة، بسعتها وتأثيرها لتنقل أعظم فكر يرقى بالانسان لينهض.

أما لم أطلقنا اسم الطاقة وصفا لهذا المبحث:

فعندما تبحث في الفقه فإنك تسمي الباحث فقيها والبحث فقها، وقد نظر المسلمون في المبحث الذي أسموه فقها فوجدوا أساسه الفهم، فهم النصوص وإنزالها على الواقع، فكان أقرب لفظ يليق بهذا المعنى هو الفقه، وكذا الأصول: أصولا وأصوليا، والبحث ردا للمسائل الفرعية إلى أصولها، وأقرب ما يفيد هذا الواقع هو أصول الفقه،

موضع البحث هنا هو ما في الاسلام من قدرة على التأثير والتوسع والانتشار، وهذه الخصائص في الاسلام عبارة عن طاقة كامنة فيه قابلة للتحرك أو الركود حسب اشعال الفتيل

في هذه الخصائص أو إهمالها، وبالمثل اللغة العربية بها هذه الخصائص الذاتية التي هي أقرب ما يصفها أنها طاقة كامنة في اللغة قد تخرج للوجود أو تذوي.

من هنا فأقرب ما يوصف به هذا البحث هو وصف الطاقة العربية والطاقة الاسلامية.

أساس هذا البحث وموضوعه هو الاسلام واللغة العربية، لم اختار الحق سبحانه اللغة العربية وعاء للدين، ما الذي يميزها عن غيرها من اللغات، وكيف أنه لا يمكن فهم الاسلام إلا بها، وكيف السبيل إلى إحياء مفهوم مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية واقعا لتنهض الأمة.

كما أن موضوعه الفكر والوعاء الذي يحتويه، فاللّه سبحانه إنما أراد بالاسلام إخراج العباد من الظلمات إلى النور، بهذه الأفكار التي نزل بها الوحي، سواء العقائد أو الأحكام الشرعية، هذه الأفكار الراقية هي وحدها الكفيلة بإنهاض الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء، وقد اختار الحق سبحانه اللغة العربية وعاء لهذا الفكر، لمزايا وخصائص تمتاز بها اللغة العربية على سائر اللغات، وبطريقة معينة مزج بها الاسلام بين الطاقة العربية والطاقة الاسلامية لو وضعنا يدنا عليها لأمكن أن نوجه بوصلة النهضة التي نطمح إليها الوجهة الصحيحة.

والعقائد والأحكام الشرعية كلها أفكار، فلا إله إلا اللّه فكر (هدى)، و "حرمت عليكم الميتة" فكر والفرق بينهما هو أن الحكم الشرعي متعلق بفعل العبد، أما العقيدة فهي ما طلب الإيمان به، وأما ما طلب فيه العمل فهو من الأحكام الشرعية.

فالعقيدة يقيم الأصولي أفكارها ويصل لأركانها وحقائقها وينصب الدليل عليها من النظر في الكون والإنسان والحياة، وبالتالي ينتج بحثه أفكارا، قابلة للاعتقاد، والفقيه يبحث في مصادر التشريع ليستنبط منها حكما شرعيا، فينظر في الأمارات ليثبت أن الحكم موجود فيها، وما ينتجه بحثه هو أفكار قابلة للتطبيق.

الإنسان بين النهضة والانحطاط

يقول الحق سبحانه وتعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)الاسراء

لا شك أن تفضيل الانسان على سائر المخلوقات إنما لأنه يعقل، وأن التفاضل بين الناس إنما باستعمال الانسان لهذا العقل بما يرقى بسلوكه ويقيم علاقاته بغيره، عامرا ومفسرا للكون.

ولا شك أن الانسان الناهض **الراقي** كما الأمة الناهضة، ليس إلا الانسان المفكر والأمة المفكرة، **وأن ما يقابله هو الانسان المنحط.**

وقد قيل أن الحق سبحانه قد أودع في الانسان العقل دون سائر المخلوقات، وأودع الغرائز في الانسان والحيوان، فإن غلب الانسان عقله على غرائزه ارتقى لأرقى من درجة الملائكة، وإن غلب غرائزه على عقله انحط لأسفل من البهائم، قال تعالى "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)" الأعراف

وهذه حقيقة، إذ أننا نعلم أن النهضة هي الارتفاع الفكري فحسب.

وبالمثل فإن الأمة الناهضة هي التي تفكر وتعي، وهي التي وصلت إلى مبدأ يتمثل في عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام يصوغ حياتها.

قلنا أن الانسان كائن مفكر، والفكر حكم على الواقع، ووعاء هذا الفكر اللغة، فاللغة ليست فكرا وإنما هي أداة للتعبير عن هذا الفكر. ولا بد للفكر الراقي من إناء راق يعيه

وثمة معياران مهمان متلازمان تتمثل بهما النهضة في الانسان كما في الأمة:

أولهما: وجود المبدأ (**حمل المبدأ**، **وفهم المبدأ**، **وتطبيقه)**.

وثانيهما: المكانة التي تحتلها الدولة في العالم نتيجة حملها المبدأ.

أما حمل المبدأ وتطبيقه وفهمه فإن النظرة البسيطة إلى الانسان تبين أنه يتميز بعقله وأن سلوكه يدل على ارتفاعه أو انخفاضه، وأن سلوكه مرتبط بمفاهيمه ارتباطا حتميا لا ينفصل عنها، وأنه يرقى برقي هذه المفاهيم وينحط بانحطاطها.

فمعيار النهوض أو الانحطاط في الانسان كما في الأمة هو السلوك وتنظيم العلاقات، وهذه كلها ليست إلا نتاج الفكر، فبارتقاء هذا الفكر يرقى الانسان وترقى الأمة وبهبوطهما ينحط.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)

الأمة الاسلامية اليوم تعاني من أمرين:

أولهما: الإنحطاط: وهو نقيض النهضه، وناتج عن عدم وجودها.

وثانيهما: الهبوط عن المستوى اللائق بها – أي مقدار تأثير العالم الاسلامي في السياسة والموقف الدولي.

" نتيجة لحمل المبدأ الاسلامي حملا صحيحا: المكان اللائق هو القمة لو صاحبه فهم وتطبيق له "

سبب الانحطاط: انعدام الفهم الصحيح للمبدأ الاسلامي، او عدم حمل المبدأ او إساءة حمله.

قد تكون الدول ناهضة ولكن لا مستوى لها دولياً "المانيا".

العالم الاسلامي في انحطاط ونتيجة لذلك هبط عن المستوى اللائق به.

وهنا لا بد من لفت الأنظار إلى مسألة مهمه: وهي أن كثيرا من المسلمين يظن أن النهضة تحصل إذا ما أقيمت الدولة الاسلامية، والصواب أن ذلك هو المرحلة الضرورية لمشروع النهضة ولكن الذي يمكّن المسلمين من النهضه وسبيلها القويم هو مزج الطاقتين، بوضع الاسلام موضع التطبيق وإنزال أحكامه على الوقائع وحمل مفاهيمه ونشرها.

قلنا أن النهضة في الأمة تكون نتاج أمور ثلاثة مجتمعة: حمل المبدأ أي العقيدة العقلية التي ينبثق عنها نظام أي عقيدة الاسلام والنظام الاسلامي معها،، وفهم المبدأ،، وتطبيق المبدأ،، عندها يحصل النهوض.

الأمة الاسلامية يوجد لديها الاسلام عقيدة ونظام حياة (وهو اليوم مغيب عن واقعها موجود في صدورها) ما زالت عليه الغشاوة والأدران والأشواك الناتجة عن خلطه بغيره وعن عدم صفاء فهمه.

فهم الاسلام هو المحور الأساس في هذه النقاط الثلاث، لأن فهم الاسلام يعني إخلاص الأمر لله والدعوة إليه على بصيرة، والوعي على أوامره ونواهيه، وتسيير الحياة بها، والمبدأ إن فهم وسكن الصدر فلا بد أن يتحول إلى طاقة فاعلة تنتج أعمالا وواقعا ناهضا. وطريقة فهم الاسلام الوحيدة هي مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية لفهم الاسلام بلغته، ومن ثم عندما يفهم الاسلام يكون محمولا لدى الأمة تحمله في نفسها ولغيرها من الأمم، وبقيام الدولة الاسلامية التي تطبقه يحصل التطبيق.

فتجتمع العناصر كلها فتنهض الأمة، عقيدة الاسلام ونظامه في قلوبها وفي واقع حياتها وتحمله للأمم الأخرى قوة هذه النهضة مرتبطة بقوة هذه العناصر.

بقدر ما يكون الفهم دقيقا صافيا خاليا من الأدران يكون أثره في الأمة أكبر وأكثر فاعلية، وبقدر ما تجاهد في حمله بقدر ما ينتشر وترقى بانتشاره وبقدر ما تطبقه في واقعها ولا ترتضي معه غيره بقدر ما تسمو.

المانيا تحمل المبدأ الرأسمالي ولكن لا أثر لها في الساحة الدولية يؤهلها للعب دور طليعي في السياسة الدولية،، والمشاهد المحسوس أن قراراتها بشكل أو بآخر تابعة ذليلة، فهي ناهضة ولكن نهضتها لا تليق بها،،

كذلك الأمة الاسلامية بحملها وتطبيقها لمبدأ الإسلام بعد أن تفهمه المكان اللائق بها هو القمة

توشك أن تداعى عليكم الأمم.... إلى أن قال: ولكنكم غثاء كغثاء السيل، أمم تتصارع على مركز الدولة الأولى في العالم وتنهش بعضها بعضا القوي يأكل الضعيف، الذي له وزن في السياسة الدولية هو القوي الناهض، والضعيف المنحط الذي لا حيلة له هو غثاء السيل.

فالنهضة يصاحبها اقتعاد المقعد اللائق بالأمة بحسب المبدأ الذي تحمله وبالتالي: فمزج الطاقة العربية بالاسلامية هو الخطوة الأولى الضرورية التي لا تتخلف للنهضة مصحوبة بقيام الدولة الاسلامية التي ستطبق المبدأ وتحمله للناس كافة.

سبب انحطاط الأمة الإسلامية اليوم

سبب الانحطاط: الضعف في فهم الاسلام، فلم تعد الأمة الاسلامية تفهم الاسلام فهما دقيقا بل حولته إلى دين كهنوتي، في حين أن العقيدة الاسلامية عقيدة سياسية منبثقة عن عقيدة روحية.

سبب عدم فهم الاسلام هو إهمال اللغة العربية، جاء في كتاب مفاهيم حزب التحرير:

.... أما سبب انحطاطه (العالم الاسلامي) فيرجع إلى شيء واحد هو الضعف الشديد الذي طرأ على الأذهان في فهم الاسلام، وسبب هذا الضعف هو فصل الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية حين أهمل أمر اللغة العربية في فهم الاسلام وأدائه منذ أوائل القرن السابع الهجري، فما لم تمزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية بأن تجعل اللغة العربية – التي هي لغة الاسلام- جزءا جوهريا لا ينفصل عنه فسيبقى الانحطاط يهوي بالمسلمين، لأنها الطاقة اللغوية التي حملت طاقة الاسلام فامتزجت بها، بحيث لا يمكن أداء الاسلام أداء كاملا إلا بها، ولأن بإهمالها سيبقى الاجتهاد في الشرع مفقودا، ولا يمكن الاجتهاد في الشرع إلا باللغة العربية، لأنها شرط أساسي فيه، والاجتهاد ضروري للأمة لأنه لا تقدم للأمة إلا بوجود الاجتهاد. انتهى

مفهومان:

فصل الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية، أدى إلى الانحطاط والهبوط عن المستوى اللائق

ومزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية، كطريق للنهضه والارتقاء للمستوى اللائق.

قبل الخوض في مسألة مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية لا بد من التطرق لمسألة، وهي أن حزب التحرير يحيي أفكارا قديمة كفكرة الخلافة.

وقد يصحح مفهوما قديما، كمفهوم فرض الكفاية، أو الروح والناحية الروحية.

وقد يأتي بأفكار جديدة كفكرة مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية وهو مفهوم جديد، وإن كان واقعه معروفا وحيًّا منذ القدم دونما بلورة، وكمفاهيم الشخصية، العقلية، النفسية، التفكير.

مزج الطاقتين: جعل اللغة العربية بما فيها من قدرة على التأثير والتوسع والانتشار هي المعبرة عن الاسلام بما فيه من قدرة على التأثير والتوسع والانتشار.

مفهوم مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية:

مزج في اللغة: جاء في لسان العرب: مَزْجُ الشرابِ: خَلْطُه بغيره

ومزج في كتب الحزب بمعاني: ١- التسيير: مزج المادة (الاعمال) بالروح: تسيير الاعمال حسب أوامر اللّه ونواهيه ضد فصل المادة عن الروح: عند العلمانيين

٢- الخلط: خلط الشيئين، مزج الدوافع بالمفاهيم لتكوين الشخصية.

٣- التعبير: مزج الطاقة العربية بالاسلامية: جعل اللغة العربية معبرة عن الطاقة الاسلامية.

٢

إعجاز القرآن: إنا جعلناه قرآنا عربيا

ولا شك أن معجزة الرسول الكريم هي القرآن، ولا شك أنها معجزة ليست مقصورة بحال على العرب دون غيرهم، فهي الدليل الساطع والبرهان القاطع على صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالتالي الدليل على صدق الاسلام، ونحن نعلم يقينا أن الاعجاز الذي تحدى به رب العزة سبحانه الخلق كافة هو أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة من مثله، والإعجاز خرق للعادة وللقوانين الكونية يجريه الله على يد مدعي النبوة تصديقا له على ادعائه، مع توفر العجز في أن يأتي الـمُتَحَدَّون بمثل هذا الخرق، ولم يتحد الله سبحانه الخلق بما في القرآن من شواهد علمية، فهي بلا شك تصدق الرسول وتثبت أن القرآن من لدن عليم خبير، فهي أدلة وليست معجزات، لأنه لم يتحد بهن، وليس الأمر موضع تحد، كما أن الحديث الشريف احتوى أمثالها، فلم تقتصر على القرآن الكريم، فليست هي موضع الاعجاز، وليس التشريع أيضا هو محل الإعجاز، فلقد احتوت السنة مثل ما في القرآن منه، ولم يجر التحدي به، ولقد فهم المسلمون كما الكفار الذين خوطبوا بهذه المعجزة أن التحدي أن يصوغوا سورة مثله، أي أن موضوع التحدي هو هذا الفكر الراقي المعبر عنه بهذه اللغة الراقية بنحو راق لا يرقى إليه ولا إلى شيء منه بشر ولا كل البشر.

من هنا لو سألتكم وقلت لكم ما هو الوجه الوحيد لإعجاز القرآن الكريم؟؟ لن يتردد البعض بالإجابة بقوله البلاغة،، وقد يقول بعضهم النظم،، على مستوى السورة وقد يجيب آخرون ليس وجها وحيدا بل وجوها منها العلم،،

لكن لو سألتموني هذا السؤال لقلت لكم:

وجه اعجاز القرآن الكريم هو: مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية.

قال الشيخ تقي الدين النبهاني في كتاب الشخصية الاسلامية الجزء الأول:

وهكذا تجد القرآن طرازاً خاصاً، وتجده ينـزّل كل معنى من المعاني في اللفظ الذي يليق

به، والألفاظ التي حوله، والمعاني التي معه، ولا تجد ذلك يتخلف في أية آية من آياته. فكان إعجازه واضحاً في أسلوبه من حيث كونه طرازاً خاصاً من القول لا يشبه كلام البشر ولا يشبهه كلام البشر. ومن حيث إنزال المعاني في الألفاظ والجمل اللائقة بها، ومن حيث وقع ألفاظه على أسماع من يدرك بلاغتها ويتعمق في معانيها فيخشع حتى يكاد يسجد لها، وعلى أسماع من لا يدرك ذلك فيأسره جرس هذه الألفاظ في نسق معجز يخشع له السامع قسراً ولو لم يدرك معانيه. ولذلك كان معجزة وسيظل معجزة حتى قيام الساعة. انتهى

تلاحظ أن القرآن الكريم تحدى العرب والخلق كافة على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله

هل المثل هنا فقط الشكل؟ أم النظم؟ أم الأسلوب الفريد في البلاغة؟ أم أنه نمط جديد من الأدب؟

الجواب هذا جزء من "مثله"

ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثل نظمه، ولا بمثل أسلوبه، ولا بنمطه في الأدب والبلاغة، إضافة إلى أن أحدا لن يأتي بمثله في المفاهيم المقولبة بهذا القالب الفريد!!، فهو معجز في هذا كله.

وما أراه هو أن اللغة وعاء الفكر أي أنها قالب،، فالنظم قالب،، والأسلوب من القالب والتحدي ليس بحال مقتصرا على الوعاء دون الفكر المسبوك سبكا في هذا الوعاء، وإن كان كلاهما معجزا.

كما ان الذي ينهض بالانسان ويرقى به هو الفكر فما بالكم بهذا الفكر الكلي العقلي المناسب للفطرة؟ لا شك أن أفكار العقيدة الاسلامية وما انبثق عنها من نظام هي الأقدر على أن ترقى بهذا الانسان ليصبح أكرم المخلوقات، فالتحدي أن يأتوا بمثل هذا القرآن بما حواه من عقيدة قادرة على أن تنتج الانسان الأرقى مسبوكة بألفاظ وبيان فني فريد جديد لا يقدر أحد أن يأتي بمثله لا شكلا ولا مضمونا والمتأمل في كتاب اللّه تعالى يرى المزج بين الطاقتين في كل موضع من القرآن:

"والعاديات ضبحا فالموريات قدحا"،، الآيات،، ترسم صورة سنأتي عليها لاحقا ان شاء اللّه لكن الهدف ليس فقط صرف الأنظار إلى هذه الطاقة اللغوية الهائلة المتمثلة بصور وأخيلة وموسيقى وتناسق فريد:

لا بل المقصود هو ما أتى وراءها: "إن الانسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور؟؟؟ وحصل ما في الصدور؟؟؟ إن ربهم بهم يومئذ لخبير"،هذا هو الغرض من السورة،، تتمحور السورة حول: "إن ربهم بهم يومئذ لخبير" هنا مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية وهنا الاعجاز يأتي بك ليستدرجك بأسلوب فني بليغ راق مسبوك سبكا لا مثيل له ليعطيك معنى ومفهوما راقيا هو مفهوم أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور،، إن ربهم بهم،، يومئذ لخبير". يعني يوظف اللغة والطاقة اللغوية توظيفا معينا ليهيء الأسماع لاستقبال مفهوم يبلور طاقة اسلامية هي المغزى والمقصود من القرآن.

وابحث في أي موضع من كتاب اللّه تعالى لترى عين ذلك.

كما أنه يجب التنبه هنا إلى أن الوظيفة الأساسية للقرآن ليس تهييج العواطف والانفعالات عبر الصور والأداء الفني وتوظيف البلاغة، كما هو الحال في الشعر، وإنما الهدف هو الرقي بالانسان بهذه الأفكار، فالبلاغة ما هي إلا وسيلة للوصول إلى الغاية، ولقد كانت الفجوة بين الشعر والقرآن بهذه البلاغة وحدها بالغة العمق والاتساع، اتساعا لا يطمح معه أبلغ البلغاء ولا أفصح الفصحاء أن يرقى لما يقارب شيئا منه مهما اجتهد، فكأنما موضع الثرى من الثريا، فإذا انضمت لها المفاهيم القرآنية، والهدي الذي نزل به، أضحت الفجوة هوة لا يتسع الكون كله ليبلغ مداها!!

السنة النبوية حوت الطاقة الاسلامية،، لكن المزج بينها وبين الطاقة العربية لم يكن كالذي في القرآن وبالتالي فلا إعجاز.

والسؤال: لم اختار الحق سبحانه مادة المعجزة وموضوعها مما اتصل باللغة العربية، بل لعل أهم ما في المعجزة أنها تحدت العرب العرباء أن يأتوا بمثل سورة من القرآن؟

ثم ما موقع غير العرب من الإعراب في خضم هذا التحدي، بل ما موقع العرب اليوم ممن غلبت العجمة على ألسنتهم، وما عادوا يتقنون من لغتهم إلا النزر اليسير، علاوة على أن يأتوا بمثل سورة قصيرة منه!!

لم اختار الحق سبحانه العربية موضعا وموضوعا للتحدي الذي تحدى به الخلق كافة؟؟

لقد تحدى الرب سبحانه قوم موسى عليه السلام بالسحر وقد أحاطوا به خبرا، وليس السحر بالأمر الذي يمكن أن يوصف بحال من الأحوال أنه من أهم ما أنتج العقل البشري

وتحدى قوم عيسى بالطب، ولم يكونوا بحال قد بلغوا فيه ذروة عالية ولا قمة شاهقة، إلا أنه تحداهم به، وتحدى أقواما بعجيب خلقه، لما نحتوا الجبال الشوامخ بيوتا، أخرج لهم من بين الصخر ناقة تثبت لهم أن قدراتهم ليست بشيء أمام قدرة الخالق على الخلق، أوقد قوم إبراهيم عليه النار التي بلغت عنان السماء فأبطل الله خواصها، وليست قدرتهم بشيء.

فما شأن اللغة العربية الذي جعلها أهلا لأن تكون موضوع أهم معجزة تحدى الله بها الخلق كلهم؟؟ ولا بد من التركيز على أن التحدي لم يقتصر على قوم، بل هو للخلق كلهم جنهم وإنسهم ومنذ بعثة محمد عليه السلام إلى قيام الساعة، على أن يأتوا بسورة من مثله، فما السر الذي ميز العربية على السحر وعلى العلم وعلى الطب وعلى العمارة وعلى سائر ما أنتج البشر في رحلة حياتهم في الدنيا؟

لا شك أن العربية هي أرقى ما أنتج العقل البشري على الإطلاق من اللغات التي هي أوعية قادرة على حمل الفكر الذي به يرقى البشر!!

وأن الاسلام أرقى ما يليق بهذا الانسان من فكر قادر على أن ينهضه وأن يجعله يعمر الكون بأفضل ما يكون الاستخلاف!!

فكان موضوع مزج هذا الفكر الراقي بهذا الوعاء الراقي هو موضوع إعجاز القرآن ووجهه الوحيد وبه تحدى الخلق كلهم، وهو أصدق ما ينطبق عليه وصف المثل في قوله "من مثله".

أما الذي يجهل شأن الاسلام كفكر عظيم أو الذي يجهل شأن العربية كوعاء عظيم فدواء العي السؤال والعلم، وفي هذا يستوي الأعمى والبصير والعربي والأعجمي، وشواهد التاريخ

حافلة بعرب أصلهم من العجم قعّدوا لهذه اللغة قواعدها وأبدعوا فيها ما نعلم، وما يقيم هذا ولا يبينه ويبرزه شيء كدولة تجعل الاسلام دينها ولا تشرك معه غيره، وتجعل العربية لغتها ولا تشرك معها لغة غيرها، فتمزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية فينغمس العرب فيها مع العجم في سباق على مزج الطاقتين – الأمر الوحيد الكفيل بالنهوض بالانسان – عربيا كان أم أعجميا، وإنما العربية اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي.

وسنحاول في هذا البحث المتواضع أن نبرز ما نقدر عليه من ميزات وخصائص جعلت العربية أرقى وعاء أنتجه البشر وأقدر حامل على حمل هذا الدين العظيم.

فالحق سبحانه أنزل كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، وحياً ناطقًا َببينات وحجج،، قرآناً عربياً غير ذي عوج، اختص رسول الله بالتدليل على صدق رسالته باصطفائه سلام الله عليه من بين قوم أولي بلاغة فلم يدع شعباً من شعوبهم ولا بطناً من بطونهم ولا فخذاً من أفخاذهم من شعراء مفلقين وخطباء مصاقع[١] وأدباء مطبوعين، وكتابا بارعين، يرمون في حدق البيان عند هدر الشقاشق[٢] ويصيبون الأعراض بالكلم الرواشق إلا أعجزه وأذله وحيره في أمره وأعله.

أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم،،

على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء،، وأوفر عدداً من رمال الدهناء،، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة[٣] والمضارة،،[٤] والقائهم الشراشر[٥] على المعازة[٦] والمعارة[٧]،، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط، وركوبهم في كل ما

[١] مصاقع: الخطباء الذين أورثوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال بالسليقة من غير تصنع ولا ارتجال

[٢] وشقَّقَ الحطَبَ: شقَّهُ فَتَشَقَّقَ، الكَلامَ: أَخْرَجَهُ أحسنَ مَخْرَجٍ

[٣] وضَدَّه في الخُصومَةِ: غَلَبَه

[٤] الضَّرُّ، ويضم: ضِدُّ النَّفْعِ، وأضَرَّه وضارَّه مُضارَّةً وضِراراً.ضارَّه ضِراراً ومُضارَّةً: إذا خالَفَه.

[٥] وشَرَّه شُرّاً، بالضم: عابَه،

[٦] وعَزَّه، كمَدَّه: غَلَبَهُ في الـمُعازَّةِ، والاسمُ: العِزَّةُ، بالكسر، كعَزْعَزَه، و في الخِطَابِ: غالَبَه، كَعازَّهُ.

[٧] وعارَّ وعِراراً: صاح.

يرومونه الشطط،،[٨] إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر، وقد جرد لهم الحجة أولاً، والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده.

على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تُمضِ الحجة حده،،[٩] فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب[١٠].

جاء القرآن بنظم فني فريد، حمل أرقى المعاني على راحلة أرقى الألفاظ، فكانت العربية خير وعاء لأدق مفاهيم، كلما تأملت آية من كتاب اللّه ومض بريق معنى جديد، واستطعت أن تنزلها على واقع جديد بنحو فريد، وكلما قرأت سوره ازددت شوقا لقراءة المزيد، على العكس مما يكتبه الخلق تمله الأنفس بعد حين، لم يهبط بيانا ولا سف أسلوبا ولا انخفض عن شاهق قمته ولا بحرف واحد من حروفه، وإنك لن تستطيع أن تبدل كلمة واحدة من كلماته بنظائرها من العربية دون أن تنحدر بالمعنى وتنخفض، قال تعالى: "تلك إذن قسمة ضيزى"

تأمل لو قلنا: تلك إذن قسمة مجحفة أو غير عادلة أتعدل كلمة ضيزى؟

العربية فيها أسرار وأسرار جعلتها وعاء أمينا يحفظ الاسلام، وجعل الاسلام لباسا لها وهي لباس له.

---

[٨] ويقالُ: رجلٌ شاطٌّ، بَيِّنُ الشَّطاطِ والشَّطاطَةِ والشِّطَاطِ، بالكسر: وهو البعيد ما بين الطَّرَفَيْن.
وشَطَّطَ تَشْطِيطاً: بَالَغَ في الشَّطَطِ وقُرئ ولا تُشَطِّطْ وتُشْطِطْ وتَشْطُطْ، وتُشاطِطْ أي: لا تُبْعِدْ عن الحَقِّ.
وأشَطَّ في الطَّلَبِ: أمْعَنَ،
[٩] أي إن لم يصحب السيف البيان فلا يعدو عن أن يكون لاعبا
[١٠] لعل الكواكب التي تعلقت بالبحر إما الجبال أو المحابس

٣

مكانة مزج الطاقتين من الفكر الاسلامي

قلنا أن اللغة العربية فيها خصائص ثلاث جعلتها أهلا إذا ما امتزجت بخصائص الاسلام المماثلة لها بأن يتشكل من المزج للطاقتين طاقة كفيلة بإنهاض المسلمين، كما أهلتها لأن تصلح للتعبير عن الاسلام.

والناظر المدقق في مفهوم مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية يرى بوضوح أن المزج أولا احتل مكانته السامقة من خلال أن وجه الاعجاز للقرآن الكريم هو ما مثله هذا المزج كما مضى بيانه.

والصعيد الطيب الثاني الذي يهمنا في مسألة مزج الطاقة العربية بالاسلامية هو دقة المفاهيم

فكما قلنا تحميل الأفكار الدقيقة على راحلة الألفاظ الدقيقة التي تعطي المعنى بدقة:

مثلا: الشك، الظن، الوهم، التكذيب، التصديق، الايمان، الاعتقاد، الظن الغالب، السبب، العلة.

فلو عرفت الايمان بقولك الظن الراجح مثلا لما استقام التعريف لأن راحلة لفظة الظن لا يمكن لمفهوم الايمان أن يمتطيها دون أن تنوء بحمله فيقع!! فالمفهومان لا يلتقيان.

ومن ذلك مثلا: ما نراه اليوم من حملة يقوم بها الغرب لإلباس المفاهيم الاسلامية غير لبوسها: فالربا أصبح الفائدة حتى يتغير المفهوم لدى الناس بفصل الطاقة التي تحملها كلمة الربا وكلمة الحرام عن مفهومهما الاسلامي فتفصل الطاقة التي تؤثر في نفوس المسلمين، فلا يعود لوقع كلمة الحرام في نفوسهم الوقع المطلوب فيسهل أن يتلاعبوا بالدين نتيجة فصل مفهوم بلغ بنفوس المسلمين الأولين مبلغه، كنت إذا قلت لهم (حرام) ارتعدت فرائصهم.

وبالمقابل إضعاف الطاقة الاسلامية أيضا المتمثلة في المفاهيم، يمثله إدخال الغرب الديمقراطية وغيرها من المصطلحات في ضوء فصل مفهوم الشورى لدى المسلمين عن الواقع أي أن وهج الطاقة الاسلامية الذي يحمله هذا المفهوم خبا، وذلك ناتج عن ضعف فهم الاسلام فاختلط لدى المسلمين الحابل بالنابل وغير ذلك من الأمثلة.

ثم إن المتأمل لكتاب اللّه يرى أن الأساس فيه عقيدة عقلية ونظام منبثق عنها،، أما العقيدة فميزتها الأساسية أنها أفكار مبلورة بشكل دقيق، وهي مفاهيم ترقى بالانسان،، ولا شك أن الغاية العظمى التي أنزل اللّه سبحانه القرآن من أجلها هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور،، أي الرقي بالانسان ليكون كما أراده اللّه تعالى أرقى المخلوقات،، فهذا الفكر الدقيق المستنير العظيم الصالح للنهضة لا بد له من وعاء يصلح لأن يكون قادرا على إبراز هذه الأفكار وبلورتها بشكل دقيق فكان لا بد من لغة فيها ميزة أن لسانها مبين أي قادر على الإحاطة بدقة المفاهيم،، والإبانة لما فيها من أفكار راقية،، لذا كان اختيار القرآن الكريم كما وصفه الرب سبحانه "بلسان عربي مبين" تأمل كيف يقرب اللّه سبحانه مفاهيم ما وراء الطبيعة للناس باللسان العربي الذي يحوي قدرات جسيمة من اشتقاق ومجاز وطاقات هائلة،، فتراه يصف مثلا إحياء الموتى يوم القيامة بالتصوير الفني الراقي:

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

وعندما يصف الآخرة يقربها إليك مستغلا الطاقة العظيمة الموجودة في اللغة العربية:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ (١٥)

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)

أمر آخر مهم في قضية العقيدة: الدقة المتناهية في بلورة المفاهيم مستغلا البلورة الدقيقة للألفاظ في العربية، فمفهوم الايمان مثلا هو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل، يفترق الايمان عن التصديق بأمور كثيرة جعلت له مفهوما دقيقا لا يؤديه غير لفظ الايمان، فالايمان والتصديق ليسا مترادفين، فالتصديق يستعمل في كل خبر فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة؛ مثل الواحد نصف الاثنين والسماء فوق الأرض مجيباً صدقت، وصدقنا بذلك، ولا يقال آمنا لك ولا آمنا بهذا **حتى يكون المخبر به من الأمور الغائبة**، ونحوها **مما يدخلها الريب** فإذا أقر بها المستمع قيل آمن بخلاف لفظ التصديق فإنه عام متناول لجميع الأخبار، وكذلك **لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام** بخلاف لفظ التصديق المجرد فمن أخبر الرجل بخبر لا يتضمن طمأنينة إلى المخبر لا يقال فيه آمن له بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر، والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه فإذا تضمن طاعة المستمع لم يكن مؤمناً للمخبر إلا بالالتزام طاعته مع تصديقه، كما بين ابن تيمية رحمه الله.

مثال آخر يجلي الأمر لنا: مفهوم الظن في القرآن الكريم: فقد ذهب المفسرون مذاهب شتى وتفرقوا طرائق قددا في الآيات التي نزل فيها الظن بموضع اشتبه عليهم فيه أنه بمعنى اليقين كقوله تعالى: "الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون" وقوله "إني ظننت أني ملاق حسابية" وقوله "ورآى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا" ولو تنبهوا إلى أمر خطير مهم وهو أن القرآن الكريم مزج الطاقتين مزجا محكما مستغلا الدقة في لفظة الظن التي لا تؤديها لفظة اليقين في تلكم المواضع لما اشتبه عليهم الأمر ولما ذهبوا إلى التأويل البعيد عن الصواب الذي ذهبوا إليه من أن الظن من الألفاظ المتضادة وأنه يأتي بمعنى اليقين أو الشك،، وأبسط مثال ندحض به نظريتهم هو آية الكهف السابقة "ورآى المجرمون النار فظنوا" فالحق سبحانه أتبعها بقوله "ولم يجدوا عنها مصرفا" ومن يبحث عن المصرف أو المخرج لا يتصور أنه موقن، وإلا فما فائدة البحث عن المخرج لولا أن في نفسه أمل ولو تضاءل في أن له منها مخرج، وهو ما تفترق به لفظة الظن عن اليقين.

وقد أثبت الأمر في كتاب آخر أسميته مفهوم الظن في القرآن الكريم وعلاقته باليقين تتبعت فيه القضية في كل آي القرآن وفي جل كتب التفسير وأثبت فيه أن الظن لا يمكن أن يكون في هذه الآيات بمعنى اليقين أبدا.

أما على صعيد النظام: فلو أن الاسلام جاء بلغة غير العربية لاحتاج إلى مجلدات ضخمة حتى تتسع للتشريع الذي نزل بأقصر الجمل وأقدرها على التعبير وأقدرها على أن تكون وعاء لأحكام متعددة لا تحصر في نطاق السبب الذي نزلت به الألفاظ، فالعبرة بعموم اللفظ مثلا، فترى أن آية واحدة كقوله تعالى "فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ" وهي جزء من آية يمكن منه استنباط فقه كامل يتناول جانبا هاما من النظام الاقتصادي في الاسلام، وينسحب على الرضاعة وعلى الأجير وعلى غير ذلك من الأحكام،،

ومثلا "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا" أخذنا منها أحكام الحياة العامة والخاصة بتفصيلاتها.

"وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ" من هذه الآية استنبط الأصوليون قاعدة الوسيلة إلى الحرام محرمة، فتأمل كم من باب في الفقه دخلت، وكم واقع نزلت عليه فبينت.

قال الحاكم في كتاب مناقب الشافعي: من لطيف استنباطه ما رواه محمد بن جرير الطبري عن الربيع قال: كان الشافعي يوما بين يدي مالك بن أنس، فجاء رجل إلى مالك فقال: يا أبا عبد الله إني رجل أبيع القمري، وإني بعت يومي هذا قمريا، فبعد زمان أتى صاحب القمري فقال: إن قمريك لا يصيح، فتناكرنا إلى أن حلفت بالطلاق أن قمري لا يهدأ من الصياح، قال مالك: طلقت امرأتك، فانصرف الرجل حزينا، فقام الشافعي إليه وهو يومئذ ابن أربع عشرة سنة وقال للسائل: أصياح قمريك أكثر أم سكوته؟ قال السائل: بل صياحه، قال الشافعي: امض فإن زوجتك ما طلقت، ثم رجع الشافعي إلى الحلقة فعاد السائل إلى مالك وقال: يا أبا عبد الله تفكر في واقعتي - تستحق الثواب - فقال مالك - رحمه الله -: الجواب ما تقدم، قال: فإن عندك من قال: الطلاق غير واقع، فقال مالك: ومن هو؟ فقال السائل: هو هذا الغلام، وأومأ بيده إلى الشافعي، فغضب مالك وقال: من أين هذا الجواب؟ فقال الشافعي: لأني سألته: أصياحه أكثر أم سكوته؟ فقال: إن صياحه أكثر، فقال مالك: وهذا الدليل أقبح، أي تأثير لقلة سكوته وكثرة

صياحه في هذا الباب؟ فقال الشافعي: لأنك حدثتني عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس: أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن أبا جهم ومعاوية خطباني فبأيهما أتزوج؟ فقال لها: أما معاوية فصعلوك، **وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه** وقد علم الرسول أن أبا جهم كان **يأكل وينام ويستريح**، فعلمنا أنه عليه الصلاة والسلام عنى بقوله: لا يضع عصاه عن عاتقه على تفسير **أن الأغلب من أحواله ذلك**، فكذا هنا حملت قوله: هذا القمري لا يهدأ من الصياح أن الأغلب من أحواله ذلك. فلما سمع مالك ذلك تعجب من الشافعي ولم يقدح في قوله البتة .

(وأما معاوية فصعلوك) بضم الصاد (لا مال له) قال النووي: في هذا الحديث استعمال المجاز وجواز إطلاق مثل هذه العبارة، فإنه قال ذلك مع العلم بأنه كان لمعاوية ثوب يلبسه ونحو ذلك من المال المحقر، وأن أبا جهم كان يضع العصا عن عاتقه في حال نومه وأكله وغيرهما، ولكن لما كان كثير الحمل للعصا، وكان معاوية قليل المال جدا جاز إطلاق هذا اللفظ عليه مجازا.

وهذا يقودنا للمحور الثالث: وهو التوسع: فالفقه يقوم على التوسع وعلى القدرة على احتواء ما يستحدث من قضايا إلى قيام الساعة، وهذا ما تضمنه الألفاظ العربية بقدرتها على أن تفهم أفهاما متعددة صالحة للإسقاط على وقائع وقضايا مختلفة، مما يبقي الاسلام صالحا للتطبيق إلى قيام الساعة، فالتوسع في الاسلام يمتزج مع التوسع في اللغة، سواء على صعيد أن العربية بها المجاز والاشتقاق والتعريب والترجمة، وبالتالي القدرة على الاتساع، فلا تعجز عن مواكبة التطور في عجلة الحياة، كذلك القدرة على التوصيف للوقائع بأقل الألفاظ وأنسبها بما يضمن اتساعا لا يخرج عن مقصود الشارع من الحكم، أي فيها من الضوابط ما يجعل اجتهاد المجتهد لا يخرج عن الانضباط بمعاني تؤديها الألفاظ بشكل معين،

ولشرح ذلك نرى أن بعض المسلمين اليوم يذهب إلى مسألة "روح النص" هكذا يسمونها، فيشتط في استخراج ما يحلو له من فتاوى مدعيا أن هذا من روح النص، مع أن الألفاظ قد لا تؤدي هذه المعاني التي وصل إليها، وبالتالي فلو أنه فهم أن الاجتهاد مقيد بهذه الألفاظ ومدلولاتها لخرج برأي فقهي صواب قابل للخطأ.

وهذا يفضي بنا إلى المحور الرابع لمزج الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية وهو الاجتهاد!! وبالتحديد مفهوم أن العقيدة الاسلامية عقيدة سياسية لأهمية هذا المفهوم.

لقد أدى فهم الاسلام والعربية لغته الفهم الدقيق إلى نهضة فكرية فقهية ما لها مثيل في تاريخ البشرية، فرب فقيه يسمع حديثا يستنبط منه عشرات الاحكام الشرعية بينما لا نكاد نفقهه اليوم!!

من هنا فكانت العقيدة الاسلامية بحق عقيدة سياسية تسير الناس في الدنيا بناء على وجهة نظر الاسلام في الحياة، فلما فصلت الطاقتان أصبح الواقع في واد والاسلام في واد، فانتشرت بسهولة فكرة أن العقيدة الاسلامية روحية فقط.

إذن فقد كان جراء فصل الطاقة العربية عن الاسلامية قفل باب الاجتهاد وبالتالي وقائع لا حصر لها تحتاج حكما شرعيا يسير المسلمون على أساسه مما خلق هوة واسعه بين الواقع وبين الاحكام الشرعية وبالتالي خلق ضعفا عاما في الالتزام بالاسلام وبتسيير الاعمال وفقا للأحكام، وهو ما نسميه العقيدة السياسية أي التي تسوس الناس بالاسلام.

ذكر الشافعيّ أنّ على الخاصَّة الّتي تقومُ بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلّم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصُّل إلى معرفة ما في الكتاب والسُّنن والآثار، وأقاويل المفسّرين من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة، والمخاطباتِ العربيّة، فإنّ من جَهِلَ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها جَهِلَ جُملَ علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذاهبها، وفَهِم ما تأوّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الدَّاخلةُ على من جَهِلَ لسانها من ذوي الأهواء والبدع. الأزهري،التهذيب ١/ ٥ (المقدمة).

وخامسا: يكون المزج على صعيد التأثير ويهمنا منه هنا حمل الدعوة الاسلامية، وشتان بين حامل دعوة يسحر الألباب بيانه، ويملك نواصي القلوب بمزجه ما بين الفكر الراقي ولمسه المشاعر ليحرك العقل والقلب معا فلا يملك سامعه إلا أن يسلمه قياد أمره ويسير معه في ركبه.

لا بل وأزعم أنه قد يختلف معه في الرأي ولكن حسن حمل الدعوة إليه لا يجعل منه إلا مسلما له القياد بشكل أو بآخر.

وبين من تلجلج إذا تكلم واضطرب، وقوض بنيان النحو على رأس سيبويه إذا خطب، فينقل الأفكار الراقية ببيان منحدر خرب، خاو من الفكر خواءه من الأدب.

أخرج الامام مسلم في صحيحه: إن ضمادا قدم مكة وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه، فقال: يا محمد! إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد. قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال: قال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر،(يعني لجته) قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلى قومك؟ قال: وعلى قومي.

موقف آخر: تروي كتب السيرة قال ابن إسحاق: عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوماً ـ وهو في نادى قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثرون ويزيدون، فقالوا: بلى، يا أبا الوليد، قم إليه، فكلمه، فقام إليه عتبة،حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَةِ في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول صلى الله عليه وسلم: (قل يا أبا الوليد أسمع).

قال: يابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ـ

أو كما قال له ـ حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: (أقد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم، قال: (فاسمع منى)، قال:أفعل، فقال: حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) [فصلت]. استمع عتبة حتى إذا بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ [فصلت:١٣] قال: حسبك، حسبك، ووضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ناشدتك الله والرحم،، ناشدتك الله والرحم، وذلك مخافة أن يقع النذير، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك).

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

فهكذا بلغ به ما سمع من كلام الله حتى أنه ارتعد لمجرد أن ينذره الرسول عليه الصلاة السلام، وكما تلحظ فإن الآيات قد مزجت الطاقة العربية بالاسلامية، فتراها تصور المفاهيم الاسلامية الراقية بأعذب الألفاظ، وتأتي على قضايا الخلق والبعث والزكاة والشرك... فبهذا

يحصل التأثير، ففي العربية ميزة التأثير إن وظفتها التوظيف الصحيح، وكذا هذه الأفكار الراقية الاسلامية تأثر، فهذا التأثير على حامل الدعوة أن يستغله أحسن استغلال.

الأمر السادس الذي يهمنا في مسألة مزج الطاقتين: عندما لم يعد المسلمون يفهمون لغتهم هبط ذوقهم، فنتج عنه أن شخصياتهم الاسلامية أصبحت ضعيفة مهلهلة، فأصبحت ترى كل من نظم بيتين من الكلام الموزون المقفى سموه شاعرا، وكل من ارتقى منبرا سموه خطيبا فسهل أن يندس في هذه الأجواء من نرى من علماء السلاطين ومن المنافقين المرجفين في المدينة، وبالمقابل أصبح من يأتي بالمفاهيم الاسلامية الدقيقة في غربة بين المسلمين، تأمل وأنت تدعو لفكرة الخلافة بين المسلمين كم تكون بعض العقول بذوقها المنحط بعيدة عنك لأنها لا تفقه ما معنى أن يصف رب العزة سبحانه مجرد أن يهم المرء بالاحتكام إلى الطاغوت على أن إيمانه مجرد زعم: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً (٦١)"

ولو قلت: نفاق وضلال وما شاكل ما أثر فيهم، وذلك نتيجة انحطاط ذوقهم الفكري واللغوي.

كما نتج عن انحطاط الذوق أمر آخر مهم وهو أن غالبية المسلمين اليوم لا تعي معنى أن القرآن معجز، فلا يتذوق قارئه معانيه ولا يحس بها الاحساس الفطري السليم الذي أحس به العرب لمجرد سماعهم آية أو بعض آية، وهذا لا شك له نتائج مدمرة على العقيدة.

قلنا أن النهضه الارتفاع الفكري وبالتالي لما كان ذوق المسلمين وفهمهم للعربية عاليا راقيا نشأت المذاهب الفكرية والفقهية وبالمقابل أيامنا هذه لما سف الناس وسفلوا في أذواقهم نشأت الأحزاب العلمانية والاشتراكية وأصبحت آخر عباءة يمكن أن تجمع المسلمين هي الاسلام، كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

قال ابن تيميّة رحمه الله:" اعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثر في العقلِ والخلقِ والدينِ تأثيراً قويّاً بيّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهةِ صدر هذه الأمّةِ من الصحابةِ والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقلَ والدينَ والخلقَ، وأيضاً فإنّ نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ، فإنّ فهم

الكتاب والسنّة فرضٌ، ولا يُفهم إلاّ بفهم اللغة العربية، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب " اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧

أما المحور السابع: الانتشار: معلوم لدينا أن وزن الدولة من وزن لغتها، ووزن الأمة من وزن لغتها، وبالتالي فاللغة تابعة للدولة التي تحملها، كانت العربية قبل الاسلام محصورة في نطاق محدد وانتشرت بانتشاره، والانجليزية قبل الاستعمار البريطاني كانت محصورة في الجزر البريطانية ولما استعمر الإنجليز العالم نشروها واستمرت اللغة الاولى في العالم لأن المستعمر الجديد أمريكا حل محلها وهي لغته.

وقوة اللغة دولياً غير ما فيها من خصائص تجعلها صالحة للتأثير والتوسع والانتشار، فهذه عناصر قوة ذاتية في اللغة، واللغة العربية لا تضاهيها لغة في هذا المضمار. إلا أن هذه الخصائص تظل غير فاعلة في قوة اللغة دولياً حتى تحمل اللغةَ دولةٌ قوية فتفجر هذه الخصائص والطاقات الموجودة في اللغة، فتقوى اللغة بنسبة توازي قوة الدولة التي تحملها. والاسلام أساسه دولة تحمله، أي الطاقة الاسلامية إنما تحملها الدولة وتطبقها الدولة وبالتالي فالمزج يحصل هنا وبه يصير الانتشار.

ألا ترى أن اللغة العربية لها من هذه الخصائص ما يميزها عن كل لغة ومع ذلك فهي لغة ضعيفة دولياً بمعنى أنها ليست لغة العلوم والثقافة ولا لغة التخاطب ولا لغة المعاهدات، وإن وجدت في بعض هذه المجالات فعلى نطاق هزيل ضيق مواز لهزال الدول العربية، حتى أن هذه الدول العربية إذا عقدت معاهدات مع غيرها من الدول فإن النص المعتمد الذي يرجع إليه هو النص الإنجليزي لا العربي.

فها هو ذا رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم يكتب كتبه الى حكام الارض في زمنه: كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم باللغة العربية وبالعربية وحدها،مع امكانية الكتابة بغير العربية، ومن كتب لهم لا يعرفون العربية، وما فكر ابدا: كيف اكتب لهم بالعربية وهم لا يعرفونها؟! انها القوة، انها العزة، التي تفرض على الخصم ان يقبل بلغتك وان يقبل برأيك، وان يطأطىء لها صاغرا.

وها هم أولاء خلفاء بني امية وخلفاء بني العباس يترجمون الى العربية كل ما وصلهم ولزمهم مما كتب بغير العربية بل ان المأمون كان يعطي المترجمين ما يترجم ذهبا، وما كان

ذلك عبثا، بل كان ايمانا منه بأن لغة الدولة هي اللغة العربية، ولا يجوز ان تبقى فيها لغة غير العربية.

وبهذا كله عمت العربية الارض، وسادت الدنيا، وتكلم بها الناس، وحدب عليها جهابذة العلم والفكر، وفصلوا فيها القول، ولقيت من العناية ما لم تحظ بمثلها لغة اخرى.

قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله:" ما ذلّت لغة شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمّة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمّا الأول فحَبْس لغتهم في لغته سجناً مؤبّداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ " وحي القلم ٣/٣٣-٣٤

والمحور الثامن: أن انتشار الاسلام في الدنيا مرتهن بامتزاج الطاقتين، ونرى حرص دول العالم المبدئية على انتشار لغاتها في العالم، كالانجليزية والفرنسية والروسية قديما وغيرها، كوسيلة لنشر المبدأ أو السيادة السياسية على الدنيا، لذا كان من الضرورة بمكان التنبه إلى أهمية نشر اللغة العربية كوسيلة لنشر الاسلام لأن فهم الاسلام لا يتم إلا بها.

إن وزن الحضارة في خضم صراع الحضارات هو المسير لصراع الأمم وما انحطاط المسلمين إلا نتاج ذلك الفصل وإن عودتهم لاقتعاد الذرى مرتهن بالمزج ما بين الطاقتين.

قال ابن تيميّة رحمه الله:" فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون " اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٣

قال الفرنسي جاك بيرك:" إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية ". (الفصحى لغة القرآن - أنور الجندي ص ٣٠٤)

قلنا أن التأثير والتوسع والانتشار خصائص ذاتية في اللغة، وقد نفهم هذا الأمر بالنسبة للتأثير والتوسع، فالمجاز والكنايات والتشبيهات والتصوير الفني والموسيقى والسجع والمحسنات اللفظية وغيرها كلها تعطي اللغة حلاوة وتضفي عليها طلاوة ورونقا يجعلها أداة طيعة في يد من يحسن استعمالها ليؤثر.

ونعلم أن اللغة بحر واسع فيها إمكانات ضخمة للتعبير واشتقاق وتصريف، وتعريب وترجمة، ومشترك لفظي، وترادف وما إلى ذلك من فنون تجعلها بحرا واسعا.

فهذان عنصران من الممكن بسهولة أن نلمس أنهما عنصران ذاتيان فكيف نفهم أن الانتشار عنصر ذاتي وخاصية ذاتية في اللغة؟

والجواب على ذلك أن التأثير طاقة كامنة في اللغة، سواء استعملها المتحدث أو لم يستعملها،، فإن أحسنها وأجاد أثر، ويرتقي الناس في هذا النضمار تبعا لقوة استعمالهم للتأثير فرب خطيب مثلا يسلب الألباب بيانه، وإن من البيان لسحرا ورب خطيب يخطب في نفس الموضوع تمل سماعه من أول جملة فهذا أتقن التأثير واستعمل خصائص اللغة وأثر في سامعيه من هنا فالتأثير كطاقة كامنه في اللغة موجود، والذي يحسن فنه، يرقى به لمدارج العلى وكذلك التوسع، فرب متبحر في اللغة يأتيك بالدرر الحسان التي توضع في موضعها لتزينه، بحيث لو استبدلت هذه المفردة بمرادفاتها ما أدت تأثيرها ولا ملأت فراغها فالتوسع كذلك مرتبط بشخص المتكلم بالعربية فقيها كان أم خطيبا، حامل دعوة كان أم أستاذا ونفس الأمر ينسحب على الانتشار فاللغة العربية بغناها ورقيها وسموها وقدرتها على التعبير، وما فيها من خصائص تميزها عن غيرها،، أهل لأن تنتشر بسهولة لو حملتها دولة استطاعت تفجير طاقاتها الذاتية هذه ومزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية.

ولقد رأينا عصور الاسلام الزاهرة كيف صاحبها انتشار للغة العربية حتى خرجت من الجزيرة العربية لتصبح لغة دولة ملكت نصف الكرة الأرضية واللغة الانكليزية اليوم فقيرة جدا إذا ما قورنت بالعربية على كافة الصعد والمجالات، لكنها انتشرت في الدنيا وأصبحت الأولى كما من حيث استعمالها،، هذه اللغة انتشرت ولا خصائص مميزة لها، ولا قدرات على التعبير فيها،، ولا مجاز ولا كناية ولا اشتقاق ولا تصريف ولا قدرة على التعبير ولا ما يحزنون،، حتى

قواعدها ليست بشيء أمام قواعد اللغة العربية هذا يعني أنه لو حملت الدولة الاسلامية الناهضة القوية اللغة العربية لأصبحت لغة الكرة الأرضية في غضون سنوات.

فالانتشار إذن خاصية ذاتية في اللغة تتفجر بحسن المزج بين الطاقة العربية والطاقة الاسلامية من خلال الدولة.

٤

اللغة وعاء الفكر

لنأت الآن على مفهوم الطاقة العربية لنر ما معنى التأثير والتوسع والانتشار.

اللغة الفاظ موضوعة لمعاني، ووضع العرب هذه الألفاظ للدلالة على هذه المعاني، والوضع تخصيص لفظ بمعنى إذا أطلق اللفظ فهم المعنى.

من هنا نقول أن وضع اللغات كان من الانسان للتعبير عما في النفس وكان موضوعها هو الألفاظ المركبة من الحروف، أما الأشياء الموضوعة لها هذه الألفاظ فهي المعاني الذهنية دون الخارجية، لأن الوضع للشيء فرع عن تصوره فلا بد من استحضار صورة الانسان مثلا أو الأسد في الذهن عند إرادة الوضع له، وهذه الصورة الذهنية هي التي وضع لها اللفظ (لفظ الانسان أو الأسد) لا الماهية الخارجية، وذلك لأن اللفظ وضع للتعبير عما في الذهن وليس للماهية فهو غير الفكر (اللغة وعاء الفكر وليست الفكر نفسه) والفكر هو الحكم على الواقع بخلاف اللفظ فإنه لم يوضع للدلالة على حقيقة الواقع ولا على الحكم بل وضع للتعبير عما في الذهن سواء طابق الواقع أم خالفه (رجل واقف على جسر يرى جسما يقترب منه كلما اقترب اتضحت هيئته فيطلق عليه حجرا لما يتراءى له أنه يشبه الحجر (الصورة الذهنية ومطابقتها) ثم بقرة لو اقترب أكثر ثم يتبين له عند رؤيته أنه يطابق الصورة المتخيلة لقارب مثلا، فالمعنى الخارجي لم يتغير مع تغير اللفظ فدل على أن الوضع ليس له بل لما في الذهن (فاللفظ إذن يدور مع المعاني الذهنيه دون الخارجية).

ومثلا التعبير زيد قائم أو زيد قاعد يطلق التعبير وهذه المعاني لإفادة النسبة ليحصل التعبير فمدلول القيام غير مدلول القعود والوصف زيد قائم يدل على تعبير ما في الذهن لهيئة القيام أو القعود وليس الغرض من الألفاظ معانيها المفردة أي مفردة قيام دون نسبتها لزيد قائم ليست مقصودة بذاتها، ولفظة قعود دون نسبتها لفعل القعود منسوبا لشخص يقوم به لا تعبر عن شيء، فالمعنى الموجود في الذهن الذي أريد باللفظ التعبير عنه ليس الواقع ولكن

لتفيد الوضع بالنسب الاسنادية أو التقييدية أو الاضافية بين المفردات بضم بعضها إلى بعض كالفاعلية والمفعولية وغيرهما ولإفادة معنى المركبات من قيام وقعود.

فلنأت على مزيد من الايضاح فيما يتعلق باللغة كوعاء للفكر:

الفكر حتى يحصل لا بد من عناصر أربعة تجتمع:

واقع محسوس وحواس تنقل هذا الواقع إلى الدماغ ودماغ صالح ومعلومات سابقة تفسر هذا الواقع المحسوس وربط الواقع المحسوس بالمعلومات السابقة يعطي الفكر أو الادراك.

الواقع المحسوس قد يكون ماديا كالشجرة أو النجم، مثلا أو قد يكون أثرا للواقع المادي كصوت الطائرة أو رائحة الوردة،، وقد يكون معنويا يعرف من أثره كالشجاعة والحنان.

الأشياء المدرك وجودها في الكون قد تكون محسوسة ملموسة كالتفاح والقط، وقد تكون محسوسة غير ملموسة كالنشوة والألم، وقد تكون غير محسوسة وغير ملموسة كوجود الحياة في الانسان وكغريزة حب البقاء فيه، والمحسوس هو أثرها.

وكل هذه الأصناف هي محل التفكير

والادراك قد يكون بحضور الواقع المحسوس أو بحضور تصوره في الذهن وإن لم يكن موجودا، فقد يأتيك نعي رجل لم تره منذ سنين فتستحضر في الدماغ صورته والمعلومات عنه وتحكم بأنه كان كريما مثلا، فتصدر الحكم عليه في غياب الاحساس به أو بكرمه.

وقد تسمع صوت طائرة فتحكم عليها عسكرية أم مدنية من مجرد سماع الصوت.

فالاحساس بالواقع قد يكون بوقوع الحس عليه أو على متعلقاته كالصوت أو الصورة، أو باسترجاع الاحساس بالواقع في الدماغ وهو بعيد عن مجال الحواس.

النتيجة من هذا البحث هو التفكير أي عقل الشيء والحكم عليه.

فتحكم على التفاحة أنها حامضة وأن لونها أحمر وأنها مستوية أو فجة حسب واقعها والفكر الذي تجريه عليها

فإن اهتممت بلونها ورأيت اللون الأحمر لها وقسته على المعلومات السابقة في دماغك التي تخص اللون الأحمر، حكمت عليها بأن لونها أحمر

أو أجريت الحكم على طعمها فحكمت أن مذاقها حلو أو أردت الحكم على أسد أحي هو أم ميت تحكم بوجود أثر الحياة فيه.

أو مثلا عمر الخروف يقدره البعض من الخبراء من أسنانه وهكذا يحصل الحكم على الشيء أي إدراكه وعقله بناء على العناصر الأربعة المذكورة أعلاه.

هذا بالنسبة للتفكير أو الحكم على الواقع.

لكن نحن نقول أن اللغة وعاء الفكر لا الفكر نفسه.

فالحمرة التي في التفاح وعاء أطلقه الانسان على هذا اللون ليميزه عن اللون الأصفر مثلا، فميز اللون الأحمر عن الأصفر بأسماء أطلقها على اللون، أو مثلا الأسد ليميزه عن الحصان.

هذه اللغات تعبر عن المعاني الذهنية للواقع المحسوس لا عن الواقع المحسوس نفسه.

وضعها الانسان للتعبير عما في النفس.

تأتي على الطفل الصغير وتريه صورة الأسد فتنطبع في ذاكرته معلومات سابقة عن هذه الصورة الذهنية أنها تمثل صورة الأسد،، وهذه تمثل صورة اللون الأحمر.

فلو رأى بعد ذلك الأسد أي الكائن الحي استرجع الصورة الذهنية التي في رأسه عن الأسد وما صاحبها من إطلاق أطلقه عليه باللغة التي يحكي فسماه الأسد أو الليث.

لاحظ أن العرب قد أطلقت على الأسد أكثر من خمسمائة اسم والفرق بين كل اسم واسم هو ما يمثله الأسد في تلك الحالة، أي الصورة الذهنية التي ارتسمت في أذهانهم لواقع يمثله هذا المخلوق في هذه الحالة:

فالضِّرْغام ؛ هو الضاري الشديدُ المِقْدامُ من الأُسود،

والهزبر: الضخم الصلب.

والليث: ويقال له: ليث، باعتبار تلوثه بالفريسة،

والضَّيْغَمُ: الذي يَعَضُّ، والأَسَدُ، ضَغَمَهُ،: عَضَّهُ، أو عَضّاً دون النَّهْش، أو هو أن لا يَمْلأَ فَمَهُ مما أهْوَى إليه. وكثُمامةٍ: ما ضَغَمْتَه ولَفَظْتَهُ، وهو أيضا واسع الشدق.

والضَّمْضَمُ: الغَضْبانُ، والأَسَدُ الغَضْبانُ، الجَريءُ، الضُّماضِمُ من أسماء الأسد. وأَسَدٌ ضُماضِمٌ يضُمُّ كلَّ شيء، الضُّماضِمُ الأَكُولُ النَّهِمُ المُسْتأْثِرُ، وقيل: الكثير الأكل الذي لا يشبع.

وهكذا: فالاسم أطلق على الأسد مرافقا للحالة التي يأتي بها: فإن كان أكولا لا يشبع أطلق عليه اسم الضماضم، وكذلك صورة ضمه لفريسته تستحضر في الذهن عند الاطلاق

ولو قلت عندها أسد واصفا إياه لما استحضر الأعرابي صورة الأسد النهم الذي لا يشبع.

فالوضع للشيء فرع عن تصوره: وضع الاسم وعاء للواقع فرع من تصوره

أي أن تأتي مثلا لصورة الأسد الصلب الضخم فيضع الأعرابي ما يتصوره من هذا الواقع في نفسه: فيختار لفظة تحاكي هذا الواقع المتصور في الذهن: فيسميه الهزبر،

والليث كما مر الشجاع القوي الذي يلتاث بفريسته،

ولو رجعت لأصل كلمة ليث في العربية اللَّيثُ الشدة والقوَّة. ورجلٌ مِلْيَثٌ شديدُ العارضة ؛ وقيل: شديدٌ قويٌّ و اللَّيثُ الأَسدُ والجمع لُيُوثٌ وإنه لَبَيِّنُ اللِّياثة واللَّيث: الشجاع بيِّن اللُّيُوثة

وقال عمرو بن بحر: الليثُ ضَرْبٌ من العناكب ؛ قال: وليس شيء من الدواب مثله في الحِذْقِ والخَتْلِ وصوابِ الوَثْبَةِ والتَّسْدِيدِ وسرعةِ الخَطْفِ والمُدَاراةُ لا الكلبُ ولا عَناقُ الأَرضُ ولا الفهدُ ولا شيء من ذوات الأَربع وإذا عاينَ الذبابَ ساقطًا لَطأَ بالأَرضُ وسَكَّنَ جَوَارِحَهُ ثم جمع نفسه وأَخَّرَ الوَثْبَ إلى وقت الغِرَّةِ وترى منه شيئًا لم تره في فهد وإن كان موصوفًا بالختل للصيد. و لايَثَهُ زَايَلَهُ مُزَايَلَةَ اللَّيثِ

ولا يَثْتُ فلانًا: زاولته مزاولة ؛ قال الشاعر: شَكِسٌ إذا لا يَثْتَهُ لَيْثِيٌّ

ويقال: لايَثَه أي عامله معاملة الليثُ أو فاخره بالشَّبه بالليث. وقولهم: إنه لأَشْجَعُ من لَيْثِ عِفِرِّينَ قال أبو عمرو: هو الأسدُ

يعني ما تراه من المعاني التي في ذهن العرب عن وصف أفعال تتعلق بالخفة والوثب والتسديد والمداراة والحذق هذه المعاني وغيرها عبروا عنها بفعل حروفه فيها اللام والياء والثاء واشتقوا منها اشتقاقات تناسب الأحوال المختلفة

فمنها إطلاق بعض القبائل على العنكبوت الذي صفاته ما مر اسم الليث، وبعضهم كما مر قال: والليث: الأسد ؛ زعم كراع أنه مشتق من اللوث الذي هو القوة ؛ ليث: اللَّيثُ: الشدة والقوَّة وإنه لَبَيِّنُ اللِّياثة

واللَّيث: الشجاع بيِّن اللُّيُوثة وفي حديث ابن الزبير: أنه كان يواصل ثلاثاً ثم يصبح وهو أَلْيَثُ أصحابهِ أي أشدُّهم وأجْلَدهُم وبه سمي الأسد لَيْثاً. ويقال له: ليث، باعتبار تلوثه بالفريسة، وهذا منظر مخيف جداً للفريسة وللإنسان الذي يشاهدهما

فكما ترى الصورة الذهنية عند الأعراب هي التي أنزلوها على الواقع وصفا له لما في أذهانهم من تصور أن الوصف المناسب أو الاسم المناسب لهذا الواقع هو الفعل المشتق من هذه الحروف أو غيرها

فسموا الليث ليثا ووصفوا الرجل بأنه أليث أصحابه لاتصافه بالصفة التي صورتها الذهنية الجلد والشدة.

هذا شيء والواقع المحسوس شيء آخر

أي الأسد أسد سواء سميته ليثا أم هزبرا هو هذا المخلوق الملك

لكن إطلاق اللغات يأتي إلى الصورة الذهنية المتعلقة بهذا الأسد ليرى أقرب الألفاظ التي تأتي بالمعنى المناسب لهذه الصورة الذهنية فيضع لها الاسم ويسميه بناء عليها.

فاللغات وعاء الفكر لا الفكر نفسه.

فرق بين أن تحكم أن الطعم حامض أو حلو أو أن اللون أحمر.

وبين الحمرة التي هي صفة أطلقها العرب على اللون لأنه في أذهانهم حمر لها معان ذهنية ناسبت هذا الواقع فأطلقوه عليه

ومثلا: العرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وسئل ثعلب: لم خَصَّ الأَحمرَ دون الأبيض؟ فقال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقيُّ من العيوب، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر.

فكما ترى إطلاق اللغات لمعان متصورة في الذهن لا للواقع نفسه.

فأنت لو قلت امرأة حمراء ولم تكن تعلم أن العرب تعني بها البيضاء لخالفت الواقع ولكان هنالك فرق بين حكمك على المرأة هذه لأنك تتصور اللون الأحمر عند قولك بينما الواقع أنها بيضاء. أو أن تظن الرجل أبيض في حين أن المعنى أنه طاهر.

فالفرق بين الحكم على الواقع وبين اللغة واضح جلي

من هنا قلنا أن الفكر هو الحكم على الواقع بخلاف اللفظ فإنه لم يوضع للدلالة على حقيقة الواقع ولا على الحكم بل وضع للتعبير عما في الذهن سواء طابق الواقع أم خالفه.

٥

كيف تعبر العرب عن المسميات

اللفظ في العربية إما أن يكون على الحقيقة أو على المجاز. وأغلب الاستعمالات في العربية على المجاز.

استعمل العرب للتعبير عن المسميات المصادر التالية:

١ - الحقيقة بأقسامها الثلاثة اللغوية والعرفية والشرعية

٢ - المجاز للتعبير عن المتخيلات والتشبيهات

٣ - التعريب للتعبير عن أسماء الأشياء وأسماء الأعلام

٤ - الاشتقاق للتعبير عن المعاني.

الحقيقة:

الحقيقة: هي الألفاظ التي وضعت للدلالة على ما في الذهن من معنى، فإن كان اللفظ الموضوع استعمل للمعنى الموضوع له من أهل اللغة وهم العرب الأقحاح سميت هذه الحقيقة بالحقيقة اللغوية مثل: النزر: القليل،، الدهمة: السواد.

وإن كانت الألفاظ الموضوعة استعملت لمعنى غير ما وضعت له أي نقلت من معناها اللغوي الموضوع إلى معنى آخر ينظر فإن كان النقل بسبب العرف أو الاصطلاح سميت حقيقة عرفية مثل دابة: فقد وضعت في أصل اللغة لكل ما دب على الأرض، فتشمل الانسان والحيوان ولكن المعنى العرفي لأهل اللغة خصصها بذوات الأربع وهجر المعنى الأول.

وكذلك الغائط فهو بالأصل اللغوي للموضع المنخفض من الأرض ثم اشتهر بالعرف للخارج المستقذر. فالأول أي الدابة وضع لمعنى عام ثم خصص بعرف استعمال أهل اللغة ببعض مسمياته والثاني (الغائط) اسم وضع لمعنى واشتهر لمعنى آخر.

والحقيقة العرفية نوعان:

أ- الحقيقة العرفية اللغوية وهي ما تعارف العرب الأقحاح عليها

ب- الحقيقة العرفية الخاصة التي يتعارف عليها أهل كل علم كاصطلاحات خاصة بهم مثل اصطلاح النحاة على الرفع والجر والنصب، أو كقولنا الايمان التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل، وهذه ليست بخاصة بالعرب الأقحاح.

أما إن كان سبب النقل الشرع سميت الحقيقة بالشرعية مثل الصلاة وهي في أصل اللغة الدعاء.

المجاز: أقسام المجاز:

والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين: توسع في الكلام وتشبيه؛ والتشبيه ضربان: تشبيه تام وتشبيه محذوف:

فالتشبيه التام: أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف: أن يذكر المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام وإلا فكلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز أن يطلق عليه اسم الاستعارة لاشتراكهما في المعنى وأما التوسع فإنه يذكر للتصرف في اللغة لا لفائدة أخرى وإن شئت قلت: إن المجاز ينقسم إلى: توسع في الكلام وتشبيه واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الأقسام الثلاثة فأيها وجد كان مجازاً.

فإن قيل: إن التوسع شامل لهذه الأقسام الثلاثة لأن الخروج من الحقيقة إلى المجاز اتساع في الاستعمال. قلت في الجواب: إن التوسع في التشبيه والاستعارة جاء ضمناً وتبعاً وإن لم يكن هو السبب الموجب لاستعالهما وأما القسم الآخر الذي هو لا تشبيه ولا استعارة فإن النسب في استعماله هو طلب التوسع لا غير.

قال الجاحظ: للعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم، كما جوَّزوا قوله: أكله الأسود، وإنَّما يذهبون إلى النَّهْشِ واللذع والعضِّ، وأكل المال، وإنَّما يذهبون

إلى الإفناء، كما قال الله عزَّ وجلَّ: "إنَّ الذينَ يَأكلونَ أمْوال اليَتامى ظُلْماً إنَّما يأكُلونَ في بُطونِهِمْ ناراً وسَيَصْلَونَ سَعيراً."

ولعلَّهم شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الهماليج، ولم ينفقوا منها درهما في سبيل الله، إنما أُكِلَ. وجوَّزوا: أكَلَتْهُ النَّار، وإنَّما أُبطلت عينه.

وجوَّزوا أيضاً أن يقولوا: ذُقت، لما ليس يُطعم، وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده: ذُق، وكيف ذقته؟ أي وجدت طعمه. قال الله عزّ وجلّ: "ذُقْ إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ" وقال عزَّ من قائل: "فأذاقها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والخَوفِ بِما كانوا يَصْنَعون" وقال تعالى: "فَذَاقوا وَبالَ أمْرهِمْ". ثم قالوا: طَعِمتَ، لغير الطعام، كما قال المَرجيُّ:

فإن شئتُ حَرَّمْتُ النساء سِواكُمُ * وإن شِئتُ لم أطعَم نُقاخاً ولا بَرْدا

قال الله تعالى: "فمَن شَربَ مِنه فَليس منِّي ومن لمْ يَطْعَمهُ فإنَّهُ منِّي" يريد: ومن لم يذق طعمه. ولما قال خالد بن عبد الله في هزيمة له: أطْعِموني ماء، قال الشاعر:

بَلَّ السَّراويلَ مِنْ خَوفٍ ومِنْ دَهَشٍ * واستَطْعَمَ الماءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ

فبلغ ذلك الحجاج، فقال: ما أيسر ما تَعَلَّق فيه يا ابن أخي، أليس الله تعالى يقول: "فَمَن شَرب منه فليس منِّي ومن لم يَطعَمهُ فإنَّه منِّي."

قال الجاحظ: في قوله تعالى: "إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْربَ مَثَلا ما بَعوضَةً فما فوقَها" يريد فما دونها، وهو كقول القائل: فلان أسفل الناس، فتقول: وفوق ذلك، تضع قولك (فوق) مكان قولهم: هو شرٌّ من ذلك. وقال الفَرَّاء: فما فوقها في الصِّغَر، والله أعلم.

قال المُبرد: من الآيات التي ربما يَغْلَط في مجازها النحويون قول الله تعالى: "فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ" والشهر لا يغيب عن أحد. ومجاز الآية: فمن كان منكم شاهد بلدة في (الشهرَ) فليصمه، والتقدير: فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه، ونصب (الشهرَ) للظرف، لا نصب المفعول.

والمجاز قسمان: لغوي وعقلي. فاللغوي ما استفيد فهمه عن طريق اللغة وأهل اللسان بما يتبادر إليه الذهن العربي عند الإطلاق في نقل اللفظ من معناه الأولي إلى معنى ثانوي

جديد. والعقلي ما استفيد فهمه عن طريق العقل، وسبيل الفطرة من خلال أحكام طارئة، وقضايا يحكم بها العقل لدى إسناد الجملة.

المجاز: أولا: التشبيه

تعريف التشبيه: لغة: هو التمثيل، يقال: هذا مثل هذا وشبهه.

واصطلاحاً: هو عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر وإرادة اشتراكهما في صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه، نحو: خالد كالأسد في الإقدام.

أركان التشبيه أربعة: عند تأمل المثال السابق نرى أنّها:

المشبّه: خالد؛ والمشبّه به: الأسد؛ ووجه الشبه: الإقدام؛ وأداة التشبيه الكاف.

والركنان الأوّلان ـ وهما المشبّه والمشبّه به ـ يسميّان طرفي التشبيه.

أقسام التشبيه باعتبار حال طرفيه: ينقسم من حيث طرفيه إلى أربعة أقسام:

١ - تشبيه المحسوس بالمحسوس: وهو أن يكونا مدركين بإحدى الحواسّ الخمس: نحو: (كأنهن الياقوت والمرجان)، صوت المدافع كالرعد؛ عصيرها كالعسل المصفى، وقد يكون المشبه واحدا من هذه الأمور والمشبه به واحدا آخر، نحو: كلامه كالماء الزلال. ويدخل في هذا الضرب:

التشبيه الخيالي، وهو المعدوم المؤلف من من أمور عدة يمكن إدراك كل واحد منها بالحس، نحو:

خدودٌ كأنّ بنانها	في خضرة النقش المُزَرّدْ
سمك من البِلّوْر في	شبَك تكون من زبرجدْ

فالسمك الذي من هذا الضرب والشبك الذي من هذا الصنف لا يوجدان في الواقع حتى يُدركا بالحواس، ولكن هذه الأجزاء منفردة موجودة ويمكن إدراكها بالحواس.

٢ - تشبيه أمر عقلي بآخر عقلي: نحو: العلم حياة، والعصبية جهل.

٣ - تشبيه المحسوس بعقلي، نحو قول الشاعر:

أهــديتُ عطــرا مثــل طيــب ثنائــه		فكأنمـــا أهـــدِي إليـــه أخلاقَـــه

وقد أدخل علماء البيان في هذا النوع:

التشبيه الوهمي، وهو ماليس مدركا بإحدى الحواس الخمس، لكنه لو أدرك لكان مدركا بها، نحو ما ورد في شأن شجرة الزقوم: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ). وقول امريء القيس:

أيقتلنـــي والمشـــرفي مضـــاجعي		ومســـنونةٌ زرق كأنيـــاب أغـــوال

٤ - تشبيه العقلي بمحسوس، نحو: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا)، ونحو: العلم نور والجهل ظلام.

تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب: ينقسم باعتبار طرفيه من حيث الإفراد والتركيب إلى:

١ - تشبيه مفرد: وهو ما كان فيه الطرفان مفردين، وهو ثلاثة أقسام، ما كان فيه الطرفان:

أ - مطلقين، نحو: شعر كالليل؛ وجه كالبدر.

ب - مقيّدين، نحو: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، ونحو قول الشاعر:

والشمس بين الأرائك قد حكت		سيفاً صقيلاً في يدٍ رعشاءِ

ج - مختلفين، بأن يكون المقيد هو المشبه نحو:

إذا الأرض أظلمـــت كـــان شمســـا		وإذا الأرض أمحلـــت كـــان وبْـــلا

أو يكون المقيد هو المشبه به، نحو:

أغـــرُّ أبلـــجُ تـــأتمُّ الهـــداة بـــه		كأنـــه علـــم فـــي رأســـه نـــار

٢ - تشبيه مركّب بمركّب، كقوله:

كـــأن مثـــار النقـــع فـــوق رؤوســـنا وأســـيافنا ليـــلٌ تهـــاوى كواكبـــه

فالمشبه هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة في خلاله، والمشبه به الليل الـذي تتهـاوى كواكبه.

التشبيه باعتبار وجه الشبّه: ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه الى ستة أقسام:

١ - وجه شبه واحد حسي، نحو: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَار فِي الْبَحْـر كَـالأَعْلَامِ)، فوجـه الشـبه هنـا الكبر والضخامة.

٢ - وجه شبه واحد عقلي، نحو: قوله (ص) "أصحابي كالنجوم بـأيهم اقتـديتم اهتـديتم " أي في الهداية، ونحو: زيد كالأسد، أي في الشجاعة.

٣ - وجـه شـبه متعـدد، حسـي أو عقلـي، نحـو: المصبـاح كالشـمس (وجـه الشـبه الشـكل والإنارة؛ هو شمس (وجه الشبه: الإشراق والعلو النباهة والرفعة).

٤ - وجه شبه مركب، وهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد، وهو إما:

أ- مركب وحسي، كقول الشاعر يصف الثريا:

وقـد لاح فـي الصـبح الثريـا كمـا تـرى كعنقـــود ملاحيـــة حـــين نـــوّر

وجه الشبه هيئة حاصلة مـن اقتـران أشـياء مـدورة بيضـاء صـغيرة فـي نظـر العـين علـى كيفية مخصوصة، وكقول جبار بن جزء:

والشـــمس كـــالمرآة فـــي كـــف الأشـــلْ لمـــا رأيتهـــا بـــدت فـــوق الجبـــلْ

فوجه الشبه هنا هيئة حاصلة من شيء مشرق ذو حركة تبسط الشعاع تارة وتقيضه تـارة أخرى.

ب- أو مركب وعقلي، نحو قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) فوجه الشبه هو حرمان الانتفاع من شيء عظيم النفع مع تحمل تعب استصحابه.

أدوات التشبيه: أدوات التشبيه ألفاظ تدل على المماثلة، وهي على أقسام:

١ - حروف، مثل (الكاف) و(كأنّ)، (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ).

٢ - أسماء، مثل: (مثل) و(شبه)، (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)، (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا).

٣ – أفعال، نحو: يحكي ويضاهى، وأفعال اليقين أو الرجحان مثل: ظنّ وحسب وجعل، وخال. (وجعلنا الليل لباساً)، وقال الرفاء يصف شمعة:

مفتولة مجدولة تحكي لنا قد الأسلْ
كأنها عمر الفتى والنار فيها كالأجلْ

وقال الشاعر:

وتراه في ظُلم الوغى فتخاله قمرا يكر على الرجال بكوكبِ

التشبيه باعتبار أداته: التشبيه باعتبار أداته ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، نحو: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء).

٢ - التشبيه المؤكّد: هو ما حذفت منه أداة التشبيه، نحو قوله:

أنت نجمٌ في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا
هم البحور عطاءً حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهم بُهْمُ

ويسمى (مؤكّداً) لإيهامه أن المشبّه عين المشبّه به.

٣- التشبيه المجمل: ماحذف منه وجه الشبه، نحو:

وكـــأنّ الشـــمس المنيـــرة دينـــــــار جلتـــه حدائــــد الضـــرّابِ

٤- التشبيه البليغ: وهو ما حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وسمي بليغا لما فيه من مبالغة في اعتبار المشبه عين المشبه به، نحو: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)، (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا)، وقول الشاعر المتنبي:

أيـــن أزمعـــتَ أيّهـــذا الهُمـــامُ نحـــن نبـــتُ الرُّبـــا وأنـــتَ الغَمـــامُ

ومنه ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، نحو:

والــريح تَعْبــث بالغصــون وقــد جــرى ذهـــبُ الأصـــيلِ علـــى لُجـــيْن المـــاءِ

أي جرى الأصيل الذي كالذهب في الصفرة على الماء الذي كاللجين (الفضة) في البياض والصفاء، ومثله: استعن بمصابيح آراء الرجال.

تقسيمات أخرى للتشبيه

ينقسم (التشبيه) باعتبار تعارفه وعدم تعارفه إلى ثلاثة أقسام:

١ - التشبيه الصريح، وهو ما تقدّم من التشبيه المتعارف عليه، مما ليس ضمنيا ولا مقلوبا.

٢ - التشبيه الضمني، وهو ما لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة، بل يُفهم من معنى الكلام، نحو: قول الشاعر:

مـــن يهُـــنْ يســـهل الهـــوانُ عليـــه مـــــا لِجُـــــرحٍ بميّـــــتٍ أيـــــلامُ

وقول أبي العتاهية:

ترجـو النجـاةَ ولـم تسْـلك مسـالكها إنّ الســـفينةَ لا تجـــري علـــى اليَـــبَس

وقول ابن الرومي:

ويــلاه إنْ نظــرتْ وإنْ هـــي أعرضــتْ		وقْــــعُ الســــــهام ونــــــزعهنّ ألــــيمُ

٣ - التشبيه المقلوب: وهـو مـا يجعـل فيـه المشـبّه مشـبّهاً بـه، لادعّـاء أن المشـبه أتـمّ وأظهر من المشبّه به، كقول البحتري في وصف بركة:

كأنّهــا حـــين لجّــت فـــي تـــدفّقها		يــــدُ الخليفــــة لمــــاّ ســــال واديهــــا

محاولاً إيهامنا بأن يد الخليفة أقوى تدفّقاً بالعطاء من تدفق البركة بالماء.

وبــــدا الصــــباح كـــأنّ غرتـــه		وجـــه الخليفــــة حـــين يُمتـــدحُ

ومنه قول الآخر:

أحِــــنُّ لهـــم ودونهــــم فــــلاةٌ		كــــأن فَســــيحَها صـــــدْرُ الحَلــــيم

المجاز: ثانيا: الاستعارة:

في الاستعارة ذلك من سنن العرب. هي أن تستعير للشيء ما يليـق بـه، ويضـعوا الكلمـة مستعارة له من موضع آخر. كقولهم في اسـتعارة الأعضـاء لمـا لـيس مـن الحيـوان: رأسُ الأمـر، رأسُ المال، وجهُ النَّار، عـين المـاءِ، حاجِـبُ الشَّـمس، أنـفُ الجبـل، أنـفُ البـاب، لِسـانُ النَّـار، ريـقُ الـمُزْن، يَدُ الدَّهر، جَناحُ الطَّريقِ، كَبِدُ السَّماءِ، ساقُ الشَّجَرَةِ.

وكقولهم في التَّفرُّق: انْشَقَّتْ عَصاهُمْ، شالَت نَعامَتهم، مرُّوا بـين سـنع الأرض وبَصـرها، فَسا بينَهم الظِّربان.

وكقولهم في اشتداد الأمر: كَشَـفَتِ الحَـرْبُ عـن سـاقِها، أبـدى الشَّـرُّ عـن ناجِذَيـه، حَمِـيَ الوَطيس، دارَتْ رحى الحَربُ.

وكقولهم في ذكر الآثـار العُلويَّـة: افتَـرَّ الصُّـبْحُ عـن نواجِـذَهُ، ضَـرَبَ بِعَمـوده، سُـلَّ سَـيفُ الصُّبْح من غِمد الظَّلام، نَعَرَ الصُّبحُ في قفا الليل، باحَ الصُّبحُ بسرِّهِ، وهـي نطـاق الجـوزاء، انحَـطَّ قِنْديلُ الثُّريَّا، ذَرَّ قرْن الشَّمس/ ارتَفع النَّهار، ترحَّلت الشَّمس، رَمَتِ الشَّـمس بِجَمَـرات الظَّهيـرَةِ، بَقَلَ وجهُ النَّهار، خَفَقَتْ رايـاتُ الظَّـلام، نَـوَّرت حـدائِقُ الجـوِّ، شـابَ رأسُ الليـل، لَبِسَـت الشَّـمس

جلبابها، قام خَطيب الرَّعد، خَفَقَ قَلب البَرق، انحلَّ عِقْدُ السَّماء، وَهَى عِقد الأنداد، انْقَطَعَ شِريان الغَمام، تَنفَّسَ الرَّبيع، تَعَطَّرَ النَّسيم، تَبَرَّجَت الأرضُ، قَويَ سلطان الحرِّ، آنَ أن يَجيشَ مِرْجَلُهُ، ويثورَ قَسْطَلُه، انْحَسَرَ قِناع الصَّيف، جاشَت جُيوشُ الخَريفِ، حَلَّت الشَّمس الميزان، وعَدَلَ الزَّمان، دبَّت عَقاربُ البردِ، أقدمَ الشِّتاء بِكَلْكَلِه، شابَت مَفارِقُ الجِبال، يوم عبوسٌ قَمْطَرير، كشَّرَ عن نابِ الزَّمْهَرير.

وكقولهم في محاسن الكلام: الأدَبُ غِذاءُ الرُّوح، الشَّباب باكورَةُ الحَياةِ، الشَّيب عنوان الموت، النَّار فاكهة الشِّتاء، العِيال سوسُ المال، النَّبيذُ كيمْياء الفَرَح، الوحدة قَبر الحيِّ، الصَّبر مفْتاحُ الفَرَج، الدَّين داء الكرم، النَّمَّام جسرُ الشرِّ، الإرجافُ زَندُ الفِتنةِ، الشُّكرُ نسيمُ النَّعيم، الرَّبيع شبابُ الزَّمان، الولَدُ ريحانَةُ الروح، الشَّمس قَطيفَةُ المساكين، الطِّيب لسانُ المُروءة.

لا شك أن قوما بلغوا بحسن لغتهم هذا المبلغ، لا شك أن تحديهم بأعظم ما في هذه اللغة لهو الاعجاز، ولا شك أن هذا البيان الساحر هو أعظم نتاج للعقل البشري، وإلا فما الطائرة أمامه، وما ركوب القمر، وما اللقاح وما الأمصال، وما الأهرامات وما الناطحات، وإلا فكيف تفسر أن "الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان"؟؟؟ أو لم يقدم البيان لعلو شأنه على النجم والشجر والشمس والقمر؟؟ فما بالكم بمن فهم بعقله بعضا من الحقائق المتعلقة بالشمس والقمر؟؟ أيرقى علمه الهزيل هذا إلى وزن اللغة العربية بعلومها وفنونها؟ ببلاغتها ونحوها وصرفها؟ باتساعها وعلو شأنها؟ بقدرتها على التصوير وعلى نقل الأخيلة بأرقى صورة وأقل عبارة من الواقع إلى الدماغ (القالب) ومن الدماغ إلى الواقع (الفكر)!!

من هنا نفهم سر كون الحق سبحانه اختار العربية موطنا لتحديه الخلق كلهم!!

فهذا أعظم ما أنتجه العقل البشري!!

المجاز: لغة من أجاز الموضع أي خلفه وقطعه وفي الاصطلاح: استعمال كلمة في غير ما وضعت له لقرينة مانعة من استعمال المعنى الموضوع مع وجودعلاقة بين المعنى المستعمل والمعنى الموضوع بشرط أن لا تكون هذه العلاقة المشابهة.

فإن كانت العلاقة المشابهة فإنه يسمى الاستعارة: لغة بمعنى طلب الشيء عارية، يقال (استعار الكتاب) أي طلبه عارية.

ولابدّ في (الاستعارة) مـن عـدم ذكـر وجـه الشـبه، ولا أداة التشـبيه، بـل الـلازم ادعـاء أن المشبه عين المشبّه به،، والحاصل: أن كل مجاز يبنـى علـى التشـبيه بـدون الاداة ووجـه الشـبه يسمّى: (استعارة). وهي أنواع:

أ- الاستعارة التصريحية وهي التي يصرح فيها بالمشبه به: مثل أنت أسد

أو ما استعير فيها لفظ المشـبه بـه للمشـبه، ومثالهـا مـن القـرآن الكـريم قولـه تعـالى: (كِتابٌ أنزلناهُ إليكَ لِتُخرجَ الناسَ مِنَ الظُلماتِ إلى النُّور...).

ففي هذه الآية استعارتان في لفظي: الظلمات والنور، لأن المـراد الحقيقـي دون مجازهمـا اللغوي هو: الضلال والهدى، لأن المراد إخراج الناس من الضلال إلـى الهـدى، فاسـتعير للضـلال لفـظ الظلمـات، وللهـدى لفـظ النـور، لعلاقـة المشـابهة مـا بـين الضـلال والظلمـات. وهذا الاستعمال _كما ترى _ من المجاز اللغوي لأنه اشتمل على تشبيه حذف منه لفظ المشـبه، وأستعير بدله لفظ المشبه به، وعلى هذا فكل مجاز من هذا النوع يسـمى "اسـتعارة" ولمـا كـان المشبه به مصرحاً بذكره سمي هذا المجاز اللغوي، أو هذه الاستعارة "استعارة تصـريحية" لأننـا قد صرحنا بالمشبه به، وكأنه عين المشبه مبالغة واتساعاً في الكلام.

ب- الاستعارة المكنية وهي ما حذف المشبه به منها ورمز إليه بشيء من لوازمه:

وإذا المنيـــــة أنشــــبت أظفارهـــــا ألفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع

شبه المنية بالحيوان المفترس وأبقى شيئا من لوازمه وهو نشب الأظفار.

لا تعجبـــي يـــا سـلمُ مـــن رجــل ضـــحك المشـــيب برأســـه فبكـــى

وأظهر من ذلك في الدلالة قوله تعالى: (والصُّبح إذا تَنَفَس).

فالمستعار منه هو الإنسان، والمستعار لـه هـو الصـبح، ووجـه الشـبه هـو حركـة الإنسـان وخروج النور، فكلتاهما حركة دائبة مستمرة، وقد ذكر المشبه وهـو الصـبح، وحـذف المشـبه بـه وهو الإنسان، فعادت الاستعارة مكنية.

ج- الاستعارة التخييلية: وهي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم، ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحاً لها أو تعريفاً لحالها.

ومثال ذلك من القرآن الكريم كل الآيات التي يتوهم منها التشبيه، أو يتخيل فيها التجسيم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فقوله تعالى: (بَل يَداهُ مَبسُوطتانِ يُنفقُ كيفَ يشاء...).

وقوله تعالى: (ويَبقى وَجهُ رَبّكَ...). وقوله تعالى: (خَلَقتُ بيديَّ...). كلها استعارات تخييلية، إذ تخيل اليد والوجه بالنسبة إليه تعالى إنما يصح على جهة الاستعارة لا الاستعمال الحقيقي، كما أن القرينة المانعة من الحقيقة هي آيات التنزيه.

وقوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) ثم في الدرجة الثانية تمحو الخطيئة لخبر: اتبع السيئة الحسنة تمحها، ثم في الثالثة تطفئ الخطيئة لمقام الحكاية عن المباعدة عن النار فلما وضع الخطيئة موضع النار على الاستعارة المكنية اثبت لها على الاستعارة التخييلية ما يلازم النار من الإطفاء لتكون قرينة مانعة لها عن ارادة الحقيقة.

د- الاستعارة التمثيلية: وهي المجاز المركب أو اللفظ المركب المستعمل في شبه معناه الأصلي ويكون وجه الشبه فيه منتزعا من أمور متعدده مركبة بحيث تدخل المشبه في جنس المشبه به فتذكر بلفظها بغير تغيير حتى إذا اشتهرت أصبحت مثلا كقولهم للمتردد: أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى.

(أيُحِبُّ أحدُكُم أنْ يأكلَ لحمَ أخيهِ ميْتاً فكرهتمُوه)، فقد شبهت حال من تناول عرض رجل من أصحابه بالغيبة كحال من شرع في أكل لحم أخيه الميت، بجامع الشناعة والفظاعة المتعلقة في هذين الفعلين.

هـ - الاستعارة التهكمية: هي ما نُزّل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء، نحو: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) استعير التبشير (وهو الإخبار بما يسر) للإنذار وهو الإخبار بما يسوء لغرض السخرية. وقال قوم شعيب له على سبيل السخرية: (يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ). شبهوا السفه والغيّ (الذي ظنوه به جهلا) حلما ورشدا.

أركان الإستعارة

للإستعارة أركان ثلاثة:

١- المستعار منه، وهو المشبّه به.

٢- المستعار له، وهو المشبه، ويقال لهذين: (طرفا الإستعارة).

٣- المستعار، وهو اللفظ المنقول.

ففي (رأيت أسداً يرمي) المستعار منه: الحيوان المفترس، والمستعار له: زيد، والمستعار: لفظ أسد.

أقسام الإستعارة

ثم إنّ الإستعارة تنقسم باعتبار ما يذكر من طرفي الإستعارة إلى ما يلي:

١ ـ أن يذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط، ويسمّى: (استعارة تصريحية)، نحو: (فأمطرت لؤلؤاً من نرجس...) فاللؤلؤ: الدمع، والنرجس: العين.

٢ ـ أن يذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، ويؤتى ببعض لوازم المشبه به. ويسمّى: (استعارة بالكناية) وسمي اللازم (استعارة تخييلية) كقوله: (وإذا المنية انشبت أظفارها) فإنه شبّه المنية بالسبع، وأثبت لها بعض لوازم السبع وهو الظفر، فالمنية: استعارة بالكناية، والأظفار: استعارة تخييلية.

ومنه يظهر: تلازم الإستعارة بالكناية مع الإستعارة التخييلية.

الاستعارة باعتبار المستعار له

تنقسم (الاستعارة) باعتبار (المستعار له) الى قسمين:

١ ـ الاستعارة التحقيقيّة: وهو ما كان المستعار له محققاً حسّاً: كالأسد المستعار للشجاع، أو عقلاً: كالصراط المستقيم المستعار للدين.

٢ ـ الإستعارة التخييلية: وهو ما كان المستعار له موهوبـاً، غيـر محقـق، لا عقـلاً ولا حسّـاً، كالاظفار المستعارة للمنية.

الإستعارة باعتبار اللفّظ المستعار

تنقسم (الإستعارة) باعتبار اللفظ المستعار إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ ما كان لفظ المستعار إسماً لذات: كالبـدر للجميـل، أو اسـماً لمعنـى: كالقتـل للضـرب الشديد، وتسمى الإستعارة (أصلية).

٢ ـ ما كان لفظ المستعار فعلاً، أو اسـم فعـل، أو اسـماً مشـتقّاً، أو اسـماً مبهمـاً، أو حرفـاً، وتسمى الاستعارة: (تصريحية تبعية).

٣ ـ ما كان لفظ المستعار اسماً مشتقّاً، أو اسماً مبهماً، وتسـمى هـذه الاسـتعارة: (تبعيـة مكنية) وهذا داخل في القسم الثاني.

الإستعارة العنادية والوفاقية

ثم أن الاستعارة المصرحة تنقسم باعتبار الطرفين إلى قسمين:

١ ـ العنادية، وهي التي لا يمكن اجتمـاع طرفيهـا فـي شـيء واحـد، لتعانـدهما، كاجتمـاع الهدى والضلال، والنور والظلام.

٢ ـ الوفاقية، وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، لتوافقهمـا، كاجتمـاع النـور والتقى، والحياة والهداية.

ومثال الاثنـين: العناديـة والوفاقيـة، قولـه تعـالى: (أو مـن كـان مّيْتـاً فأحييناه) أي: ضـالاً فهديناه، فإنّ في هذه الآية استعارتين هما:

أ - استعارة المـوت للضـلال لاشـتراكهما فـي عـدم الانتفـاع، وهـي عناديـة لعـدم امكـان اجتماع الموت مع الضلال الذي لا يكون إلا في الحي لأنّ الضالّ حيّ.

ب - استعارة الإحياء للهداية لاشتراكهما في ثبوت الانتفاع، وهي وفاقيّة لإمكان اجتماع الإحياء والهداية.،، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ"

أقسام الاستعارة العنادية

ثمّ انّ الاستعارة العنادية على قسمين:

١ ـ التمليحية: بأن يستعمل اللّفظ الموضوع لمعنى شريف في ضدّه أو نقيضه، كقوله: (رأيت أسداً) وهو يريد: جباناً.

٢ ـ التهكمية: بأن ينزّل التضاد منزلة التناسب، نحو قوله تعالى: (فبشِّرهم بعذاب أليم) أي: أنذرهم، فاستعيرت البشارة للإنذار الّذي هو ضدّه على سبيل التهكم والإستهزاء.

الإستعارة باعتبار الجامع

وتنقسم الإستعارة المصرحة باعتبار الجامع إلى قسمين:

١ ـ عامية، وهي المعلومة لدى كل أحد، نحو: (رأيت أسداً يرمي) والجامع بين الطرفين واضح وهي الشجاعة.

٢ ـ خاصية، وهي التي تحتاج الى فكر وتأمّل، نحو:

غمّرُ الرداء إذا تبسّم ضاحكا غَلقت لضحكته رقابُ المال

والجامع بين الطرفين غير واضح يعرف بالتأمّل فيه وهي ساتريّة الكرم كالرداء عرض صاحبه، أي أن كرمه يستر معايبه.

الإستعارة باعتبار الملائمات

وتنقسم الإستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار منه أو ملائم المستعار له، وعدم ذكرها، إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ المطلقة، وهي مالم تقترن بما يلائم أحدهما، أو اقترنت بما يلائمهما معاً.

فالأول، نحو قوله تعالى: (ينقضون عهد اللّه).

والثاني، نحو:

لــدى أســد شــاكي الســلاح مقــذّف لـــه لـــبدٌ أظفـــاره لـــم تقلـــَّم

فشاكي السلاح للرجل، وله لبد ـ الخ ـ للأسد.

٢ ـ المرشَّحة، وهي ما قرنت بملائم المستعار منه، نحو: (أسد له لبد أتاك..).

٣ ـ المجرّدة، وهي ما قرنت بملائم المستعار له، نحو: (أسد شاكي السلاح..).

المجاز المركب بالإستعارة

تقدم أن المجاز إما مرسل وإما استعارة، وكل واحد منهما إما مفرد أو مركّب، وسبق الكلام حول المفرد من الاستعارة، وسنتكلم عن المركب من الاستعارة هنا.

والمجاز المركّب بالإستعارة التمثيلية: هو الكلام المستعمل في غير معناه الموضوع له، لعلاقة المشابهة، كقولهم للمتردّد: (أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى) تشبيهاً بالمتردّد في السير، وقولهم لمن يريد أن يعمل ما لا يقدر عليه وحد: (اليد لا تصفّق وحدها) تشبيهاً له باليد الواحدة.

هذا في النثر، وفي الشعر أيضاً ورد ذلك نحو قوله:

إذا جـــاء موســـى وألقـــى العصـــى فـــقد بطـــل الســحـــر والساحـــر

ونحو قوله:

متـــى يبلـــغ البنيـــان يومـــاً تمامـــه إذا كـــنت تبنيـــه وغيـــرك هـــادم

وإذا كثر استعمال الإستعارة التمثيليّة وشاع كان مثلاً، فلا يغيَّر مطلقاً، وإنما يخاطب به المفرد والمذكّر وفروعهما بلفظ واحد، دون أيّ تغيير.

المجاز: ثالثا: المجاز المرسل:

أما إذا كانت العلاقة بين المعنى المستعمل فيه والمعنى الأصلي غير المشابهة فإنه يسمى المجاز المرسل:

المجاز المفرد المرسل

المجاز المفرد المرسل، هو اللفظ المستعمل ـ بقرينه ـ في خلاف معناه اللغوي لعلاقة غير المشابهة، وعلاقات المرسل متعددة:

أ- فإذا سمي الشيء باسم جزئه تكون العلاقة الجزئية: "قم الليل إلا قليلا"، أي صل لأنه ذكر القيام وأراد الصلاة لأنه جزء منها (فتحرير رقبة مؤمنة) أي انسان مؤمن، والقرينة: التحرير.

ب- وقد تكون العلاقة كلية: "يجعلون أصابعهم في آذانهم"، فليس كل الاصبع في الأذن فذكر هنا الكل وأراد الجزء،

ت- السببية: أي تسمية الشيء باسم سببه:" فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"، سمى رد أو جزاء الاعتداء من قبيل تسمية الشيء باسم سببه: "إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم" "ومكروا ومكر الله"،، "فيسخرون منهم سخر الله منهم"،، و"نسوا الله فنسيهم"،، "وجزاء سيئة سيئة مثلها".

تسمى هذه العلاقة أحيانا الجزائية: أنبت الأرض مطرا.

ث- المسببية: تسمية الشيء باسم المسبب عنه: أمطرت السماء نباتا،، (وينزل لكم من السماء رزقاً) أي: مطراً، إذ المطر سبب الرزق، والقرينة: الانزال من السماء.

ج- باعتبار ما سيكون عليه: "إني أراني أعصر خمرا" أي عصيراً يؤول أمره إلى الخمر، إذ هو حال العصر لا يكون خمراً، ويسمّى(المجاز بالأول).

ح- باعتبار ما كان عليه: "وآتوا اليتامى أموالهم" لأنه لا يتم بعد البلوغ

خ- تسمية الحال باسم المحل: فليدع ناديه/ واسأل القرية التي كنا فيها

د- تسمية المحل باسم الحال: "وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة اللّه" أي في الجنه وهي المحل والرحمة حالة فيها. (أرى سواداً من بعيد)، فإن المراد الذات، والسواد حالّ.

ذ- الحذف: "إن الذين يؤذون اللّه ورسوله": أي يؤذون أولياء اللّه

ر- وضع لفظ مكان غيره للمجاورة: تسمية الشيء باسم غيره للمجاورة قولهم للسقا الراوية والراوية اسم الجمل الذي يحمل عليه السقا الماء، (كلمت الجدار) أي الجالس بجنبه.

ز- المجاورة، استخدام لفظ دال على شيء معين ليدل على مجاوره، نحو قول عنترة:

فشَككْتُ بالرمح الأصم ثيابَه ليس الكريمُ على القنا بِمُحرَّمِ

عبر بالثياب عما يليها من الجسد أو القلب.

س- الآلية، بأن يستعمل الآلة في المسبب منها، قال تعالى: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) بمعنى الذكر الحسن، فإن اللسان آلة للذكر، والقرينة: ان اللسان لا يبقى، ولا ينفع الميت بمجرّده.

ش- اللازمية، بأن يستعمل اللازم في الملزوم، نحو: (طلع الضوء) حيث يراد به الشمس.

ص- الملزومية، بأن يستعمل الملزوم في اللازم، نحو: (جلست في القمر) أي في ضوئه.

ض- المقيدية، بأن يستعمل المقيّد في المطلق، نحو: (مشفر زيد مجروح) فإن (المشفر) في اللغة: شفة البعير، فاستعمل في مطلق الشفة، ثم نقل إلى شفة الإنسان وهو زيد.

ط- المطلقية، بأن يستعمل المطلق في المقيّد، نحو: (تحرير رقبة) أي رقبة مؤمنة.

ظ- العمومية، بأن يستعمل العام في الخاص، قال تعالى: (الذين قال لهم الناس) والمراد عبد اللّه بن مسعود.

ع- الخصوصية، بأن يستعمل الخاص في العام، نحو: (جاءت قريش) فإن المراد القبيلة، مع أن قريش عَلَم لجدّهم.

غ- المجاز بالمشارفة، وهو كالمجاز بالأول إلا أن الفرق بينهما كون (الأوْل) أعم من القريب والبعيد، و(المشارفة) لخصوص القريب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من قتل قتيلاً فله سلبه) فإن القتيل لا يُقتل، وإنما المراد المشرف على القتل ومثله: (إذا مات الميّت).

ف- البدلية، بأن يستعمل البدل في المبدل منه، كقوله

تيمَّمنا بماء المزن حتى فقدناه فقمنا للتراب

والمراد: توضّينا، فإنّ التيمّم بدل عن الوضوء، والوضوء مبدل منه، فاستعمل البدل في المبدل منه.

ق- المبدلية، بأن يستعمل المبدل منه في البدل، كقولهم: (أكل فلان الدم) يريدون الدية، فإن الدم مبدل منه.

ك- اطلاق المصدر على اسم الفاعل، كقوله:

ولما بدا سيرٌ ذهبت لنحوه لاستبرء الاخبار من أهل كوفان

فالمراد بالسير: السائر.

م- اطلاق المصدر على اسم المفعول، كقوله تعالى: (هذا خلق الله) أي مخلوقه.

ن- اطلاق اسم الفاعل على المصدر، قال تعالى: (ليس لوقعتها كاذبة) أي: تكذيب.

ه- اطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول، قال تعالى: (لا عاصم اليوم من أمره الله) أي لا معصوم.

و- اطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل، قال تعالى: (حجاباً مستوراً) أي ساتراً.

ي- اطلاق اسم المفعول على المصدر، كقوله: (بمنصور النبي على الاعادي...) أي بمثل نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أعاديه.

ولا يخفى ان في بعض الامثلة مناقشة، كما أن العلاقة لاتنحصر فيما ذكروا، بل كلما استحسنه الطبع جاز استعماله.

وهنالك المجاز العقلي: وهو إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي لغرض بلاغي كقولنا: جمع أبو بكر القرآن. والمجاز العقلي على قسمين:

الأول: المجاز في الإسناد، وهو إسناد الفعل أو ما في معنى الفعل إلى غير من هو له، وهو على أقسام، أشهرها:

١. الإسناد إلى الزمان، كقوله: (من سرّه زمن ساءته أزمان) فإن إسناد المسرّة والاساءة إلى الزمان مجاز، إذ المسيء هو بعض الطواريء العارضة فيه، لا الزمان نفسه.

٢. الإسناد إلى المكان، نحو قوله تعالى: (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) فإنّ إسناد الجري إلى الأنهار مجاز، باعتبار مائها.

٣. الإسناد إلى السبب: (بنى الأمير المدينة) فإنّ الأمير سبب بناء المدينة لا أنّه بناها بنفسه.

٤. الإسناد إلى المصدر، كقوله: (سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدّهم) فإنّ الفعل (جَدَّ) أُسند إلى المصدر: (جِدّهم) مجازاً، لأنّ الفاعل الأصلي هو الجادّ.

الثاني: المجاز في النسبة غير الإسنادية، وأشهرها النسبة الإضافيّة نحو:

١. (جَرْيُ الأنهار) فإنّ نسبة الجري إلى النهر مجاز باعتبار الإضافة إلى المكان.

٢. (صومُ النهار) فإنّ نسبة الصوم إلى النهار مجاز باعتبار الإضافة إلى الزمان.

٣. (غُرابُ البَين) فإنّه مجاز باعتبار الإضافة إلى السبب.

٤. (اجتهاد الجِدّ) مجاز باعتبار الإضافة إلى المصدر.

ونلاحظ في جميع أنواع المجاز لا بد من أن تصحبه قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي.

المجاز المركّب المرسل

تقدم أن المجاز إما مرسل وإما استعارة، وكل واحد منهما إما مفرد أو مركّب، وسبق الكلام حول المفرد منهما، والمركب من الاستعارة وبقي المركّب من المرسل.

فالمجاز المرسل المركب: هو الكلام المستعمل في غير المعنى الموضوع له، لعلاقة غير المشابهة، ويقع في المركبات الخبرية والإنشائية، لأغراض أهمها:

١ ـ التحسّر، كقوله: (ذهب الصِّبا وتولّت الأيّامُ..) فإنه خبر أريد منه انشاء التحسّر على ما فات من شبابه.

٢ ـ اظهار الضعف، قال تعالى: (ربّ إنّي وهن العظمُ منّي...) اظهاراً للضعف.

٣ ـ اظهار السرور، قال تعالى: (يا بُشرى هذا غلام).

٤ ـ الدعاء، كقوله: (هداك اللّه للسبيل السويّ).

٥ ـ اظهار عدم الإعتماد، قال تعالى: (هل آمنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه)

المجاز: رابعا: الكناية:

أما إذا أريد لازم المعنى للفظ مع جواز إرادة المعنى الحقيقي فتسمى حينئذ كناية:

مثل نؤوم الضحى فلازم المعنى المقصود أننا نتكلم عن المرأة المخدومة في بيتها وقد يراد المعنى الحقيقي أي أن المرأة تنام وتتأخر في نومها حتى الضحى فهذه الكناية عن الموصوف، ومثال آخر:

فلما شربناها ودبّ دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

أراد بموطن الأسرار القلب.

وأما الكناية عن صفة: عريض القفا: عن البله والحمق وهذا لازم المعنى وقد يراد بهذا التعبير المعنى الحقيقي، فلانة بعيدة مَهْوى القُرْطِ، كناية عن طول العنق.

وقد تدل الكناية على النسبة مثل: المجد بين ثوبيه والكرم بين يديه.

إن السماحة والمروة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإن تخصيص هذه الثلاثة بمكان ابن الحشرج يتلازم نسبتها إليه.

وقد تدل الكناية على المعنى تعريضا أي أن يكون فهم المعنى من اللفظ بالسياق والقرينة: "أو لامستم النساء": كناية عن الجماع بالدخول

"واجعل لي لسان صدق في الآخرين" كناية به عن الثناء الحسن

وقالت فاطمة بنت قيس للنبي صلى اللّه عليه وسلم قد خطبني أبو الجهم في جملة من خطبني فقال: أما أبو الجهم فإنه رجل لا يضع عصاه عن عاتقه

كناية عن أنه يضرب النساء أو أنه يضرب في الأرض ولا يستقر بمكان.

ثم إن الكناية عن الصفة تكون على قسمين:

١. قريبة، وهي التي لا يحتاج الإنتقال فيها إلى اعمال روية وفكر، لعدم الواسطة بينها وبين المطلوب.

٢. بعيدة، وهي التي يحتاج الإنتقال فيها إلى اعمال روية وفكر، لوجود الواسطة بينها وبين المطلوب.

فمثال الأول: (طويل النجاد) فإن النجاد حمائل السيف، وطوله يستلزم طول القامة بلا واسطة.

ومثال الثاني: (كثير الرماد) فكثرة الرماد تستلزم الكرم لكن بواسطة، لأنّ كثرة الرماد ملازمة لكثرة الإحراق، وهي ملازمة لكثرة النار والطبخ، وهي ملازمة لكثرة الضيوف، وهي ملازمة للكرم، المقصود

تنقسم الكناية باعتبار اللوازم والسياق إلى أربعة أقسام:

١. التعريض، وهو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضاً بالمخاطب، كقولك للمهذار: (إذا تمّ العقل نقص الكلام).

٢. التلويح، وهو أن تكثر الوسائط بدون تعريض، نحو: (كثير الرماد) و(وجبان الكلب) و(مهزول الفصيل).

٣. الرمز، وهو أن تقل الوسائط مع خفاء في اللزوم بدون تعريض، كقولهم: (فلان متناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه، إذ الذكاء الكثير في الجسم المتناسب، وقولهم: (هو مكتنز اللّحم) كناية عن قوّته وشجاعته.

٤. الإيماء وهو أن تقل الوسائط، مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقوله:

اليُمن يتبع ظله والمجد يمشي في ركابه

هذا بحث الحقيقة والمجاز.

أمثلة توضح فهم بلاغة القرآن وإعجازه

وهذه الأبحاث تخدم في مسألة فهم بلاغة القرآن وإعجازه،، ولك مثلا أن ترجع لتفسير الظلال ولكتابات سيد قطب رحمه الله لترى كيف تفهم بلاغة القرآن.

على أنني أحببت والوقوف مع بعض الأمور المتعلقة بالبحث هنا:

١. من خصائص التشبيه في البيان العربي كونه عنصراً أساسياً في التركيب الجملي، والمعنى العام المراد لا يتم إلا به، فالنص الأدبي الممتاز لا يقصد إلى التشبيه بوصفه تشبيهاً فحسب، بل بوصفه حاجة فنية تبنى عليها ضرورة الصياغة والتركيب، فهو وإن كان عنصراً أساسياً يكسب النص روعة واستقامة وتقريب فهم، إلا أنه يبدو عنصراً ضرورياً لأداء المعنى المراد من جميع الوجوه، لأن في التشبيه تمثيلاً للصورة، وإثباتاً للخواطر، وتلبية لحاجات النفس.

إنك تستطيع من خلال التشبيه تكييف النص الأدبي نحو المعنى المراد، دون توقف لغوي، أو معارضة بيانية، مسيطراً على الموقف من خلال تصورك لما تريد إمضاءه من حديث، أو إثباته من معنى.

أ- أما في الترغيب فانظر إلى قوله تعالى: [وَعِندَهُم قاصراتُ الطّرفِ عِينٌ كأنَّهُنَّ بَيضٌ مكنونٌ].

ألا ترى ما في الوصف والتشبيه في هاتين الآيتين من التراصف، وإثارة النفس، نحو التعليق بمن تتحقق فيه هذه الأوصاف التي تطمئن إليها الروح، وتهش لها النفس، ويتطلع إليها الفكر مع نقاء الصورة، ولطف الاستدراج، ورقة الترغيب المتناهي، فقد وصف نساء أهل الجنة بحسن العيون الناظرة إلى أزواجها فحسب عفة وخفراً وطهارة، وشبههن بالبيض المكنون على عادة العرب في وصف وتشبيه من اشتد حجابه، وتزايد ستره، بأنه في كن عن التبرج، ومنعة من الاستهتار.

ب- وأما في التنفير، فتزداد النفس عزوفاً، وتتوارى عن الصورة المتخيلة أو المتجسدة نفوراً، وقد شبهت بما هو أقبح منها، حتى تبدو الاستهانة واضحة والاشمئزاز منها متوقعاً، مضافاً إلى الهلع والرعب والتطير الذي توجده هذه الصورة الشديدة، وإن شئت فانظر إلى قوله تعالى: [وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهمُ الريحَ العقيم، ما تَذَرُ مِن شيءٍ أتت عليه إلا جعلتهُ كالرَّميم].

سترى كيف ازدادت عندك الحالة المتصورة سوءاً. وكيف نفر منها طبعك نفوراً، فما هو شأن هذه الريح المشؤمة التي جاءت بعذاب الاستئصال؟ وما هي خصائصها التي أوجدها الله _عزّ وجلّ _ وسخرها للهلاك التام المدمر حتى عاد كل شيء أتت عليه كالورق الجاف المتحطم نظراً لشدة عصفها، وسرعة تطايرها، وخفة مرورها. وإضافة إلى ما تقدم نلمس في تشبيهات القرآن، وهي الذروة في تشبيهات اللغة العربية الكريمة، المحاكاة في الأمور المحسوسة، والمماثلة في الإدراكات المشاهدة، لأن في التصوير الحسي، والتشبيه في المشاهدات، انتقالاً من الأمور الذهنية الصرفة إلى العيان والنظر، وانصرافاً من القضايا العقلية المحضة إلى انعام الحواس بما تدركه دون جهد عقلي في تصور أمر مفروض، أو معنى ذهني مجرد، لا

يتحقق مصداقه في الخارج إلا بما هو حسي، فيزول - عندئذ - الغموض والإبهام، وتدرك في ضوء ذلك حقائق الأشياء.

إذ الصورة التي يكدح العقل ويكد الذهن في استخراج أجزائها وربط علاقاتها، تكاد تكون بعيدة عن الدائرة الفنية للتشبيه، لأن إدراك المعقولات بعملية عقلية خالصة، لا يكون من اليسر كإدراكها بالحسيات المشاهدة، وإن شئت فانظر إلى قوله تعالى: [يَومَ نَطوي السماءَ كَطَي السّجلِ للكُتُبِ].

فالآية ناظرة إلى تجديد الخلق للجزاء، وبعثهم يوم القيامة، وإعادتهم بعد إفنائهم، فهذه السماء المشاهدة النيرة بالنجوم والكواكب والشمس والقمر سوف تطوي في ذلك اليوم كما يطوي الكتاب على ما فيه، ثم ينشر للعمل به، والاستفادة من محتوياته، فالمشبه والمشبه به مما يدرك بالحواس الناظرة والمتصورة تصوراً بدائياً لا عناء فيه ولا تكلف، تمثّلت الصورة فيه واضحة، وتحققت الفكرة بسيطة سليمة، تدرك في الأثر والشكل والحركة والنظام.

لهذا نجد تشبيهات القرآن باستخدامها جميع هذه الأصناف أكثر تأثيراً، وأقوى دلالة من المشبه، لتحقيق الجوانب التمثيلية من جميع جهاتها متجاوبة مع ما يحدثه هذا التنوع من تأثير على النفس، كما ستلمس هذا جلياً من خلال النماذج القرآنية الآتية:

أ- حينما يريد الله أن يشبه قلوب بني إسرائيل قساوةً استعمل المدلول الحسي لإصابة المعنى المراد فقال تعالى: [ثُمَّ قَسَت قُلُوبكم من بعدِ ذلكَ فَهيَ كالحجارةِ أو أشدُّ قَسوة]. فهذا الحجر القاسي المتصلد قد ينفجر منه الماء، وقد تجري منه العيون، وقد تشقق الأنهار، ولكن قلوبهم أشد قسوة، وأكثر غلظة، إذ ذهب لينها، وتلاشت رقتها، وذلك غاية ما يتصور، ونهاية ما يحتسب وذلك أن يكون القلب أقسى من الحجر.

إن التطلع الواعي لتشبيه هذه الآية يعني اضطراب النفس حول هذا المصير المؤلم لهذا الجزء الشفاف من البدن وهو القلب، وليس المراد هو هذا العضو الصنوبري بمركباته العضوية، وإنما المراد هو هذا العضو بما ضم بين جانبيه من مخايل الرحمة والرقة والهدى والإيمان، وما يستلزم ذلك من الهداية والرشاد

والاطمئنان، وبهذا التشبيه تحقق نفي هذه المستلزمات جميعاً عـن القلـب، فعـاد حجارة لا تضر ولا تنفع، صماء لا تستهدي ولا تستشير.

ب- وحينما يريد القرآن الكريم التزهيد في الحياة الدنيا، فإنّه يسلك عدة سـبل لـذلك، ولكنـه حينمـا يعتمـد التشـبيه الفنـي صـورة حيـة لـذلك، فإنـه يعمـد إلـى هبـات الطبيعة، ومقومات الحياة، فيصورها بما يبلـغ بـه المـراد، فتجـده مـن خـلال ذلـك ينظر إلى الماء بوصفه عنصراً أساسياً في حياة الإنسان، فهو يـدور معـه حيـث دار، ويتعلق به أنى وجد، فارتباطه به ارتباطاً أساسياً في حياة الإنسان، فهو يدور معه حيث دار، ولكنه مع ذلك ينتفع به انتفاعاً محدوداً قـدر الحاجـة، ومـا زاد علـى ذلـك فهو سارب في سبيله، لا دوام له ولا بقاء، فعمد إلى تشبيه الحيـاة الـدنيا بـه مـن خلال هذا الملحظ الدقيق في محاولة تفرض التأثير على الـنفس، وتوجـه الانتبـاه المتزايد، فقال تعالى: [واضرب لَهُم مَثـلَ الحيـاةِ الـدُّنيا كمـاءٍ أنزلنـاهُ مِـنَ السـماءِ فاختلطَ بـهِ نبـاتُ الأرض فأصبحَ هشـيماً تـذروهُ الريـاحُ وكـانَ اللّه علـى كُـلِ شـيءٍ مقتدرا].

ت- وحينما يرصـد القـرآن الكـريم البيئـة المختلفـة لطبقـة مـن النـاس همهـا علفهـا، وشـغلها تقممهـا، لا تفكيـر لهـا إلا فـي الملـذات، ولا أمـر عنـدها إلا فـي ظـلال الشـهوات، فالمتعـة لا تتحقـق لـديهم إلا بانتقـاء الأطعمـة، والحيـاة لا تصـفو إلا بأطايب المأكولات، عمد إلى تصوير حالهم مع كفرهم، وكونهم بـذلك لا يرجـون إلا الحياة الدنيا، ولا يعملون إلا لها، فقال تعالى: [والَّذين كفروا يَتَمتَّعُونَ ويأكُلُونَ كما تأكُلُ الأنعامُ....]

في كل هذه النماذج القرآنيـة نـرى العلاقـة قائمـة بأصـالة متناهيـة بـين المشـبه والمشبه به. لهذا نجد البلاغيين بحـق قـد اشـترطوا وجـود العلاقـة بـين المشـبه والمشبه به بما يتناسب مع الإدراك، لأنه تقويم للتشبيه من الولوج بباب الإيغال والإيهـام، وهـذا يقتضـي أن ينسـجم التشـبيه فـي طرفيـه بمـا تسـيغه الحـواس المختلفة، لأن الجوانب الحسية قلما تتداخل مع بعضها، وتختلف باختلاف الحواس عند الإنسان، فهـي تـدرك حينـاً بـالعين المجـردة، وتـدرك حينـاً بالعقـل الفطـري، وتدرك حيناً بالواقع الملموس المشاهد، لئلا تتهافـت الصـور فـي التشـبيه فتعـود شـاحبة غيـر متجانسـة، أمـا إذا كانـت متجانسـة _كمـا هـي الحـال _ فـي النمـاذج

السابقة فقد اقتربت من الفهم، واستقرت في المخيلة، بما تمليه طبيعة إدراك الحواس لها، وذلك عند ضم بعضها إلى البعض الآخر بإطار من الوضوح والقرب والتكافؤ.

٢. الاستعارة فن قولي، قد يجمع بين المتخالفين، ويوفق بين الأضداد، ويكشف عن إيحائية جديدة في التعبير، لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي، وهي من أبرز صور البيان العربي، جلى فيها القرآن بكثير من مواطنه، وتناولها الحديث في جملة من شذراته، وتداولها الشعر العربي في أوابده وشوارده.

إننا نستطيع أن نلمس في الاستعارة عدة خصائص فنية يمكن إجمالها بالشكل الآتي:

أ- إن الاستعارة تنتقل بالنص من الجمود اللفظي المحدد له إلى السيرورة في التعبير، والمرونة في الاستعمال، ألا ترى إلى قوله تعالى: [واشـتَعَلَ الـرّأسُ شَيباً]. إنك تقف مبهوراً أمام بلاغة التعبير، ودقة المعنى، وسيرورة الألفاظ، فالمستعار منه هو النار، والمستعار له هو الشيب، وقد جمعهما معنى حسي بوجه حسي، وهو التوهج، وإنك لا تجد ذلك في: وازداد الرأس شيباً، ولا في: شاب رأسي، ولا في غيرهما عند التقدير، فكأن اللفظ بصيغته الاستعارية وضعت لهذا المعنى السيار.

ب- يتجلى في الاستعارة إعطاء صفة الفعل لمن لا يفعل، وإضاءة الكائنات بالتصرف وإن لم تتمكن، ألا ترى إلى قوله تعالى: [إذا أُلقوا فيها سَمِعوا لها شهيقاً وهي تَفورُ، تَكادُ تَميَّزُ من الغيظِ كُلما أُلقي فيها فوجٌ سألَهُم خزنَتُها ألم يأتِكُم نذيرٌ] وما فيه من إضفاء صفة من يعقل إلى ما لا يعقل، ومزية من يعمل إلى من لا يعمل، وفضيلة الفعل إلى من لم يفعل.

حيث نجد الاستعارة قد حققت في الألفاظ الثلاثة: الشهيق، تميز الغيظ، دلالة لا يمكن استيعابها في الألفاظ الاعتيادية لو استبدلت فيها، وفي هذا الاستعمال صوت نار جهنم بصورة هائلة تخيلتها ازددت منها رعباً، وملئت منها فزعاً، وكأنها مخلوق ذو قوة وبطش، ومجهول ذو منظر عبوس.

ت- يتمثل في الاستعارة، تهويل الأمر، ودقة المبالغة، وشدة الوقع، ويمثل هذا الملحظ قوله تعالى: [ذَرني وَمَن خَلَقتُ وَحيداً].

فالمراد ذر بأسي، وأترك عذابي وعقوبتي، إلا أن المبالغة في التهديد، والشدة في الوعيد، اقتضت نسبة ذلك إليه _تعالى _ ولو استعمل غير هذا اللفظ لما قام مقامه، ولا أدى دلالته، ولبقيت الصورة المرادة غير ماثلة للعيان كما هو الحال الآن.

ث- تريك الاستعارة في تعبيرها إشاعة الحياة في الجماد، وإفاضة الحركة عند الكائنات، وكأنها ناطقة تتكلم، ومكلفة تمتثل، وقادرة تتصرف، كما في قوله تعالى: [ثُمَّ استوى إلى السّماءِ وهي دُخانٌ فقالَ لها وللأرضِ ائتيا طوعاً أو كَرهاً قالتا أتينا طائعينَ].

وفي هذا دلالة على التوسع في اللغة، والمبالغة في الإيجاز، والتفنن في التصوير، فإشاعة الحركة في السماء والأرض تغني عن شرح إطاعتهما وكيفيته بالتقدير أو التسخير، وإضافة هذه المقدرة في الاستماع والاستجابة تكفي عن البيان المستفيض في الإبداع، وتصورها بهيئة من يعي ويسمع وينطق تغني عن التمثيل والتشبيه.

ج- يلاحظ في الاستعارة التقريب الوصفي، ومراعاة المناسبة، ولمح الصلة بين الأصل والنقل الاستعاري، وذلك كقوله تعالى: [وءايةٌ لَّهُمُ الَّيلُ نسلَخُ منهُ النّهارَ].... "وهذا الوصف إنما هو على ما يتلوح للعين لا على حقيقة المعنى، لأن الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه لغروب الشمس وإضاءته لطلوعها، وليسا على الحقيقة شيئين يسلخ أحدهما من الآخر، إلا أنهما في رأي العين كأنهما ذلك، والسلخ يكون في الشيء الملتحم بعضه ببعض، فلما كانت هوادي الصبح عند طلوعه كالملتحمة بإعجاز الليل اجرى عليها اسم السلخ، فكان أفصح من قوله لو قال: نخرج، لأن السلخ أدل على الالتحام المتوهم فيهما من الإخراج."

وكل ما تقدم من خصائص يوحي بأن الاستعارة هي التي لونت هذه الصور، وكشفت أصالة ما يريد القرآن في التعبير عنه بآياته المشتملة على الاستعارة لغرض خاص يمنحها قوة الأمثال من جهة في السيرورة والانتشار، والدرجة البلاغية في المتانة والجودة من جهة أخرى، بحيث يعود لفظ الاستعارة متميزاً لا يسد مسدّه لفظ آخر، ولا يشاكله تعبير مقارب، وتلك لمحات فنية مؤثرة، وأسرار جمالية متناهية آثرت التصوير الاستعاري بإضافات تحدت المفهوم الحقيقي للكلمات في أصل اللغة، وبذلك

بلغت الاستعارة في القرآن الكريم مرتبة الإعجاز، وفاقت المستوى الحضاري للكلمات في ذروة تطورها وعطائها عند العرب.

٦

معرفة خصائص اللغة

شيء من فقه اللغة وسر العربية

من ذلك: أنها أفضلُ اللغات وأوسعُها قال ابنُ فارس في فقه اللغة: لغةُ العرب أفضلُ اللغات (أقدرها على التعبير والتوسع والانتشار) وأوسعُها قال تعالى: "وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) فوصفه - سبحانه - بأبلغ ما يُوصَف به الكلامُ وهو البيان وقال تعالى:" خلق الانسان علمه البيان" فقدَّم - سبحانه - ذِكْرَ البيان على جميع ما توحَّد بخَلْقه وتفرَّد بإنشائه من شمسٍ وقمر ونجْم وشجر وغير ذلك من الخلائق الـمُحْكَمَة والنشايا المتقنة فلما خصَّ - سبحانه - اللسانَ العربي بالبيان عُلم أن سائرَ اللغات قاصرةٌ عنه وواقعةٌ دونه.

فإن قيل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي لأن كلَّ من أفهمَ بكلامه على شرط لُغته فقد بيَّن. قيل له: إن كنتَ تريد أنّ المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعْرِب عن نفسه حتى يفهَم السامعُ مُراده فهذا أخسُّ مراتب البيان لأن الأبْكم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يُسمى متكلماً فضلاً عن أن يُسمى بَيِّناً أو بليغاً وإن أردت أنَّ سائرَ اللغات تُبين إبانَةَ اللغة العربية فهذا غلط لأنا لو احتجنا إلى أن نُعَبِّر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفاتٍ كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء والـمُسَمَّياتِ بالأسماء المترادفة.

ومما لا يمكنُ نقلهُ البتَّة أوصافُ السيف والأسد والرُّمح وغير ذلك من الأسماء الـمُترادفة ومعلوم أن العجمَ لا تعرفُ للأسد أسماء غيرَ واحد فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم.

قال أبو عبد اللّه بن خالَويْه الهمذاني: جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحيَّة مائتين، ونظيرُ ذلك ما في فقه اللغة للثعالبي: (في الدَّوَاهِي)

قَدْ جَمَعَ حَمْزَةُ مِنْ أَسْمَائِهَا ما يَزيدُ علَى أَرْبَعمائَةٍ، و ذَكَرَ أن تَكاثرَ أَسْماءِ الدَّواهِي مِن إحْدَى الدَّواهِي، ومِنَ العَجَائِبِ أنَّ أمَّةً وَسَمَتْ معنىً واحداً بمئينَ مِنَ الألْفَاظِ. وليستْ سِيَاقَتُها كلُّها مِنْ شُروطِ هذا الكِتَابِ، وقَدْ رَتَبْتُ مِنْهَا ما انْتَهتْ إليهِ مَعْرِفَتِي.

[فَمِنها مَا جَاءَ عَلَى فَاعِلَةٍ] يُقال: نَزَلَتْ بِهِمْ نازِلَةٌ، و نائبَة، وحادِثَةٌ،،، ثُمَّ آبِدَة، وَداهِيَةٌ، و باقِعَةٌ،،، ثُمَّ بائِقَة، وحَاطِمَةٌ، و فَاقِرَة،،، ثُمَّ غاشِيَة، وواقِعَة، وقارِعَة،،،ثُمَّ حَاقَّة، وطَامَّة، وصَاخَة.

[ومِنها مَا جَاءَ عَلَى التّصغِير] جاءَ: الرُّ بَيْقُ والأُرَيْقُ،،، ثُمَّ الدُّويهيَّة، والجُوَيْحِيَّةُ.

[ومِنْها مَا جَاءَ مُردفاً بالنُّونِ] جاءَ: بالأمَرِّينَ والأقْوَرينَ ثُمَّ الدُّرَخْمِينَ والحَبْوكَرينَ

ومِنْهَا: جَاءَ بالعَنْقَفِير، والخَنْفَقِيق، ثُمَّ بالدَّرْدَبِيس، والقَمْطَرِير،

ومِنْهَا: وَقَعُوا في وَرْطَةٍ،،، ثُمَّ رَقَم،، ثُمَّ دَوْكَةٍ ونَوْطَةٍ،، ومِنها: وَقَعُوا في سلَى جَمل

وفي أذُنَي عَنَاقٍ،، ثُمَّ في قَرْنَيْ حِمَارٍ،،، ثُمَّ في إسْتِ كلْبٍ،، ثُمَّ في صَمَّاءِ الغَبَرَ

ثُمَّ في إحْدَى بَنَاتِ طَبَقٍ،،، ثُمَّ في ثَالِثَةِ الأثَافي،،، ثُمَّ في وَادِي تُضلّل، ووَادِي تُهلِّك.

لاحظ الدقة في التعبير عن المعنى وتناسب المعنى مع موسيقى اللفظ وجرسه.

سأل الرشيد يوما الأصمعي عن بيت شعر لابن حزام العُكْلي ففسَّره فقال: يا أصمعي إن الغريب عندك لغيرُ غريب.

قال: يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفِظت للحَجَر سبعين اسماً

قال ابن فارس: فأين لسائر الأمم ما للعرب ومن ذا يُمكنُه أن يُعبّر عن قولهم: ذَات الزُّمَين، جاء في القاموس المحيط: ولَقِيتُه ذات الزُّمين، كزُبَيْرٍ: تُريدُ بذلك تَراخِيَ الوَقْتِ،وكثرة ذات اليد، ويد الدّهر، وتخَاوَصَت النجوم (إذا صغت للغروب) ومجَّت الشمسُ ريقَها، ودرَأَ الفيء، ومَفاصل القول، وأتى بالأمر من فصّه، (فَصُّ الأمر: أصلُه وحقيقتُه. وفَصُّ الشيءِ: حقيقتُه وكُنْهُه، والكُنْهُ: جوهرُ الشيء)

وهو رَحْب العَطَن، (ورَحْبُ العَطَنِ محركةً كثيرُ المالِ واسِعُ الرَّحْلِ رَحْبُ الذِّراع) وغَمْرُ الرِّداء، (ورجل غَمْرُ الرِّداء وغَمْرُ الخُلُقِ أي واسع الخلُق كثير المعروف سخيّ، وإن كان رداؤه صغيراً) ويَخْلق ويفْري، وهو ضيّق المَجَم، (يقال للبئر التي اجتمع ماؤها جموم) قَلِق الوضِين (الوضين بِطانٌ عريضٌ مَنْسُوجٌ من سُيورٍ أو شَعَرٍ، أو لا يكونُ إلاَّ من جِلْدٍ) رابط الجأش، وهو ألْوى بعيد المُسْتَمَرّ، وهو شَرَّاب بأنقُع، وهو جُذَيلها المُحَكّك وعُذَيقُها المرَجَّب (تَرْجِيبُها: ضَمُّ أعْذاقِها إلى سَعَفَاتِها، وشَدُّها بالخُوصِ لِئَلاَّ تَنْفُضَها الرِّيحُ، أو وَضْعُ الشَّوْكِ حَوْلَها لِئَلاَّ يَصِلَ إليها آكِلٌ،) وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيماء اللطيف وما في كتاب اللّه تعالى من الخطاب العالي أكثر وأكثر كقوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة". و" يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ " المنافقون. و "وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا " وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً " " وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ". يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ".

وهذا أمر قاتِم الأعماق أسودُ النَّواحي، وله قدمُ صِدق، وقطَّع الفرس الخيلَ تقطيعاً: إذا خلّفها.

على أن ما يهمنا في البحث أيضا أمران: أولهما الألفاظ نفسها والطاقة الكامنة فيها التي تؤدي المعنى على أكمل وجه، وهذا يختص بما سميناه التأثير، وثانيهما: الترادف في الكلمات لا يعني أن كل معنى منها يؤدي ما يؤديه الآخر بل إن اتساع اللغة العربية له من العجائب ما سنحاول الوقوف بكل هيبة بين يديه.

أما الطاقة التعبيرية الكامنة في الألفاظ، والتي تؤدي المعنى خير أداء فيلاحظ في اللفظة أمور يظهر منها أن كل لفظة في العربية لها سحرها وبيانها وعالمها الذي به تمتاز عن غيرها، فإلى جانب معناها الظاهري المعجمي للكلمة أبعاد داخلية، للكلمة جِرْس وظلال وموسيقى وتأثير، وتناسق وأداء ولون، لها قوة في التعبير عن المعنى تمتاز بهذا أو ببعضه عن غيرها بحيث تمنح النص أبعاداً وقوة ومزايا وإيحاءات وبيانًا وروعة.

تأمل مثلا كلمة انفجار كيف تؤدي المعنى بموسيقى عجيبة توحي بالحدث الذي تصفه، وكلمة حسيس في قوله تعالى: "لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا" أي النار، فكبكبوا، "فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ" الكب: كبه يعني قلبه وصرعه، وكب: ثقُل، والكَبَّةُ، ويُضَمُّ: الدَّفْعَةُ في القِتالِ والجَرْيِ،

والحَمْلَةُ في الحَرْبِ، والزِّحامُ، وإفْلاتُ الخَيْلِ، والصَدْمَةُ بينَ الجَبَلَيْنِ، ومن الشِّتاءِ: شِدَّتُه ودَفْعَتُهُ، و الغَزْلَ: جَعَلَه كُبباً، هذه المعاني المجتمعه في أصل الكب يحدث لفظ الكبكبة وما فيه من القلقلة، في نفس السامع رنينا مرعبا، يخيل إليه فيه منظر باب في أعلى جهنم يفتح على حين غرة فيتدافع منه خلق كثيرون بعضهم فوق بعض يتدحرجون مقلبين مصروعين تتخيل أرجل هذا ضربت في وجه ذلك، وهذا يهوي فيأتيه الآخر من خلفه كما انفلات الخيل من معاقلها فيصدمه كما الجبلين بدفع شديد، وتسمع للاصطدام جلبته، وتتكور الخلائق بعضها فوق بعض كما تكور الكبة من الغزل، هذه المعاني توحيها لفظة واحدة: كبكبه، والقلقلة المصاحبة لجرس اللفظة توحي بموجات من البشر تحدث هذا الصخب وهذه الارتطامات كما لو قلت كب كب كب كب وهو مشهد مريع – عافانا الله-.

ومثل ذلك إذا زلزلت الأرض زلزالها، فالزلزله توحي لك بصوت ارتجاف الأرض المتتابع تهوي طبقة منها فوق طبقة ثم طبقة أخرى من طبقات الأرض فوق أختها وهكذا.

"والصبح إذا تنفس" لفظة تنفس تخرج مع النفس كأنها تفرغ الصدر من الهواء الذي فيه فيما يشبه التنهيد وهو ما يناسب هدأة الليل، وكأن الخلق ينتظرون الصبح فيتنفسون الصعداء.

قال الشاعر ابن زريق البغدادي

ودعتهـا وبـودي لـو يـودعني   صـفو الحيـاة وأنـي لا أودعهـا

لاحظ كلمة ودع كيف توحي لك بحروفها ومخارج تلك الحروف بحال من يترك محبوبته وكيف تفترق عن كلمة تركتها، ففي ودعتها ما يوحي للنفس بأن الأمر رغم أنف المودع، يشق عليه وكأنه لا يريد ان يتركها ويرحل..،

قال تعالى "كلا لينبذن في الحطمة" "إنها عليهم مؤصدة" ومثلا قال تعالى: "إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ": الانشقاق: كلمة شق/ توحي بمعناها والشَّقُّ: الصَّدْعُ البائن،، شَقَقْتُ الشيء فانْشَقَّ و شَقَّ النبتُ يَشُقُّ شُقُوقاً وذلك في أول ما تَنْفَطِر عنه الأرض. وشقَّ نابُ الصبي يَشُقُّ شقوقاً: في أوّل ما يظهر، وتلاحظ أن منها المشقة وما فيها من جهد،، ومثله: إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ، الانفطار،، فطر: فَطَرَ الشيء يَفْطُرُهُ فَطْراً فانْفَطَر و فَطرَه: شقه و تَفَطَّرَ الشيء : تشقق وفي

الحديث: قام رسول اللّهِ حتى تَفَطَّرَتْ قدماه أي انشقتا وفي التنزيل العزيز: (السماء مُنْفَطر به) و فَطَر نابُ البعير يَفْطُر فَطْراً: شَقّ وطلع فهو بعير فاطِر وقيل: الفَطْر مأخوذ من تَفَطَّرَتْ قدماه دماً أي سالتَا وقيل: سمي فَطْراً لأنه شبّه بفَطْر ناب البعير لأنه يقال: فَطَرَ نابُه طلع وانْفَطَرَ الثوب إذا انشق وكذلك تَفَطَّر، وتَفَطَّرَت الأَرض بالنبات إذا تصدعت وفي التنزيل العزيز: (الحمد لله فاطِر السمواتِ والأَرض) ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما فاطِرُ السموات والأَرض حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها أي أنا ابتدأت حَفْرها، وذكر أبو العباس أنه سمع ابن الأعرابي يقول: أنا أول من فَطَرَ هذا أي ابتدأه و الفِطْرة بالكسر: الخِلْقة ؛ أنشد ثعلب:

هَوِّنْ عليكَ فقد نالَ الغِنَى رجلٌ   في فِطْرة الكَلْبِ لا بالدِّين والحَسَبِ

و الفِطْرة : ما فَطَرَ اللّهُ عليه الخلقَ من المعرفة به وقد فَطَره يَفْطُره بالضم فَطْراً أي خلقه قال تعالى: (فِطْرَةَ اللَّهِ التي فطَرَ الناسَ عليها لا تبديل لخلق اللّه) (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) فالفطر متعلق بالشق وبالبدء بحالته كأنه المرحلة الأولى للشق، إذا السماء انفطرت، كما البئر التي فطرها الأعرابي أي ابتدأ حفرها، وما يصحب هذا الانفطار من تصدع فالبدء بالانشقاق المصحوب بالفطور ليكبر هذا الانشقاق ليصبح طورا آخر وهو أن السماء كلها منشقة فيها صدع بائن. (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ) التفاوت الفطور بدليل قوله بعد ذلك: {فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } نظيره قوله: **{وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}** والفطور جمع فطر، وهو الشق كما يقال: شق ومعناه شق اللحم فطلع، قال المفسرون: {هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } أي من فروج وصدوع وشقوق، وفتوق، وخروق، كل هذا ألفاظهم. (وإذا السماء كشطت) وإذا السماء نُزعت وجُذبت، ثم طُويت. (فالق الإصباح) (قل أعوذ برب الفلق)

(تَظُنّ أن يُفْعَلَ بها فاقِرَةٌ) و الفاقِرة : الداهية الكاسرة للفَقَار ويقال: فَقَرَتْه الفاقرة أي كسرت فَقَارَ ظهره. فضض: فَضَضْتُ الشيءَ أَفُضُّه فَضّاً فهو مَفْضُوضٌ و فَضِيضٌ: كسرتُه وفَرَّقْتُه و فُضاضُه وفِضاضُه و فُضاضَتُه: ما تكسَّر منه ؛ قال النابغة:

تَطِيرُ فُضاضاً بيْنَها كلُّ قَوْنَسٍ   ويَتْبَعُها مِنْهُم فَراشُ الحَواجِبِ

وفَضَضْت الخاتم عن الكتاب أي كسرْتُه وكل شيء كسرْتَهِ فقد فضَضْتَه وفي حديث ذي الكِفْل: إنه لا يَحلُّ لك أن تَفُضَّ الخاتَم ؛ هو كناية عن الوطْءِ

تأمل في سورة النبأ العجب العجاب:

"وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً (١٦)"السراج الوهاج لفظة الوهاج توحي لك بالنور ينبعث ولا يستطيع حجاب أن يمنعه من النفاد، والغيوم معصرات، وماؤها ثجاج: ثج الماء إذا سال، والمِثَجُّ، كَمِسَلٍّ: الخَطِيبُ المُفَوَّهُ، والثَّجِيجُ: السَّيْلُ والثَّجُّ: سَيَلانُ دَمِ الهَدْيِ، فالمعصرات وفي لفظة العصر يستفاد استخراج ما في الشيء وليس فقط أن تفرغ الغيمة كل مخزونها بل العصارة من الشيء خلاصة ما فيه من الفوائد، فهذه صفة الماء الثجاج الذي يسيل من قلب هذه المعصرات، وتأمل لقوله تعالى: ألفافا!! لَفَّهُ: ضِدُّ نَشَرَه، كلَفَّفَه، والكَتِيبَتَيْنِ: خَلَطَ بينَهما بالحَرْبِ، والشيءَ بالشيءِ: ضَمَّه إليه، ووَصَلَه به.

والرَّوْضَةُ المُلْتَفَّةُ النَّباتِ، والبُسْتَانُ المُجْتَمِعُ الشجر والأَلْفافُ: الأشجارُ المُلْتَفَّةُ، واحدُها: لِفٌّ، فهذه الجنات تلتف نباتاتها وأشجارها بعضها فوق بعض كأنما تضم أغصانها ما تحويه إلى قلبها ضما، وأصلا الجنة أصلها من جن: جَنَّهُ اللَّيْلُ، سَتَرَهُ، وكُلُّ ما سُتِرَ عَنْكَ فقد جُنَّ عَنْكَ. والجَنِينُ: الوَلَدُ في البَطْنِ والجِنَّةُ، بالكسر: طائفةٌ من الجِنِّ. وجُنَّ، بالضم، جَنًّا وجُنوناً.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (٢١) لِلْطَّاغِينَ مَآباً (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً (٢٤) إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً (٢٥) جَزَاء وِفَاقاً (٢٦)"يا لهول الألفاظ ودقة ما تؤديه من المعاني في الموضع الذي تعبر عنه فيه: جهنم! **الجِهنَّامُ** القَعْرُ البعيد، مرصادا: ترصد هؤلاء الكافرين إرصادا، (والمِرْصادُ) الطَّرِيقُ والمكانُ يُرْصَدُ فيه العَدُوُّ، فالصورة المرسومة هنا أن الطاغين غافلون عن هذه البعيدة القعر التي ترصدهم رصدا لتباغتهم على حين غرة، لتكون لهم مآبا، وجاء في فقه اللغة للثعالبي: المِرْصَادُ والنَّجْدُ الطَّرِيقُ الواضِحُ (وقد نطق بهما القرآن) وكَذَلِكَ الصِّراطُ، والجَادَّةُ، والمَنْهَجُ، واللَّقَمُ، فعلى هذا طريق وسبيل الولوج لجهنم بين واضح كيف يغفل عنه ولا يتقى؟؟

يؤوبون إليها ويلبثون فيها أحقابا، والأحقاب الدهور، تأمل وقع كلمة أحقاب على النفس: أح قا با وما فيها من المد، فكأن كل حقبة من هذه الأحقاب حتى تفرغ أهوال من الفزع

وأصناف من العذاب، فما أن يفرغ من أحد هذه الأحقاب حتى يدخل في حقبة جديدة وحتى كلمة حقبة وأحقاب تفزع!! فكيف وهم لابثون فيها، واللبث المكث والاقامة، وتأمل حتى حرف الجر فيها يؤدي معنى أنهم في داخلها هي وتلتصق بهم التصاف الهاء ب "في"، لا يذوقون إلا: حميما!! الحاء مخرجها من الحلق بل من آخر الحلق، وهي الصوت الذي يصدره المرء عند تجرع الماء الساخن، والحميم الماءُ السَّاخنُ والجمر الذي يتبخر به، والغساق أيضا كلمة مهولة تعني الزمهرير،والغَسَّاق: ما يَغْسِقُ ويسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحوه، كيف يكون علما على نوع طعام أو شراب!!

وهكذا لو تتبعت العربية لوجدت الكلمات تؤدي بجرسها معاني غاية في الدقة

معاني أسماء الأسد في العربية

أما النقطة الثانية فالترادف، فعندما تسمع أن للأسد خمسمائة اسم في العربية فكل واحد منها يؤدي معنى لا يؤديه الآخر، الضَّرْغَمُ و الضِّرْغامُ و الضِّرْغامة : الأَسد والأَسد الضِّرْغام؛ هو الضاري الشديدُ المِقْدامُ من الأُسود، و**الضَّرْغَمَةُ** و**التَّضَرْغمُ** انتخابُ الأبطالِ في الحرب، و**ضَرْغَمَ** الأبطالُ بعضُها بعضاً في الحرب. الليث: **تَضَرْغَمتِ** الأبطالُ في **ضَرْغَمَتِها** بحيث تأتخذُ في المعْركةِ.

أَسِدَ الرجلُ: استأسد صار كالأسد في جراءَته وأخلاقه وقيل لامرأة من العرب: أي الرِّجال زوجك؟ قالت: الذي إن خرج أسِدَ وإن دخل فهِدَ ولا يسألُ عما عهِدَ؛ (**فَهِدَ** الرجلُ **فَهَداً** نام وأشبه الفهد في كثرة نومه وتمَدُّدِه وتغافلَ عما يجب عليه تَعَهُّدُه) يقال: أَسِدَ و استأسَدَ إذا اجترأ الأَسَد: مصدر أَسِدِ يأسَدُ أي ذا القوّة الأسدية و أسد عليه: غضب؛ وقيل: أسد عليه سفه.

الهِزَبْرُ: من أسماء الأسد هزب: الهَوْزَبُ: المُسِنُّ الجَريء من الإبل ؛ وقيل: الشَّدِيدُ القَوِيُّ الجَرْي والهَيْزَبُ: الحديدُ، الأسدُ الكاسرُ. و- الضَّخمُ الصُّلْبُ.

الوَرِدِ بالفتح الذي يُشمِّ الواحدة وردة وبلونه قيل للأسد وَرْدٌ وللفرس ورْدِ وهو بين الكُمَيْت والأشْقَر ابن سيده: الوَرْد لون أحمر يَضْربُ إلى صُفرة حَسَنَة في كل شيء، وهو الجريء

والليث: الأسد ؛ زعم كراع أنه مشتق من اللوث الذي هو القوة ؛ قال ابن سيده: فإن كان ذلكِ فالياءُ منقلبة عن واو قال: وليس هذا بقويّ لأَنَّ الياء ثابتة في جميع تصاريفهِ ليث: اللَّيثُ:

الشدة والقوَّة وإنه لَبَيِّنُ اللِّياثة، و اللَّيث: الشجاع بيِّن اللُّيُوثة وفي حديث ابن الزبير: أنه كان يواصل ثلاثاً ثم يصبح وهو أَلْيَثُ أصحابهِ أي أشدُّهم وأجْلَدهُم وبه سمي الأسد لَيْثاً. ويقال له: ليث، باعتبار تلوثه بالفريسة، وهذا منظر مخيف جداً للفريسة وللإنسان الذي يشاهدهما.

أُسامَة : من أسماء الأسدِ لا يَنصرف قال زهير يَمْدح هَرم بن سِنان:

ولأَنْتَ أَشْجَعُ من أُسامة إذ دُعِيَتْ نزَالِ ولُجَّ في

والضَّيْغَمُ: الذي يَعَضُّ، والأسَدُ، ضَغَمَهُ: عَضَّهُ، أو عَضّاً دون النَّهْش، أو هو أن لا يَمْلأَ فَمَهُ مما أهْوَى إليه. وكثُمامةٍ: ما ضَغَمْتَه ولَفَظْتَهُ، وهو أيضا واسع الشدق.

والضَّمْضَمُ: الغَضْبانُ، والأسَدُ الغَضْبانُ، الجَريءُ، **الضُّماضِمُ** من أسماء الأسد. وأسَدٌ **ضُماضِمٌ** يضُمُّ كلَّ شيءِ، **الضُّماضِمُ** الأَكُولُ النَّهِمُ المُسْتأْثِرُ، وقيل: الكثير الأكل الذي لا يشبع.

والأسد يسمى (حيدراً وحيدرة): حينما ينزل من مكان مرتفع كالجبل ونحوه، حيث يستلزم المهابة الشديدة، وكل شيء أرسلته إلى أسفل، فقد حَدَرْتَه حَدْراً وحُدُوراً. وقال ابن الأعرابي: الحَيْدَرَة في الأُسْدِ مثل المَلِكِ في الناس؛ قال أبو العباس: يعني لغلظ عنقه وقوّة ساعديه؛ ومنه غلام حادر إذا كان ممتلئ البدن شديد البطش، قال أبو العباس أحمد بن يحيى لم تختلف الرواة في أن الأبيات لعلي ابن أبي طالب، رضوان الله عليه:

أنا الذي سَمَّتْني أُمِّي الحَيْدره كَلَيْثِ غاباتٍ غَليظِ القَصَرَهْ
أكِيلُكُم بالسيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ أضرب بالسيف رقاب الكفره

قال: السندرة الجرأة. ورجل سِنَدْرٌ على فِعَنْلٍ إذا كان جريئاً. و **الحَيْدَرَةُ** الأسد؛ وقال ابن الأعرابي: الحَيْدَرَة في الأُسْدِ مثل المَلِكِ في الناس؛ قال أبو العباس: يعني لغلظ عنقه وقوّة ساعديه؛ ومنه غلام حادر إذا كان ممتلئ البدن شديد البطش؛ قال والياء والهاء زائدتان، زاد ابن بري في الرجز قبل:

وقال: أراد بقوله: **أنا الذي سمتني أمي الحيدره** " أنا الذي سمتني أمي أسداً، فلم يمكنه ذكر الأسد لأجل القافية، فعبر بحيدرة لأن أمه لم تسمه حيدرة، وإنما سمته أسداً باسم أبيها لأنها فاطمة بنت أسد، وكان أبو طالب غائباً حين ولدته وسمته أسداً، فلما قدم كره أسداً وسماه علياً، فلما رجز عليّ هذا الرجز يوم خيبر سمى نفسه بما سمته به أمه.

أنـــا الـــذي ســـمتني أمـــي حيـــدرة ضـــرغام آجـــام وليـــث قســـورة

ويسمى (ضرغام آجام) لأن الضرغام في الآجام يزأر فيملأ الأجمة بصوته المرعب.

ويسمى: قسورة، فيما إذا كان يطارد حيواناً أو قطيعاً من الحيوانات، **قَسَرَه يَقْسِرُه قَسْراً** و **اقْتَسَرَه** غَلَبه وقَهَره، وقَسَره على الأمر قَسْراً: أكرهه عليه، والقسورة الصياد

(والرَّاصِدُ) الأَسَدُ (والرَّصِيدُ) السَّبُعُ يَرْصُدُ الوُثوبَ، الأسد المترقب فريسته.

الغَضَنْفَرُ الغليظ الـمُتَغَضِّن وأسد غَضَنْفَر: غليظ الخَلْقِ مُتَغَضِّنه.

الرِّئْبالُ من أسماء الأسد والذئب وفي حديث ابن أُنَيْس: كأنه الرِّئبال الهَصُور أي الأسد، والجمع الرَّآبِل و الرَّيابِيلُ على الهمز وتركه. وذئب رِئْبالٌ ولِصٌّ رئبال: وهو من الجُرْأَة. و تَرَأْبَلُوا تَلَصَّصُوا. وخرجوا يَتَرأْبَلُون إذا غزَوْا على أرجلهم وحدهم بلا والٍ عليهم؛ وفَعل ذلك من رَأْبَلَتِه وخُبْثِه. و تَرَأْبَلَ تَرَأْبُلاً و رَأْبَلَ رَأْبَلةً وفلان يَتَرأْبَلُ أي يُغِير على الناس ويَفعل فِعْل الأسد؛ الرَّأْبَلة أن يمشي الرجل مُتكفِّئاً في جانبيه كأنه يَتَوَجَّى.

الكلب ويُروى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعتيبة بن أبي لهب: أَكَلَكَ كَلْبُ الله، ففي هذا الخبر فائدتان، إحداهما أنه ثَبَتَ بذلك أن الأسد كلب.

كذلك يجدر لفت النظر إلى أن فعل جلس له دلالة تختلف كلية عن قعد، فجلس كان نائما فجلس، وقعد كان واقفا فقعد،

(في شكَالِ الجُلُوسِ والقِيَامِ والاضْطِجَاعِ وهَيْئَاتِهِ)

إذا جَلَسَ الرَّجُلُ عَلَى أَلْيَتَيْهِ ونَصَبَ سَاقَيْهِ وَدَعَمَهُما بِثَوْبِهِ أو يَدَيْهِ قيلَ احْتَبَى، (وهِيَ جِلْسَةُ العَرَب)

فإذا جَلَسَ مُلْصِقاً فَخِذَيْهِ ببَطْنِهِ وجمَعَ يدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ قِيل قَعَدَ القُرْفُصاءَ

فإذا جمَعَ قَدَمَيْه في جُلُوسِهِ وَوَضَعَ إحْدَاهُمَا تَحتَ الأخْرَى قِيل تَربَّعَ

فإذا أَلْصَقَ عَقِبَيْهِ بأَلْيَتَيْه قِيلَ أَقْعَى

فإذا استَقَرَّ في جلُوسِهِ كأنَّه يُريدُ أنْ يَثُورَ لِلقِيَام قِيلَ احْتَفَزَ واقْعَنْفَزَ وقَعدَ القَعْفَزَى

فإذا ألْصقَ ألْيَتيْهِ بالأرْضِ وتَوسَّدَ ساقَيْه قِيلَ فرْشَطَ

فإذا وَضَعَ جَنْبَه بالأرْض قِيلَ اضْطَجَعَ

فإذا وَضَعَ ظَهْرَه بالأرْضِ وَمدَّ رجْلَيْهِ قِيلَ اسْتَلْقى

فإذا اسْتَلْقَى وَفرَّجَ رجْلَيْهِ قِيلَ انْسَدَحَ

فإذا قَامَ عَلَى أرْبَع قيل بَرْكَعَ

فإذا بَسطَ ظَهْرَه وطَأطَأَ رَأسَهُ حَتّى يكُونَ أشَدَّ انْحِطَاطاً مِنْ ألْيَتيْهِ قِيلَ: دبَّحَ بالحَاءِ والخَاءَ، وفي الحَدِيثِ: (نُهِيَ أن يدَبِّحَ الرجُلُ في الصَّلاَةِ كمَا يُدَبِّحُ الحِمَارُ)

فإذا مَدَّ العُنُقَ وَصوَّبَ الرّأسَ قِيلَ: أهْطَعَ

فإذا رَفَعَ رَأسَهُ وَغَضَّ بَصرَهُ قِيلَ: أقْمَحَ

وَقمَحَ البَعِيرُ إذا رَفَعَ رَأسَهُ عِنْدَ الحَوْضِ وامْتَنَعَ مِنَ الشُّرْبِ ريّا.

ومثلا: الشك غير الريبة، الشك: تردد النفس بين شيئين ولكن الريب شك مع تهمة وقلق واضطراب،

(في تَرْتِيبِ الحُبِّ وتَفْصِيلِهِ)

أوَّل مَرَاتِبِ الحُبِّ الهَوَى

ثُمَّ العَلاَقَةُ وهي الحُبُّ اللاَّزِمُ للقَلْبِ

ثُمَّ الكلَفُ وهو شِدَّةُ الحُبِّ

ثُمَّ العِشْقُ وهو اسْم لِمَا فَضَلَ عَنِ المِقْدَارِ الذي اسْمُهُ الحُبُّ

ثُمَّ الشَعَفُ وهو إحْرَاقُ الحُبِّ القَلْبَ مَعَ لَذَةٍ يَجِدُها

وَكَذَلِكَ اللَّوْعَة واللاَّعِجُ، فإنّ تِلْكَ حُرْقَةُ الهَوَى، وهذا هو الهَوَى الـمُحْرِقُ

ثم الشَّغَفُ وهُوَ أنْ يَبْلُغَ الحُبُّ شَغافَ القَلْبِ، وهي جِلْدَة دُونَه وقد قُرِئَتا جَمِيعاً {شَغَفَها حُبّاً} وَشَغَفَها

ثُمّ الجَوَى وَهو الهَوَى الباطِنُ

ثُمَّ التَّيمُ، وهُوَ أنْ يَسْتَعْبِدَهُ الحُبُّ، ومِنْهُ سُمِّي تَيْمُ اللّه أي عَبْدُ اللّه، ومِنْه رَجُلٌ مُتَيم

ثُمَّ التَّبْلُ وهُوَ أنْ يُسقِمَهُ الهَوَى

وَمِنْهُ رَجُل مَتْبُول

ثُمَ التّدْلِيهُ وهُوَ ذَهَابُ العَقْلِ مِنَ الهَوَى، ومِنْهُ رَجُلٌ مُدلَّهٌ

ثُمَّ الهُيُوم، وهُوَ أنْ يَذْهَبَ عَلَى وَجْهِهِ لِغَلَبَةِ الهَوَى عَلَيهِ، ومِنْه رَجُل هَائِم.

(في تَرْتِيبِ أحْوَالِ الغَضَبِ وتَفْصِيلِها)

أوّلُ مَرَاتِبِها السُّخْط وهُوَ خِلاَفُ الرِّضَا

ثُمَّ الاخْرِنْطَامُ وهو الغَضَبُ مع تَكَبُّرٍ وَرَفْعِ رَأْس

ثُمّ البَرْطَمَةُ وهِيَ غَضَب مَعَ عُبوس وانْتِفاخ، عَنِ اللَّيْثِ

ثُمَّ الغَيْظُ وهُوَ غَضَب كَامِن للعَاجِز عَنِ التَّشَفِّي. ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وإذا خَلَوْا عَضُّوا الأنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}

ثُمَّ الحَرَدُ بِفَتْح الرَاءِ وَتَسْكِينِها، وهُوَ ان يَغْتَاظَ الإنْسانُ فَيَتَحَرَّشَ بالّذي غَاظَهُ وَيهُمَّ بِهِ

ثُمَّ الحَنَقُ وَهُوَ شِدَّةُ الاغْتِيَاظِ مَعَ الحِقْدِ

ثُمَّ الاخْتِلاَطُ وهُوَ أشَدُّ الغَضَبِ

قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: اهْمَأكَّ الرَّجلُ وارْمَأكَّ واصْمَأكَّ إذا امْتَلأ غَيْظاً.

(في تَرْتيبِ العَداوَةِ).

البُغْضُ

ثُمّ القِلَى ثُمَّ الشَّنَآنُ

ثُمَّ الشَّنَفُ

ثُمَ الـمَقْتُ

ثُمَّ البِغْضَةُ، وهو أشدُّ البُغْض

فَأمَّا الفَرْكُ فهو بُغضُ الـمرْأةِ زَوْجها وَبُغْضُ الرَّجُلِ امْرأتَهُ لا غَيْرُ.

(في تَرْتِيبِ السُّرُوْر)

أوَّلُ مَرَاتِبِهِ الجَذَلُ والابْتِهاجُ

ثُمَ الاسْتِبْشَار وهو الاهتِزَازُ. وفي الحديث: (اهْتَزَّ العَرشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ معَاذٍ)

ثُمَّ الارْتِياحُ والابْرَنْشاقُ. ومِنْهُ قَوْلُ الأصْمَعِيّ: حَدَّثْتُ الرَّشِيدَ بِحَدِيثِ كَذَا فابْرَنْشَقَ لَهُ

ثُمَّ الفَرَحُ وهوَ كالبَطَرِ

ومِنْهُ قَوْلُه تَعالَى: "إنَّ اللّه لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ"

ثُمَ الـمَرَحُ، وهو شِدَّةُ الفَرَحِ، ومِنْهُ قَوْلَهُ عزَ ذِكْرُهُ: {ولا تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحاً}.

(في تَفْصِيلِ أوْصَافِ الحُزْنِ)

الكَمَدُ حُزْنٌ لا يُسْتَطاعُ إمْضاؤُه

البَثُّ أشَدُّ الحُزْن

الكَرْبُ الغَمُّ الّذي يَأْخُذُ بالنَّفْسِ

السَّدَمُ هَمّ في نَدَم

الأسَى واللَّهَفُ حزْن على الشَّيءِ يَفُوتُ

الوجوم حزْن يُسْكِتُ صَاحِبَهُ

الأسَفُ حُزْن مَعَ غَضَبٍ. ومِنْهُ قَوْلُه تَعَالَى: {ولمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أسِفاً}

الكَآبَةُ سُوءُ الحَاَلِ والانْكِسارُ مَعَ الحُزْنِ

التَرَح ضِدُّ الفَرَحِ.

وعموما سنأتي على بحث الترادف لاحقا ان شاء اللّه.

لنستأنف ما بقي من خصائص العربية: وقال ابن فارس في فقه اللغة في موضع آخر: باب الخطاب الذي يقعُ به الإفهامُ من القائل والفهمُ من السامع: يقع ذلك من الـمُتَخاطبين من وجهين: أحدهما الإعرابُ والآخر التَّصْرِيف.

فأما الإعراب فَبِه تميَّزُ المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين وذلك أنَّ قائلاً لو قال: ما أحْسن زيد غيرَ مُعْربٍ لم يُوقف على مراده فإذا قال: ما أحسَنَ زيداً أو ما أحسنُ زيدٍ أو ما أحْسَنَ زَيْدٌ أبانَ بالإعرابِ عن المعنى الذي أرادَه وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم فهم يَفرقُون بالحركات وغيرها بين المعاني يقولون: مِفْتَح للآلةِ التي يُفْتح بها ومَفْتَح لموضع الفتح ومِقَص لآلة القص ومَقص للموضع الذي يكون فيه القص ومِحْلب للقدَح يُحْلَب فيه ومَحْلَب للمكان يُحْتَلب فيه ذَوات اللبن ويقولون: امرأةٌ طاهرٌ من الحيض لأن الرجل لا يَشْرَكها في الحيض وطاهرةٌ من العيوب لأن الرجلَ يشْرَكُها في هذه الطهارة وكذلك قاعدٌ من الحَبَل وقاعِدةٌ من القعود. ويقولون: هذا غلاماً أحسنُ منه رجلاً يريدون الحالَ في شخص واحد. ويقولون: هذا غلامٌ أحسنُ منه رجلٌ فهما إذن شخصان ويقولون: كم رجلاً رأيت في الاسْتخبار. وكم رجلٍ رأيت في الخبر يراد به التكثير. وهُنَّ حَوَاجُّ بيتِ اللّه إذا كنَّ قد حَجَجْنَ. وحَوَاجّ بيتَ اللّه إذا أردنَ الحجّ. ويقولون: جاء الشتاء والحطبَ إذا لم يرد أنَّ الحطَب جاء إنما أريدَ الحاجةُ إليه. فإن أريد مجيئُهما قال: والحطبُ. حرجَ فلان: إذا وقع في الحَرَج، وتَحَرَّج: إذا تباعد عن الحَرَج. وكذلك أثِمَ وتأثَّم. وهَجَدَ: إذا نام، وتَهجَّدَ: إذا سَهِرَ. وفزِعَ فلان: إذا أتاه الفَزَع، وفُزِّعَ عنه إذا نُحِّي عنه الفَزَع،

وفي كتاب اللّه: "حتى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلوبِهِمْ" أي أُخرجَ الفَزَعُ عنها. ويقال: امرأةٌ نَـذُور، أي مُتصوِّنة عن الأقذار، واللفظ يُشبه ضدَّ ذلك.

وقوع فعل واحد على عدة معان من ذلك قولهم: قَضى بمعنى حَتَمَ، كقوله تعالى: "فلمَّا قَضينا عَليهِ المَوْتَ". وقَضى بمعنى أمرَ، كقوله تعالى: "وقَضى رَبُّك ألَّا تَعْبُدوا إلا إيّاهُ " أي أمر ويكون قضى بمعنى صَنَعَ، كقوله تعالى: "فاقضِ ما أنتَ قاضٍ" أي فاصْنَع ما أنت صانع. ويكون قضى بمعنى حَكَمَ، كما يقال للحاكم قاض. وقضى بمعنى أعلم، كقوله تعالى: "وقَضينا إلى بَني إسْرائيلَ في الكِتابِ" أي أعلمناهم. ويقال للميت: قضى، إذا فَرغَ من الحياة.

وقضاء الحاجة، معروف ومنه قوله تعالى: "إلّا حاجة في نفس يَعْقوبَ قضاها."

ومن هذا الباب قوله تعالى: "فَصلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ" أي الصلاة المعروفة. وقوله عزّ وجلّ: "وصَلِّ عليهِمْ إنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ" أي ادعُ لهم. وقوله: "إنَّ اللّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصلُّونَ على النَّبي يا أيُّها الّذينَ آمَنوا صَلُّوا عليهِ وسَلِّموا تَسْليماً" فالصلاة من الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الثَّناء والدُّعاء، والصلاة: الدِّين، من قوله تعالى في قصة شعيب: "أصَلاتُكَ تَأمُرُكَ" أي دينك. والصلاة: كنائس اليهود، وفي القرآن: "لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وبِيَعٌ وصَلَواتٌ ومَساجِدُ".

وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة

من ذلك: عين الشمس وعين الماء ويقال لكل واحد منهما: العين.

والعين: النَّقد من الدَّراهم،، والعين: الدَّنانير،، والعين: السَّحابة من قِبَل القبلة.

والعين: مطر أيَّام لا يُقلع،، والعين: الدَّيدَبان، والجاسوس، والرَّقيب، وكلهم قريب من قريب.

ويقال في الميزان: عين، إذا رجحت إحدى كفتيه على الأخرى،، والعين: عين الرَّكيَّة.

وعين الشيء: نفسه،، وعين الشيء: خياره.

والعين: الباصِرة،، والعين: مصدر عانه عَينا.

ومن ذلك الخال: أخو الأم، ونوع من البرود، والاختيال، والغيم، وواحد الخيلان.

ومن ذلك الحميم، يقع على الماء الحارِّ، والقرآن ناطق به.

قال أبو عمرو: والحميم: الماء البارد، وأنشد:

فساغَ ليَ الشَّرابُ وكُنتُ قَبْلاً * أكادُ أغَصُّ بالماء الحميم

الحميم: الخاصُّ، يقال: دُعينا في الحامَّة لا في العامَّةِ،، والحميم: العَرَق.

والحميم: الخيارُ من الإبل، ويقال: جاء الـمُصَدِّقُ فأخَذ حَميمها، أي خيارها.

ومن ذلك المولى،هو السيد، والـمُعْتِق، والـمُعْتَقْ، وابن العم، والصِّهر، والجار، والحليف.

ومن ذلك العدل، هو الفدية من قوله تعالى: "أو عَدْلُ ذلكَ صِياما."

والعدل: القيمة، والرِّجل الصَّالح، والحقّ: وضِدُّ الجَور.

ومن ذلك المرض، المرض في القلب: هو الفتور عـن الحـقّ، وفـي البـدن: فتـور الأعضـاءِ، وفي العين: فتور النَّظَر.

وهذه الأبحاث كلها تنبيك عن اتساع اللغة العربية، الأصل الأصيل في مبحثنا هذا.

الاشتراك اللفظي: فإذا كان الترادف يعني اتحاد المعنى وتعدد اللفظ، أو (إطلاق كلمتين أو عدة كلمات على مدلول أو معنى واحد)، فإن الاشتراك اللفظي يعنى اتحاد اللفظ في الصيغة والنطق والكتابة والأصل في أغلب الأحيان أيضاً مع تعدد المدلول، أو بتعبير آخر (إطلاق كلمة واحدة في اللغة على معنيين فأكثر على السواء) دون شرط ارتباطها بالسياق الكلامي. كما تطلق في العربية مثلاً كلمة (الخال) على أخ الأم وعلى الشامة، وكلمة (النوى) على البعد وعلى جمع النواة، وكلمة (العين) على العين الباصرة، وعلى نبع الماء، وعلى رئيس أو وجيه القوم، وعلى الجاسوس، وعلى النقد والذهب، وعلى الشيء نفسه، وعلى معان أخرى غيرها.

أطلق أهل اللغة اسم القرء على الحيض والطهر وهما ضدان، وكقوله تعالى: والليل إذا عسعس أي أقبل وأدبر، فهو مشترك بين إقبال الليل وإدباره، إلا أن المشترك خلاف الأصل، والأصل أن يكون المعنى موضوع له لفظ واحد خاص به أي أن الأصل عدم الاشتراك، فاللفظ إذا دار بين احتمال الاشتراك والانفراد كان الغالب على الظن هو الانفراد، واحتمال الاشتراك مرجوح، وإن لم يكن مرجوحا فهو خلاف الأصل لتساوي احتمال الاشتراك واحتمال الانفراد وهما قائمان في كل لفظ / ولم يفهم من اللفظ بدون قرينة تبين معناه المراد، ولهذا كان تعيين معنى اللفظ المشترك وتخصيصه بأحد معانيه مفتقرا إلى قرينة فلا بد له من قرينة تبين المعنى المراد، ولو لم يكن المشترك خلاف الأصل لامتنع الاستدلال بالنصوص لاحتمال الاشتراك وكون مراد الشارع غير ما ظهر لنا من المعاني وحينئذ لا تكون مفيدة للظن، ولهذا فإن المشترك خلاف الأصل، وكذلك بالمثل نقول هنا أن سبب وجوده قد يرجع إلى اختلاف واضعي اللغة باختلاف القبائل، أو التوسع في اللغة.

ويجوز استعمال المشترك بجميع معانيه معا على سبيل الحقيقة بدليل وقوعه في القرآن قال تعالى "إن الله وملائكته يصلون على النبي" والصلاة من الله مغفرة ومن غيره استغفار، فالصلاة لفظ مشترك بين المغفرة والاستغفار، وقد استعملت فيهما دفعة واحدة، وقال تعالى "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ " والسجود ههنا الخشوع لأنه هو المتصور من الدواب، وهو وضع الجبهة على الأرض من الناس، من هنا نقول أن حمل المشترك على جميع معانيه عند عدم القرينة المخصصة احتياطا في تحصيل العلم بمراد المتكلم، إذ لو لم يحمل على جميع معانيه للزم إهمال اللفظ أو لزم الترجيح بلا مرجح.

وأما التصريف فإن مَنْ فاته عِلْمُه فاتَه الـمُعْظَم لأنا نقول: وَجَد وهي كلمة مُبْهمة فإذا صرفت أفْصَحَت فقلت في المال: وُجْداً وفي الضَّالة: وِجْداناً وفي الغضب: مَوْجِدَةً وفي الحُزْن: وَجْداً. ويقال: القاسِط للجائر والـمُقْسطُ للعادل فتحوَّل المعنى بالتصريف من الجَوْر إلى العَدْل. ويقولون للطريقة في الرَّمْل: خِبَّة وللأرض بين المُخْصِبَة والمجْدِبة خُبَّة ونقول في الأرض السهلة الخوّارة: خارت تخور خَوراً وخُؤوراً وفي الإنسان إذا ضعُف: خَار خَوَراً وفي الثور: خارَ خُواراً وللمرأة الضخمة: ضِنَاك وللزُّكْمَة: ضُنَاك. ويقولون للإبل التي ذهبتْ ألبانها: شَوْل وهي جمع

شائلة وللتي شالَتْ أذْنَابُها لِلَّقْح: شُوَّل وهي جمع شائل ولبَقيَّةِ الماء في الحوض: شَوْل. ويقولون للعاشق: عَمِيد وللبعير المتأكّل السَّنَام: عمِد إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحْصَى.

الإبدال من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض، في قولهم: مَدحَ، وَمَدَهَ، وَجَدَّ، وَجَذَّ، وخَرَمَ، وخَزَمَ، وصَقَعَ الدِّيكُ، وسَقَعَ، وفاضَ أي ماتَ، وفاظَ، وفَلَقَ اللّه الصُّبحَ، وفَرَقَهُ.

وفي قولهم: صِراط وسِراط، ومُسيطِر ومُصَيطِر، ومكَّة وبكَّة.

في القلب من سنن العرب القلب في الكلمة وفي القصَّة.

أما في الكلمة فكقولهم: جَذَبَ وجَبَذَ، وضَبَّ وبَضَّ، وبَكَلَ ولبكَ، وطَمَسَ وطَسَمَ.

وأما القصَّة فكقول الفرزدق:

كما كانَ الزَّناءُ فريضَةَ الرَّجْمِ

أي كما كان الرَّجمُ فريضَةَ الزِّنا. وكما قال:

وتَشْقى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحمر

أي وتشقى الضَّياطِرَةُ الحُمْرُ بالرماح.

وكما يقال: أدْخَلْتُ الخاتَمَ في إصْبَعي، وإنَّما هو إدخال الأصبع في الخاتم.

وفي القرآن: "ما إنَّ مفاتِحَهُ لَتَنوءُ بِالعُصْبَةِ أُولي القُّوة" وإنَّما العصبة أولُوا القوَّة تَنوء بالمفاتيح.

النَّحت العرب تَنْحِتُ من كلمتين وثلاث كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار كقولهم: رجلٌ عبْشَميٌ منسوب إلى عبد شمس، وأنشد الخليل:

أقولُ لَها ودَمْعُ العَينِ جارٍ * أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنادي

من قولهم: حَيَّ على الصَّلاة.، وأما قولهم صَهْصَلِق، فهو مـن صَـهَلَ وصَـلَقَ، والصَّـلْدَم، من الصَّلْدِ والصَّدم،، ولعل مما يلحق بهذا الباب من أبواب التوسع نقل المصطلحات الغربية منحوته، كقولهم عن الاجتماع والاقتصاد: الاجتصاد.

في التصغير من سنن العرب: تصغير الشيء على وجوه:

فمنها: تصغيره تحقيره، كقولهم: رُجَيل ودُوَيرَة.

ومنها: تصغير تكبير، كقولهم: عُيَيْرُ وحْدِهِ، وجُحَيْشُ وحدِهِ، وكقول الأنصاري: أنا جُـذَيْلُها الـمُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها الـمُرَجَّبُ. وكقول لبيد:

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ * دُوَيْهِيَهٌ تَصْفَرُّ مِنْها الأنامِلُ

ومنها: تصغير تنقيص، كما يقال: لم يبق من بيت المال إلا دُنَيْنيرَات، ومن بني فلان إلا بُيَيْت.

ومنها: تصغير تقريب، كقول امرؤ القيس:

بِضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ لَيْسَ بِأعْزَلِ

وكقولك: أنا راحلٌ بُعَيدَ العيد، وجاءني فلان قُبَيلَ الظُّهر.

ومنها: تصغير إكرامٍ ورَحْمَةٍ، كقولهم: يا بُنَيَّ ويا أُخَيَّ ويا أُخَيَّة ويا بُنَيَّة، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: يا حُمَيراء.

ومنها: تصغير الجمع، كقولك: دُرَيْهِمات ودُنَيْنِرات وأُغَيْلِمَةَ، وكقول عيسى بن عمرو: والله إن كانت إلا أُثَيَّاباً في أُسَيْفاط.

في تسمية المتضادين باسم واحد هي من سنن العرب المشهورة، كقولهم:

الجَوْنُ: للأبيض والأسْوَد.

والقُروء: للأطهار والحَيض.

والصَّريم: للَّيل والصُّبح.

والخَيلولة: للشَّكِّ واليَقين. قال أبو ذؤيب:

فَبَقيتُ بَعْدَهُم بِعَيْشٍ ناصِبٍ وَإخالُ أنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَع

أي وأتيَقَّن.

والنَّدُّ: المِثْلُ والضِّدُّ. وفي القرآن: "وتَجْعَلونَ للّهِ أنْداداً" على المعنيين.

والزَّوج: الذَّكر والأنثى.

والقانِعُ: السَّائل والذي لا يسأل.

والنَّاهل: العَطْشان والرَّيان.

باب آخر - في جملة من سنن العرب التي لا توجد في غير لغتهم: قال ابنُ فارس: فمن سنن العرب مخالفةُ ظاهر اللفظ معناه كقولهم عند المدح: قاتله اللّه ما أشعره فهم يقولون هذا ولا يُريدون وقوعَه. وكذا هَوَت أُمُّه وهَبِلَتْه وثكِلَتْه. وهذا يكون عند التعجّب من إصابة الرَّجل في رَمْيه أو في فعل يفعله. إخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم ضد ذلك

كما يقال: فلان كريم غير أنَّه شريف، ولئيم غير أنّه خَسيس، وكما قال النَّابغة الذُّبياني:

ولا عَيْبَ فيهِمْ غَيرَ أنَّ سُيوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائبِ

وكما قال النَّابِغَة الجَعديّ:

فتىً كَمَلَتْ أخْلاقُهُ غَيرَ أنَّهُ جَوادٌ فما يُبقي مِنَ المالِ باقيا

وقال بعض البلغاء: فلان لا عَيب فيه غير أن لا عيب فيه يَرُدُّ عين الكمال عن معاليه.

قال: ومن سنن العرب: الاستعارة وهي أن يَضَعوا الكلمة للشيء مُسْتعارةً من موضع آخر فيقولون: انشقَّتْ عَصاهم إذا تفرَّقُوا وكشَفَتْ عن ساقها الحربُ. ويقولون للبليد: هو حِمَار.

قال: ومن سنن العرب الحذفُ والاختصار يقولون: واللّه أفعلُ ذاك تريدُ لا أفعل.

وأتانا عند مَغِيب الشمس أو حين أرادت أو حين كادت تَغْرُب قال ذو الرّمة: فلما لَبسْن الليل أو حين نصَّبتْ له من خَذَا آذانها وهو جانحُ: جمل في الحذف والاختصار

من سنن العرب: أن تحذف الألف من (ما) إذا استَفْهَمَتْ بها فتقول: بِمَ؟ ولِمَ؟ ومِمَّ؟ وعلامَ؟ وفيمَ؟ قال تعالى: "فيمَ أنت مِن ذِكراها"؟ وكما قال عزّ وجل: "عمَّ يتساءلون؟ عنِ النَّبإ العَظيم": أي عن ما؟ فأدغم النون في الميم. ومن الحذف للاختصار قول الله تعالى: "يعلم السِّرَ وأخْفى"، أي السر وأخفى منه، فحذف وقوله: "وما أمرُنا إلا واحِدَةٌ"، أي أمرة واحدة، أو مرَّة واحدة. ومن الحذف قوله: لم أُبَلْ. ولم أُبالِ. وقولهم: لم أكُ ولم أكُنْ. وفي كتاب الله عزّ وجلّ: "ولم تَكُ شيئا."

ومن ذلك ما تقدَّم ذكره من قوله جل جلاله: "كلا إذا بلَغَتِ التَراقي"، وقوله: "حتى تَوارَت بالحِجاب"، وقوله: "كلُّ منْ عَليها فانٍ" فحذف النَّفس والشمس والأرض إيجازا واقتصارا. ومن ذلك حذف حرف النداء، كقولهم: زيدُ تعال. وعمرو اذهب، أي يا زيد ويا عمرو. وفي القرآن: "يوسف أعْرِضْ عن هذا" أي يا يوسف. ومن ذلك حذف أواخر الأسماء المفردة المعرفة في النداء دون غيره، كقولهم: يا حارُ يا مالُ ويا صاحِ، أي يا حارث ويا مالك ويا صاحبي، ويقال لهذا الحذف: الترخيم وفي بعض القراآت الشاذَّة: "ونادوا يا مالُ". وقال امرؤ القيس:

أفاطِمُ مَهلاً بَعْضَ هذا التَّدلل

وقال عمرو بن العاص:

مُعاويَ لا أعطيكَ ديني ولمْ أنلْ بهِ مِنكَ دُنيا فانظُرَنْ كيفَ تَصنَعُ

ومن ذلك قولهم: باللّهِ، أي أحلِفُ باللّهِ فحذَفوا (أحلف) للعلم به، والاستغناء عن ذِكره، وقولهم: باسم اللّه، أي أبتَدِئُ باسم اللّه.

ومن ذلك حذف الألف منه لكثرة الاستعمال، ومن ذلك ما سيأتي ذكره في حفظ التوازن، كقوله عزّ ذِكره: "والليلِ إذا يَسر" و"الكبيرُ المُتعال" و"يومَ التَّلاق".

ومن ذلك حذف التنوين من قولك: محمدُ بنُ جَعفر، وزيد بنُ عمرو.

وحذف نون التثنية عند النفي كقولك: لا غلامَيْ لك، (لا غلامين) ولا يدىْ لزيد،(لا يدين) وقميص لا كمَّيْ له. ومن ذلك حذف نون الجمع عند الإضافة، في قولك: هؤلاء ساكنوا مسكة، ومسلمو القوم. ومن الحذف قوله عزَّ ذكره: "وكذلك مكنَّا لِيوسُفَ في الأرضِ ولِنُعَلِّمَهُ من تأويل الأحاديثِ" وتقديره: ولِنُعَلِّمه فَعَلْنا ذلك. ومن الحذف قولهم: صلّيت الظُهرَ، أي صلاة الظهر، وكذلك سائر الصلوات الأربع.

في الاثنين يُعبَّر عنهما مرَّة وبأحدهما مرَّة قال الفرَّاء: تقول العرب: رأيتُ بِعَيني ورأيتُ بِعَينَيَّ، والدَّارُ في يَدِي وفي يَدَيَّ. (كثيرا ما تساءلت كيف يقول الحق سبحانه "خلقت بيديّ") وكلُّ اثنين لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على هذا المثال كاليدين والرجلين. قال الفرزدق:

ولـو بَخِلَـتْ بـهِ وَضَـنَّتْ لَكـان عَلَـيَّ لِلقَـدَرِ الخِيـارُ

فقال (ضنَّت) بعد قوله يدايَ. وقال الآخر:

وكـأنَّ فـي العَيْنَين حَـبَّ قَرَنْفُـلٍ أو سُـنْبُلاً كُحِلَـتْ بـه فانهلَّـتِ

فقال كُحِلَت به بعد قوله (في العينينِ) وقال به. وقد ذكر القَرَنفُلَ والسُّنْبُلَ. وقال آخر:

إذا ذَكَـرَتْ عَيْنـي الزَّمـانَ الـذي مَضـى بِصَـحْراءَ فَلْـجٍ ظَلَّتـا تَكِفـانِ

وقال بعض المحدِّثين:

فَـدَتْكَ بِعَيْنَيهـا المعـالي فإنَّهـا بِمَجْـدِكَ والفَضْـلِ الشَّـهير كَحيـلُ

ويقال: وقعت عينه عليه أي عيناه، وفلان حسن الحاجب، أي الحاجبين، وأخذ بيده أي بيديه، وقام على رجله أي رجليه.

في حفظ التوازن العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثاراً له، أما الزيادة فكما قال تعالى: "وتَظنُّونَ باللّهِ الظُّنونا"، (الظنون) وكما قال: "فأضَلُّونا السَّبيلا." (السبيل)

وأمَّا الحذف فكما قال جلَّ إسمه: "والليل إذا يَسر" (يسري) وقال: "الكبيرُ الـمُتعالِ"، وقال: "يومَ التَّنادِ" (التنادي) و "يومَ التَّلاقِ". وكما قال لبيد:

إنَّ تَقــــوى رَبِّنــــا خيـــرُ نَفَــــلْ وبـــــإذنِ اللّهِ رَيـــــثِي وَعَجَــــلْ

أي وعجلي، وكما قال الأعشى:

ومـــن شــــانئ كاسِــــفٍ وَجهُــــهُ إذا مــــا انتسَــــبتُ لــــهُ أنْكَـــرَنْ

أي أنكرني.

قال: ومن سنن العرب الزيادةُ إما للأسماء أو الأفعال أو الحروف نحو " ويبقى وجه ربك" أي ربّك " ليس كمثله شيء" "وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله" أي عليه.

الكناية عما لم يجر ذكره من قبل العرب تقدم عليها توسعا واقتدارا واختصارا، ثقة بفهم المُخَاطَب، كما قال عزّض ذكره: "كُلُّ من عليها فانٍ" أي من على الأرض وكما قال: "حتى توارت بالحجاب" يعني الشمس، وكما قال عزَّ وجل: "كلّا إذا بَلَغَتِ التَّراقيَ" يعني الروح، فكنى عن الأرض والشمس والروح، من غير أن أجري ذكرها.

وقال حاتم الطائي:

أمــاويَّ مــا يُغْنــي الثَّــراءُ عــن الفَتــى إذا حشــرَجَتْ يومــاً وضــاقَ بهــا الصَّــدرُ

يعني: إذا حشرجت النفس، وقال دِعبِل:

إن كــان إبــراهيم مضْــطَلِعاً بهــا فَلَتَصْــلُحَنْ مــن بَعــده لِمُخــارِقِ

يعني: الخلافة، ولم يسمها فيما قبل. وقال عبد الله بن المعتز:

وَنَــدمان دعــوتُ فَهَــبَّ نَحــوي وسلسَــلها كمــا انخَــرطَ العَقيــقُ

يعني: وسلسل الخمر، ولم يجر ذكرها.

الاختصاص بعد العموم العرب تفعل ذلك، فتذكر الشيء على العموم، ثم تخصّ منه الأفضل فالأفضل، فتقول: جاء القوم والرئيس والقاضي. وفي القرآن: "حافِظوا على الصلوات والصلاة الوسطى". وقال تعالى: "فيهما فاكِهَةٌ ونَخلٌ ورُمَّان". وإنما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلاة وهي داخلة في جملتها، وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة، وهما منها

للاختصاص والتَّفضيل، كما أفرد جبريل وميكائيل من الملائكة فقال: "من كان عدواً للّهِ وملائِكتهِ ورُسُله وجبريلَ وميكالَ".

و ضدّ ذلك قال اللّه تعالى: "ولَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثاني والقرآنَ العَظيمَ"، فخصّ السبع، ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياه.

ما ظاهره أمر وباطنه زجر هو من سنن العرب، تقول العرب: إذا لم تَستَحِ فافعل ما شِئتَ. وفي القرآن: "افعَلوا ما شِئتُم"، وقال جلّ وعلا: "ومن شاء فَلْيَكفُر".

قال: ومن سنن العرب الزيادةُ في حروف الاسم إما للمبالغة وإما للتسوئة والتقبيح نحو رَعْشَن للذي يرتعش وزُرْقُم للشديد الزَّرَق وشَدَقْم للواسع الشدق وصِلْدِم للناقة الصُّلبة والأصل صَلْد. ومنه كُبّار وطُوّال وطِرِمّاح للمفرط الطول وسِمْعَنَّةٌ نِظْرَنّة للكثيرة التسمُّع والتَّنظُّر.

ومن سننهم الزيادةُ في حروفِ الفعل مُبالغةً يقولون: حلا الشيء فإذا انتهى قالوا: احْلَوْلَى ويقولون: افْلَوْلَى واثْنَوْنَى.

قال: ومن سنن العرب: التكريرُ والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر قال الحارث بن عبّاد: قَرِّبا مَربط النَّعامةِ منِّي لَقَحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيال فكرّر قوله: قرّبا مربط النعامة مني في رؤوس أبياتٍ كثيرة عنايةً بالأمر وإرادةَ الإبلاغ في التنبيه والتحذير.

قال: ومن سنن العرب إضافةُ الفعل إلى ما ليس فاعلاً في الحقيقة يقولون: أراد الحائطُ أن يقعَ: إذا مال وفلان يريد أن يموت: إذا كان مُحْتضراً. من سنن العرب أن تعرب عن الجماد بفعل الإنسان، كما قال الراجز: امتَلَأ الحَوضُ وقال قَطْني

وليس هناك قول، وكما قال الشَّماخ:

كأني كسوتُ الرَّحلَ أحْقَبَ سَهْوَقا أطاعَ لهُ مِنْ رامَتَينِ حَديقُ

فجعل الحديق مطيعا لهذا العير لما تمكن من رعيه، والحديق لا طاعة له ولا معصية، وفي كتاب اللّه عزَّ وجلّ: "فَوَجَدا فيها جِداراً يُريدُ أنْ يَنْقَضّ"، ولا إرادة للجدار، ولكنه من توسع العرب في المجاز والاستعارة، قال الصُّوليّ: ما رأيت أحداً أشَدَّ بَذَخا بالكفر من أبي فراس، ولا أكثر إظهارا له منه ولا أدوم تعبثا بالقرآن قال يوما ونحن في دار الوزير أبي العباس أحمد بن

الحسين ننتظر مجيئه: هل تعرف للعرب إرادة لغير مميز؟ فقلت: إن العرب تعبر عن الجمادات بقول ولا قول لها، كما قال الشاعر:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْني

وليس ثمَّ قول، قال: لم أرد هذا، وإنما أريد في اللغة إرادة لغير مميز، وإنما عرّض بقوله عزّ وجلّ: "فوجدا فيها جدارا يريد أن ينْقَضَّ فأقامَهُ" فأيَّدني اللّه عزَّ وجلَّ بأن تذكرت قول الراعي:

في مَهْمَهٍ فُلِقَتْ بهِ هاماتُها فَلْقَ الفُؤوسِ إذا أرَدْنَ نصولا

فكأني ألقمته الحجر، وسرَّ بذلك من كان صحيح النيَّة، وسود اللّه وجه أبي فراس.

والعرب تسمي التهيؤ للفعل والاحتياج إليه إرادة. قال أبو محمد اليزيدي: كنت والكسائي عند العباس بن الحسن العَلَوي فجاء غلام له وقال يا مولاي، كنت عند فلان فإذا هو يريد أن يموت، فضحكنا، فقال ممَّ ضحكتما؟ قلنا من قوله: يريد أن يموت، وهل يريد الإنسان أن يموت؟ فقال العباس: قد قال اللّه تعالى: "فوجَدا فيها جِداراً يريد أن يَنْقَضَّ فأقامَهُ"، وإنما هذا مكان يكاد. فَتَنَبَّهنا. واللّه أعلم.

أفعل لا يراد به التَّفضيل جرى له طائرٌ أشْأم وقال الفرزدق:

بَيْتاً دَعائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ،،

وفي القرآن: "وهو أهْوَنُ عَلَيهِ". واللّه أعلم.

إضافة الاسم إلى الفعل. العرب تقول: أكرَمني وأكرَمته زيد وتقديره: أكرمني زيد وأكرَمته، كما قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: "آتوني أفرغ عليه قِطرا" تقديره: آتوني قِطراً أفرغ عليه، وكما قال جلَّ جلاله: "الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيِّماً" وتقديره أنزل على عبده الكتاب قيِّما، ولم يجعل له عوجا.

جمع الفعل عند تقدمه على الإسم رُبما تفعل العرب ذلك، لأنه الأصل فتقول: جاؤوني بنو فلان، وأكلوني البراغيث، وقال الشاعر:

رأيــنَ الغَــواني الشَّــيبَ لاحَ بِعارضــي فَأعرَضــنَ عَنِّــي بالخــدود النَّواضِــر

وقال آخر:

نُــــــتِجَ الرَّبيـــــع مَحاسِــــنَاً أَلقَحْنَهــــا غُــــرُّ السَّــــحائِبْ

وفي القرآن: "وأسَرُّوا النَّجوى الّـذين ظَلَمـوا"، وقـال جـلّ ذكـره: "ثـمّ عَمـوا وصَـمُّوا كَثيـرٌ منهم".

قال: ومن سنن العرب ذِكْـرُ الواحـد والمـراد الجمـع كقـولهم للجماعـة: ضَـيْف وعَـدُوّ قـال تعالى: "هؤلاء ضَيفي"، ولم يقل: أعدائي ولا أضيافي. إقامة الواحد مُقام الجمع: قَرِرْنـا بـه عينـاً، أي أعيننا. وفي القرآن: "فإن طِبْنَ لكُم عن شيءٍ منهُ نَفْساً"، وقال جلّ ذِكره: "ثمَّ يُخْرِجُكُم طِفْلا" أي أطفالا، وقال تعالى: "وكم من مَلَكٍ في السَّمواتِ لا تُغني شَفاعَتُهم شيئاً"، وتقديره: وكم من ملائكة في السموات، وقال عزّ مـن قائـل: "فَـإنَّهم عـدوٌ لـي إلا رَبَّ العـالَمين". وقـال: وقـال جـلّ جلاله: "لا نُفَرِّقُ بينَ أحَدٍ منهم"، والتفريـق لا يكـون إلا بـين اثنـين، والتقـدير: لا نُفَـرِّق بيـنهم، وقال: "يا أيُها النَّبيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساء". وقال: "وإنْ كُنْتُم جُنُباً فاطَّهَروا". وقال: "والـمَلائكَةُ بَعْدَ ذلك ظَهِير".

ومن هذا الباب سنة العرب أن يقولوا للرجل العظـيم والملـك الكبيـر: انظـروا مـن أمـري، ولأنّ السادة والملوك يقولون: نحـن فعلنا وإنّـا أمَرنـا، فعلـى قضـيٍّ هـذا الإبتـداء يخـاطِبون فـي الجواب، كما قال تعالى عمّن حضرَه الموت: "رَبِّ ارْجِعون".

وذكرُ الجمع والمراد واحد أو اثنان قال تعالى: "إن نعـف عـن طائفـة". والمـراد واحـد. " إن الذين ينادونك من وراء الحجرات" والمنادي واحد "بم يرجع المرسلون" وهـو واحـد بـدليل ارجع إليهم "فقد صغت قلوبكما". وهما قلبان. في جمع شيئين من اثنين.

من سنن العرب إذا ذكَرَتِ اثنين أن تُجريهما مجرى الجمع، كما تقـول عنـد ذكـر العُمَـرَين والحَسَنين: كَرَّمَ اللّه وجوههما، وكما قال عزّ ذكره: "إن تتوبا إلى اللّه فقد صَغَتْ قُلوبَكُما"، ولـم يقل: قلباكما، وكما قال عـزّ وجـلّ: "والسَّـارقُ والسَّـارقَةُ فـاقْطَعوا أيْـدِيَهُما"، ولـم يقـل يـديهما. وصفة الجمع بصفة الواحد نحو "وإن كنتم جنبا" " والملائكة بعد ذلك ظهير".

وصفة الواحد أو الاثنين بصفة الجمع نحو بُرْمَةٌ أعشارٌ وثوبٌ أهْدام وحَبْلٌ أحْذَاق قال: جاء الشّتاء وقَمِيصِي أخلاقْ وأرض سَبَاسِبُ يسمُّون كلَّ بُقعة منها سَبْسَباً لاتِّساعها. قال: ومن الجمع الذي يُراد به الاثنان قولهم: امرأة ذات أوْراكٍ ومآكِم.

إجراء الإثنين مُجرى الجمع قال الشّعبي، في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان: رجلان جاؤوني، فقال عبد الملك: لَحَنت يا شعبيّ، قال: يا أمير المؤمنين، لم ألْحَن، مع قول اللّه عزّ وجلّ: "هذان خَصمان اخْتَصَمُوا في ربهم". فقال عبد الملك: للّه درُكَ يا فقيهَ العراقين، قد شفيت وكفيت

قال: ومن سنن العرب مخاطبةُ الواحد بلَفْظِ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظُرُواْ في أمْري وكان بعضُ أصحابنا يقول: إنما يُقال هذا لأن الرجلَ العظيم يقول: نحنُ فَعَلْنا فعلى هذا الابتداء خُوطبوا في الجواب. ومنه في القرآن: "قال رب ارجعون".

قال: ومن سنن العرب أن تذكر جماعة وجماعة أو جماعة وواحداً ثم تخبر عنهما بلفظِ الاثنين في التنزيل "أوَلَم يرَ الذينَ كَفَروا أنَّ السَّموات والأرضَ كانتا رَتْقاً فَفَتَقْناهما" كما قال الأسود بن يَعفُر:

إنَّ المنايا والحُتوفَ كِليهِما في كلِّ يوم ترقُبانِ سَوادي

وقال آخر:

ألم يُحزنكِ أن حِبالَ قَيس وتَغلِبَ قَد تَبايَنَتا انقِطاعا

قال: ومن سنن العرب أن تخاطب الشاهدَ ثم تحوِّل الخطاب إلى الغائب أو تخاطب الغائبَ ثم تحوِّله إلى الشاهد وهو الالْتِفاتُ وأن تخاطبَ المخاطب ثم يرجع الخطاب لغيره نحو: "فإن لم يستجيبوا لكم" . الخطاب للنبي صلى اللّه عليه وسلم ثم قال للكفار:"فاعلموا أنما أنزل بعلم اللّه". يدل على ذلك قوله: "فهل أنتم مسلمون".

وأن يُبتدأ بشيءٍ ثم يُخبَر عن غيره نحو: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن". فخبَّر عن الأزواج وترك الذين.

قال: ومن سنن العرب أن تَنْسب الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما نحو: "مرج البحرين" إلى وإلى الجماعة وهو لأحدهم نحو:" إذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها" والقاتل واحد. قال تعالى: "ما كان للمُشْركينَ أنْ يَعمُروا مَساجِدَ اللّهِ"، وإنما أراد المسجد الحرام،

وإلى أحد اثنين وهو لهما نحو: "واللّه ورسوله أحق أن يرضوه".

قال: ومن سنن العرب أن تأمرَ الواحد بلفظ أمر الاثنين نحو: افعلا ذلك ويكون المخاطبُ واحداً. أنشد الفرَّاء: فقلتُ لصاحبي لا تَحْبِسَنَّا بنَزْع أُصوله واجْدَزَّ شِيحا وقال: فإن تزجراني يا بن عَفّان أنْزَجِر وإن تَدَعاني أحْمِ عِرْضاً ممنَّعا وقال اللّه تعالى: "ألقيا في جهنم" وهو خطاب لخزنة النار والزَّبانِية. قال: ونرى أن أصلَ ذلك أن الرُّفقَة أدنى ما تكون ثلاثة نفَر فجرى كلامُ الواحد على صاحبيْه ألا ترى أن الشعراء أكثرُ الناس قولاً: يا صاحبيّ ويا خَلِيليّ.

قال: ومن سنن العرب التعويضُ وهو إقامةُ الكلمة مقامَ الكلمة كإقامة المصدر مقامَ الأمر نحو " فَضَرْبَ الرِّقاب " والفاعل مقامَ المصدر نحو " ليس لوَقْعتها كاذبة " أي تكذيب. والمفعول مقامَ المصدر نحو " بِأيِّكُم المَفْتُون " أي الفتنة. والمفعول مقام الفاعل نحو: " حجاباً مَسْتوراً ".

في إقامة الإسم والمصدر مقام الفاعل والمفعول تقول العرب: رجل عَدْل: أي عادل، ورضاً: أي مَرْضِي، وبنو فلان لنا سَلْم: أي مسالمون، وحَرْب: أي محاربون. وفي القرآن: "ولكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللّهِ"، وتقديره: ولكن البِرَّ برُّ من آمنَ باللّه، فأضمر ذكر البر وحذفه.ومن سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفْظِ الماضي وهو حاضر أو مستقبل أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ نحو قوله تعالى: "أتى أمر اللّه". أي يأتي. " كنتُم خيرَ أُمَّة " أي أنتم " واتَّبعوا ما تَتْلوا الشياطينُ " أي ما تَلَت. وأن تأتي بالمفعول بلفظِ الفاعل نحو: سرٌّ كاتم أي مكتوم. وماء دافق أي مَدفوق. وعيشة راضية أي مرْضيّ بها. وحرَماً آمِناً أي مأموناً فيه. وبالفاعل بلفظ المفعول نحو عيش مغبون أي غابن ذكره ابن السِّكيت.

قال: ومن سنن العرب وصفُ الشيء بما يقعُ فيه نحو: يوم عاصِف وليل نائمٌ وليلٌ ساهر. قال: ومن سنن العرب التوهّم والإيهام وهو أن يتوهّم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحقِّ منه قولهم: وقفتُ بالرَّبع أسأله. وهو أكملُ عقلاً من أن يسأل رَسْماً يعلمُ أنه لا يسمعُ ولا يَعْقِلُ لكنه تفجَّع لما رأى السَّكْن رَحلوا وتوهَّم أنه يسأل الرَّبع أين انْتَأوْا وذلك كثيرٌ في أشعارهم.

قال: ومن سنن العرب الفرقُ بين ضدّين بحرف أو حركة كقولهم: يَدْوَى من الداء ويُدَاوِي من الدواء ويُخْفِر إذا نَقض من أخفر ويخفِر إذا أجار مِنْ خَفَر ولُعَنَة إذا أكثر اللَّعن ولُعْنَة إذا كان يُلْعَن وهُزَأَة وهُزْأَة وسُخَرَة وسُخْرَة.

قال: ومن سنن العرب البسطُ بالزيادة في عدد حروف الاسم والفعل ولعل أكثر ذلك لإقامة وزْن الشعر وتَسْوية قوافيه كقوله: وليلةٍ خامِدةٍ خُمُودا طخْياءِ تُعْشِي الجَدْيَ والفُرْقودا إذا عميرهم أن يرقودا لو أنَّ عمراً همّ أن يَرْقُودا أي يَرْقد.

قال: ومن سنن العرب القَبْضُ محاذاةً للبسْطِ وهو النُّقْصانُ من عدد الحروف كقوله: غَرْثَى الوشاحَيْن صَموتُ الخَلْخَل أي الخَلْخال. ويقولون: دَرَس المَنَا يريدون المنازل ونار الحُباحب. ومنه بابُ الترْخيم في النداء وغيره ومنه قولهم: لاه ابن عمِّك أي للّه ابنُ عمك.

قال: ومن سنن العرب الإضمارُ إما للأسماء نحو ألا يا اسْلَمى أي يا هذه أو للأفعال نحو: أثعلباً وتفرّ: أي أترى ثعلباً ومنه إضمار القول كثيراً أو للحروف نحو: ألا أيّهذا الزَّاجري أشهدَ الوَغى أي أن أشْهد.

قال: ومن سنن العرب تقديمُ الكلام وهو في المعنى مؤخّر وتأخيرُه وهو في المعنى مقدّم كقوله: ما بالُ عينيك منها الماءُ يَنْسَكِب أراد ما بالُ عينك ينسكبُ منها الماء وقوله تعالى: " ولولا كلمةٌ سَبقَتْ من ربّك لكان لِزاماً وأجَلٌ مسمّى " فأجل معطوفة على كلمة والتأويل: ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّك وأجل مسمّى لكان العذابُ لازماً لهم.

العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدَّم غيره، كما قال عزَّ وجلَّ: "يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين" وكما قال تعالى: "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" وكما قال عزّ وجلَّ: "يهب لمن يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الذكور" وكما قال تعالى: "وهو الذي خلق الليل والنهار" وكما قال حسان بن ثابت في ذكر بني هاشم:

بَهالِيل منهم جعفر وابن أمّه ... عليٌ ومنهم أحمد المُتَخَيَّرُ

وكما قال الصَّلَتان العبديّ:

فَمِلَّتنا أننا مسلمون ... على دين صدِّيقنا والنّبيْ

قال: ومن سنن العربِ أن يَعْترِض بين الكلام وتمامِه كلام نحو: اعملْ - واللّه ناصِري - ما شئت. قال: ومن سنن العرب أن تُشيرَ إلى المعنى إشارةً وتومئُ إيماءً دون التصريح نحو طويلُ النِّجاد يريدون طولَ الرَّجل وغَمْر الرِّداء: يُومِئون إلى الجُود وطَرب العِنان: يُومِئون إلى الخفَّةِ والرَّشاقة.

قال: ومن سنن العرب الكفُّ وهو أن تكفَّ عن ذكر الخبر اكتفاءً بما يدلُّ عليه الكلامُ كقوله: إذا قلتُ سيروا نحو ليلى لعلَّها جرى دونَ ليلى مائلُ القَرْن أعْضَبُ ترك خَبَر لعلها.

قال: ومن سنن العرب أن تُجْري المواتَ وما لا يَعْقل في بعض الكلام مَجْرى بني آدم كقوله في جمعِ أرض أرضون وقال تعالى: " كلٌّ في فَلَكٍ يسبحون ". ذلك من سنن العرب، كما تقول: أكلوني البراغيث، وكما قال عزّ وجلّ: "يا أيُها النَّملُ ادخُلوا مَساكِنَكُمْ لا يُحطِمَنَّكُمْ سُلَيمان وجُنودُهُ"، وكما قال سبحانه وتعالى: "واللّه خَلَقَ كلَّ دابَّةٍ من ماء، فَمِنهُم من يَمْشي على بَطنِهِ، ومنهم من يَمشي على رجلين ومنهم من يَمشي على أرْبَع"، ويقال: إنه قال ذلك تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم. (من يمشي على بطنه الأصل يزحف)

ومن سنن العرب تغليب ما يعقل كما يُغَلَّب المذكّر على المؤنَّث إذا اجتمعا.

ومن سنن العرب تذكير المؤنث وتأنيث المذكَّر في الجمع، قال تعالى: "وقال نِسْوَةٌ في المدينة"، وقال: "قالت الأعرابُ آمَنَّا".

حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ، وحمله على معناه، كما يقولون: ثلاثةُ أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشّخص. قال الشاعر:

ما عندنا إلا ثلاثة أنفس ... مِثلُ النُّجومِ تلألأتُ في الحِندِسِ

وقال عمر بن عبد اللّه بن أبي ربيعة:

فكان مِجَنِّي دون ما كنتُ أتَّقي ... ثلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ وَمُعْصِرُ

فحمل ذلك على أنهن نساء. وقال الأعشى:

لِقــومٍ وكــانوا هُــمُ الـــمُنْفِدِينَ شَــــرَبَهُمُ قَبْــــلَ تَنْفادِهـــا

فأنَّث الشراب لما كان الخمر المعني، وهي مؤنثة، كما ذكر الكفّ وهي مؤنثة في قوله:

أرى رجـــلا مـــنهم أسـيفاً كأنّمــا يَضُــمُّ إلــى كَشْــحيه كفَّــاً مُخَضَّــبا

فحمل الكلام على العضو وهو مذكر.

قال: ومن سنن العرب الـمُحاذاة وذلك أن تجعل كلاماً ما بِحذاء كلام فيُؤْتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختَلِفَين فيقولون: الغَدَايا والعَشايا. فقالوا: الغَدَيا لانضمامها إلى العَشايا. ومثلُه قولهم: أعوذُ بك من السامَّةِ واللامّة. فالسامَّة من قولك: سمَّت النعمة إذا خصَّتْ واللاّمّة أصلها من الـمَت لكن لما قُرنت بالسامَّة جُعِلَتْ في وزنها.

قال: وذكر بعضُ أهل العلم أن من هذا الباب كتابه المصحف كتبوا: "والليل إذا سَجَى" بالياء وهو من ذوات الواو لـمَّا قُرن بغيره ممَّا يُكْتَب بالياء.

قال: ومن هذا الباب قوله تعالى: " ولو شاء اللّهُ لسلَّطَهم عليكم " فاللام التي في " لَسَلَّطَهُمْ " جوابُ لو. ثم قال: " فَلَقَاتَلُوكُم " فهذه حُوذِيتْ بتلك اللام وإلا فالمعنى لسلَّطهم عليكم فقاتلوكم. ومثلُه: " لأُعَذِّبَنَّه عذاباً شديدًا أو لأذْبَحَنَّه ". فهما لاما قَسَمٍ ثم قال: " أو لَيَأْتيني " فليس ذا موضعَ قسم لأنه عُذْر للهُدْهد فلم يكن ليُقْسِمَ على الهدهد أن يأتيَ بعُذْر لكنّه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجْراه مَجْراه فكذا باب المحاذاة.

قال: ومن الباب وزَنْتُه فاتَّزَن وكِلْته فاكْتال أي استوفاه كَيْلاً ووَزْناً ومنه قوله تعالى: " فما لكم عليهنّ من عِدَّةٍ تعتدُّونها " أي تستوفونها لأنها حقّ للأزواج على النساء.

قال: ومن هذا الباب الجزاءُ عن الفِعْل بمثل لفظه نحو: " إنما نَحْن مُستهزئون اللّهُ يستهزئ بهم ". أي يجازيهم جزاء الاستهزاء " مَكروا ومَكَرَ اللّه ". " فَيَسْخَرُون منهم سَخِر اللّهُ منهم ". " ونَسُوا اللّه فنَسِيهم ". " وجزاءُ سيِّئةٍ سيئةٌ مثلُها ". ومثلُ هذا في شعر العرب قول القائل: ألا لا يَجْهلن أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا،، ومن نظائر الغَدَايا والعشايا ما في الجمهرة تقول العربُ للرجل إذا قدم من سفَر: أوْبَةً وطَوْبة أي أُبْتَ إلى عيش طيِّب ومآبٍ طيّب والأصل طيبَة فقالوه بالواو لمحاذاة أوبة وقال ابن خالويه إنما قالوا: طَوْبة لأنهم أزْوَجوا به

أوْبَة. وفي ديوان الأدب: يقال: بِفيهِ البَرَى وحُمّى خَيْبَرَى وشرٌّ ما يُرَى فإنّه خَيْسَرى يعني الخسران وهو على الازدواج.

وفيه: يقال أخذني من ذلك ما قَدُم وما حَدُث لا يُضَمّ حدَث في شيء من الكلام إلا في هذا الموضع وذلك لمكان قدم على الازدواج. وفي أمالي القالي: قال أبو عبيدة: يقال خيرُ المال سِكَّةٌ مأبُورة أو مُهْرَة مأمُورة أي كثيرةُ الولد وكان ينبغي أن يقال: مُؤْمَرة ولكنه اتبع مَأبورة. والسكة: السطر من النَّخْل. وفي الصحاح: قال الفراء يقال: هَنأني الطعام ومَرأني إذا أتبعوها هَنأني قالوها بغير ألف فإذا أفردوها قالوا: أمرأني. وفيه: يقال له عندي ما ساءه وناءه قال بعضهم: أراد ساءه وأناءه وإنما قال ناءه - وهو لا يتعدّى - لأجل ساءه ليزْدَوج الكلام كما يقال: إني لآتيه بالغَدَايا والعشايا والغَداةُ لا تجمع على غدايا. وفيه: جمعوا الباب على أبوبة للازدواج قال: هَتَّاكِ أخْبِيَةٍ ولاّج أبْوِبة ولو أفرده لم يجز. وفيه يقال: تَعْساً له ونَكْساً. وإنما هو نُكس بالضم وإنما فُتح هنا للازدواج. وقال الفراء: إذا قالوا: النجس مع الرجس أتْبَعوه إياه فقالوا: رجْس نِجْس بالكسر وإذا أفردوه قالوا: نَجس بالفتح: قال تعالى "إنما المشْركون نَجَس". وفي الصحاح يقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ تزْويجاً للكلام والأصلُ ولا ائتليت وهو افتعلت من الإتباع وهو من سنن العرب وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورَوِيِّها إشباعاً وتوكيداً اتِّساعاً كقولهم: جائع نائع، وساغِب لاغِب، وعَطشان نَطْشان، وصَبٌّ ضَبٌّ، وخَراب يَباب. وقد شاركت العرب العجم في هذا الباب.

ومن ذلك إشتقاق نعت الشيء من اسمه عند المبالغة فيه ذلك من سنن العرب كقولهم: يوم أيْوَم، ولَيل ألْيَل، ورَوض أرْيَض، وأسَد أسِيد، وصُلب صَليب، وصَديق صَدوق،وظِلٌّ ظَليلٌ، وحِرز حَريز، وكِنٌّ كَنين، وداءٌ دَويّ.

قال ابن فارس: ومن سنن العرب الاقتصارُ على ذكر بعض الشيء وهم يُريدونه كلَّه فيقولون: قَعد على صَدْر رَاحلِته ومضى. ويقول قائلهم: الواطِئين على صُدُور نعالهم ومن هذا الباب: " ويَبْقَى وجْهُ رَبِّك ". " ويُحَذِّرُكم اللّهُ نفسَه " أي إياه وتواضعت سورُ المدينة.

في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة العرب تفعل ذلك، فتقول: هذا حُجْرُ ضَبٍّ خَربٍ. والخرب نعت الحُجر لا نعت الضبِّ ولكن الجوار عمل عليه، كما قال امرؤ القيس:

كـأن ثبيـراً فـي عـرانين وَبلِـهِ		كبيـرُ أنـاسٍ فـي بِجـاد مُزَمَّـلِ

فالـمُزَمَّل: نعت الشيخ لا نعت البِجاد، وحقه الرفع ولكن خفضه للجوار، وكما قال آخر:

يـا ليـت شَـيْخَكِ قـد غـدا		مُتَقَلِّـداً سَـيفاً ورُمحـاً

والـرُمح لا يُتَقَلَّد، وإنمـا قـال ذلـك لمجاورتـه السـيف. وفـي القـرآن: "فـأجْمِعوا أمْـرَكم وشُرَكاءكُم" لا يقال: أجْمَعت الشُركاء وإنما يقال: جَمَعت شركائي، وأجمَعتُ أمري وإنما قال ذلـك للمجاورة، وقال النبي صلى الله عايه وسلم: (ارجِعْنَ مأزورات غيرَ مَأجورات) وأصلها مَوزورات من الوزر ولكن أجراها مجرى الـمَأجورات للمجـاورة بينهمـا، وكقولـه: بالغـدايا والعشـايا، ولا يقـال: الغدايا إذا أفردت عن العشايا لأنها الغدوات، والعامـة تقـول: جـاء البـرد والأكسـية، والأكسـية لا تجيء ولكن للجوار حقٌ في الكلام.

الجمع بين شيئين اثنين ثم ذكر أحدهما في الكناية دون الآخر والمراد بـه كلاهمـا معـا من سنن العرب أن تقول: رأيت عمراً وزيداً وسلّمت عليه، أي عليهما. قال الله عزّ وجلّ: "والـذين يَكْنِزون الذَّهبَ والفِضّةَ ولا يُنْفِقونَها في سبيل الله"، وتقدير الكـلام: ولا ينفقونهمـا فـي سـبيل الله، وقال تعالى: "وإذا رَأوا تِجارَةً أو لهـواً انْفَضـوا إليهـا"، وتقـديره: انفضـوا إليهمـا. وقـال جـلّ جلاله: "والله ورسوله أحَقُّ أن يُرضوه"، والمراد: أن يرضوهما

في مخاطبة اثنين ثم النص على أحدهما دون الآخر العرب تقول: ما فعلتما يا فلان، وفـي القرآن: "فمن رَبُّكُمَا يا مُوسَى". وفيه: "فلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقى"، خاطب آدم وحـواء، ثـم نصَّ في إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء.

المدح يراد بـه الـذَّم، فيجـري مجـرى الـتَّهَكم والهَـزْل العـرب تفعـل ذلـك، فتقـول للرجـل تستجهله: يا عاقل، وللمرأة تستقبحها: يا قمر. وفي القرآن: "ذُقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكَـريمُ". وقـال عزَّ ذكره: "إنَّكَ لأنتَ الحَليمُ الرَّشيدُ".

فيما يقع على الواحد والجمع من ذلك الفُلك، قال الله تعالى: "في الفُلكِ الـمَشحونِ" فلمـا جمعه قال: "والفُلكِ التي تَجري فـي البَحـر". ومـن ذلـك قـولهم: رَجُـل جُنُـبٌ ورجـال جُنُـبٌ، وفـي القرآن: "وإن كنتم جُنُبا فاطَّهَروا". ومن ذلك العدو. قال تعالى: "فإنهُمْ عَدُوٌ لي إلا رَبَّ العالمين"

وقال: "وإن كانَ مِن قومٍ عَدوٍ لَكُم وهوَ مُؤمِنٌ". ومن ذلك الضيف: قال اللّه عزّ وجلّ: "هؤلاء ضَيْفِي فَلا تَفْضَحون".

جمع الجمع العرب تقول: أعراب وأعاريب، وأعطِية وأعطِيات، وأسقية وأسقيات، وطُرق وطرُقات، وجمال وجمالات، وأسورة وأساور، قال اللّه عزّ وجلّ" "إنها ترمي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ ويلٌ يومئذٍ للمُكَذِّبين" وقال عزّوجَلّ: "يُحلَّونَ فيها مِنْ أساورَ مِن ذَهَبٍ."

وليس كل جمع يجمع كما لا يجمع كل مصدر.

في الخطاب الشامل للذكران والإناث وما يَفْرق بينهم قال اللّه عزّوجلّ: "يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا اللّه". وقال: "وأقيموا الصلاة وآتُوا الزَّكاة" فعمَّ بهذا الخطاب الرجال والنساء وغلَّب الرجال، وتغليبهم من سنن العرب.

وكان ثعلب يقول العرب تقول: امرُؤٌ وامرأانِ وقوم، وامرأةٌ وامرأتان ونِسوة، لا يقال للنساء قوم، وإنما سمِّي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور، كما قال عزَّ ذكره: "الرِّجال قوّامونَ على النساءِ" يقال: قائم وقوم، كما يقال زائر وَزَور، وصائم وصوم، ومما يدل على أنَّ القوم رجال دون النساء قول اللّه تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا يَسخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسَى أن يَكونوا خَيراً مِنْهُم ولا نِساءٌ مَن نِساءٍ عَسَى أن يَكُنَّ خَيراً مِنْهُنَّ". وقول زهير:

وما أدري وسَوف إخالُ أدري * أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نِساءُ

نفي الشيء جملة من أجل عدم كمال صفته العرب تفعل ذلك، كما قال اللّه عزَّ وجلَّ في صفة أهل النار: "ثمَّ لا يموت فيها ولا يَحْيا". فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة، وهذا كثير في كلام العرب. قال أبو النَّجم:

يُلقينَ بالخَبار والأجارعِ   كلَّ جَهيضٍ ليِّنِ الأكارعِ

ليسَ بِمَحْفُوظٍ ولا بِضائعِ

يعني أنه ليس بمحفوظ لأنه ألقِيَ في صَحراء ولا بضائع لأنه موجود في ذلك المكان. ومن ذلك قول اللّه عزّ وجلّ: "وتَرى النَّاس سُكارى وما هُم بِسُكارى" أي ماهم بسكارى من شُرب

ولكن سكارى من فزع ووله. ولا مال إلا الإبل، لا كمال للمال إلا إن كان إبلا، ولا صلاة لمن لم يفعل كذا، أي لا كمال لصلاته، ولا يؤمن وما شابه في مواضعه حسب سياقه.

نفي في ضمنه إثبات. قول العرب: ليس بحلو ولا حامض، يريدون أنه جمع ذا وذا، كما قال الشاعر:

أبو فَضَالة لا رسمٌ ولا طَلَلُ مِثْلُ النَّعامةِ لا طَيرٌ ولا جَمَلُ

وقال آخر:

مَسيخٌ مَليخٌ كلَحْمِ الحُوار فلا أنت حُلوٌ ولا أنت مُرٌّ

وفي القرآن: "لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ" يعني أنَّ الزيتونة شرقيَّة وغربيَّة. على دوام النور فيها لأنها لا شرقية ولا غربية، ليست مما تطلع عليه الشمس وفي وقت شروقها أو غروبها فقط، بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً، فهي شرقية وغربية، واختلف الناس ههنا في أن المشبه أي شي هو؟ وذكروا وجوهاً: أحدها: أن المراد من الهدى التي هي الآيات البينات، والمعنى أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية. وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء، فإن قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير، قلنا إنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لأن الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات، وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص، وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق وأوفق، واعلم أن الأمور التي اعتبرها الله تعالى في هذا المثال مما توجب كمال الضوء فأولها: المصباح لأن المصباح إذا لم يكن في المشكاة تفرقت أشعته، أما إذا وضع في المشكاة اجتمعت أشعته فكانت أكثر إنارة، والذي يحقق ذلك أن المصباح إذا كان في بيت صغير فإنه يظهر من ضوئه أكثر مما يظهر في البيت الكبير وثانيها: أن المصباح إذا كان في زجاجة صافية فإن الأشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة إلى البعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور، والذي يحقق ذلك أن شعاع الشمس إذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى أنه يظهر فيما

يقابله مثل ذلك الضوء، فإن انعكست تلك الأشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة إلى الجانب الآخر كثرت الأنوار والأضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها: أن ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به، فإذا كان ذلك الدهن صافياً خالصاً كانت حالته بخلاف حالته إذا كان كدراً وليس في الأدهان التي توقد ما يظهر فيه من الصفاء مثل الذي يظهر في الزيت فربما يبلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في أجزائه ورابعها: أن هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته، فإذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى أنها كانت بارزة للشمس في كل حالاتها يكون زيتونها أشد نضجاً، فكان زيته أكثر صفاء وأقرب إلى أن يتميز صفوه من كدره لأن زيادة الشمس تؤثر في ذلك، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصاً كاملاً فيصلح أن يجعل مثلاً لهداية اللّه تعالى.

وفي أمثال العامّة: (فلان كالخنثى، لا ذكر ولا أنثى): أي يجمع صفات الذَّكران والإناث معا.

في إقامة الإنسان مقام من يشبهه وينوب منابه من سنن العرب أن تفعل ذلك، فتقول: زيد عمرو، أي كأنه هو، أو يقوم مقامه ويسد مسده. وتقول أبو يوسف أبو حنيفة، أي في الفقه، والبحتري أبو تمام، أي في الشعر، وفي القرآن: "وأزواجه أمَّهاتُهمْ" أي هنَّ مثلهن في التحريم، وليس المراد أنهنَّ والدات، إذ جاء في آيةٍ أخرى: "إنْ أمَّهاتُهمْ إلا اللائي وَلَدْنَهُم"، فنفى أن تكون الأم غير الوالدة.

إقامة وصف الشيء مقام اسمه من سنن العرب كما قال اللّه عزَّ وجلَّ: "وَحَمَلْناهُ على ذاتِ ألواحٍ وَدُسُرٍ" يعني السفينة، فوضع صفتها موضع تسميتها.

وقال تعالى: "إذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصَّفِناتِ الجِيادُ" يعني الخيل.

وقال بعض المتقدِّمين:

سألَتْ قُتَيْلةُ عن أبيها صَحْبَهُ ... في الرَّوْعِ: هل رَكِبَ الأغَرَّ الأشْقَرا؟

يعني هل قُتِل، والأغرُّ الأشقرُ: وصف الدَّم فأقامه مقام اسمه.

وقال بعض المحدِّثين:

شِـمْتُ بَـرْقَ الـوزير فانهـلَّ حتّـى ... لـم أجِـدْ مَهْرَبـاً إلـى الإعْـدامِ
فكـأنّي وقـد تقاصَـرَ بـاعي ... خـابطٌ فـي عُبـابِ أخضَـرَ طـامي

يعني: البحر.

وقال الحجاج لإبن القَبَعْثَرَى: لأحْمِلَنَّك على الأدهم، يعني القيدَ، فتجاهل عليه، وقال: مِثْـلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب.

إضافة الشيء إلى الله جل وعلا العرب تُضيف بعض الأشياء إلـى الله عـزَّ ذكـره وإن كـانـت كلها له. فتقول: بيت الله وظِلُّ الله وناقَةُ الله.

قال الجاحظ: كل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّم شأنه، وفخَّم أمره، وقـد فعـل ذلـك بالنار، فقال: "نارُ اللّهِ الموقَدةُ."

ويُروى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعتيبة بن أبي لهب: أكَلَكَ كَلْبُ الله، ففـي هـذا الخبر فائدتان، إحداهما أنه ثَبَتَ بذلك أن الأسد كلـب، والثانيـة أن الله تعـالى لا يضـافُ إليـه إلا العظيم من الأشياء في الخير والشر، أما الخير فكقـولهم: أرضُ الله، وخليـل الله، وزوَّار الله، وأمـا الشرّ فكقولهم: دَعْهُ في لَعنةِ الله وسَخَطِهِ وأليم عذابهِ وإلى نار الله وحرِّ سَقَره.

قال: وقد جاء القرآن بجميع هذه السنن لتكون حجة اللّـه علـيهم آكـد ولـئلا يقولـوا: إنمـا عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لُغَتِنا وبغير السـنن التـي نستنّها فأنزلـه جـلَّ ثناؤه بـالحروفِ التي يعرفونها وبالسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجـزُهم عـن الإتيـان بمثله أظْهر وأشعر. انتهى كلام ابن فارس والثعالبي متصرفا فيه.

قال المطرّزي في شرح المقامات: كان يقال: اخـتصَّ اللّـهُ العـرب بـأربع: العمـائمُ تيجانهـا والحِبا حِيطانها والسيوف سِيجانها والشِّعر ديوانها. قال: وإنما قيل: الشعرُ ديوان العـرب لأنهـم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم في الأنساب والحروب ولأنه مستودعُ علومهم وحافظُ آدابهـم ومعدنُ أخبارهم ولهذا قيل:

الشـعرُ يحفـظ مـا أودى الزمـانُ بـه ... والشـعـرُ أفخـرُ مـا يُنْبـي عـن الكـرم
لــولا مقــال زهيــر فــي قصــائده ... مـا كنـت تعـرف جـوداً كـان فـي هَـرِم

وقد قال بعض علمائنا - حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقَلْب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: وكذلك لا يقدرُ أحدٌ من التَّراجم على أن ينقلَه إلى شيء من الألْسِنة كما نُقِل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزَّبور وسائر كتب اللّه عزّ وجلّ بالعربية لأنَّ غيرَ العرب لم تتسع في المجاز اتساعَ العرب ألا ترى أنك لو أردتَ أن تنقلَ قوله تعالى: " وإما تَخَافَنَّ من قومٍ خيانةً فانبذْ إليهم على سواءٍ ".

لم تستطع أن تأتي لهذه بألفاظ مؤدِّية عن المعنى الذي أودِعَتْه حتى تبسط مجموعها وتصلَ مقطوعها وتُظهرَ مَسْتُورها فتقول: إن كان بينك وبين قوم هُدْنة وعَهْد فخِفْتَ منهم خيانةً ونقضاً فأعْلِمهم أنك قد نقضتَ ما شرطته لهم وآذنْهم بالحرب لتكونَ أنتَ وهم في العلم بالنَّقْض على الاستواء.

قال جوستاف جرونيباوم:" عندما أوحى اللّه رسالته إلى رسوله محمد أنزلها " قرآناً عربياً " واللّه يقول لنبيّه " فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً " وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة اللّه النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع اللّه في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتّبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات وتزيّن الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة خصائص جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبيّن ذلك أن الصورة العربية لأيّ مثل أجنبيّ أقصر في جميع الحالات، وقد قال الخفاجي عن أبي داود المطران - وهو عارف باللغتين العربية والسريانية - أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبُحت وخسّت، وإذا نُقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوةً وحسناً، وإن الفارابي على حقّ حين يبرّر مدحه العربية بأنها من كلام أهل الجنّة، وهو المنزّه بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلّى من كل خسيسة، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً" (الفصحى لغة القرآن- أنورالجندي ٣٠٦) قال المستشرق الفرنسي رينان:" من أغرب المُدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من

الرُحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة " مجلة اللسان العربي ٢٤ /٨٥.

٧

البلاغة

علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني وعلم العروض

على أن وضع البحث في سياقه يقتضي أن نعلم أن البلاغة تقسم إلى ثلاثة مباحث رئيسه: علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني ويلحق بها علم العروض ومادته أوزان الشعر.

علم المعاني:

ويختص بعنصر المعاني والأفكار، فهو يرشدنا إلي اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر في أذهاننا، وهو لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة، ولكنه يمد نطاق بحثه إلي علاقة كل جملة بالأخرى، وإلي النص كله بوصفه تعبيرا متصلا عن موقف واحد، إذ أرشدنا إلي ما يسمي: الإيجاز والإطناب، والفصل والوصل حسبما يقتضيه الموقف. إذن فعلم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام ومعرفة تفاوت المقامات حتى لا يقع المرء في الخطأ في تطبيق الأولى على الثانية

وذلك ـ كما في أبجد العلوم ـ لأن للتراكيب خواص مناسبةً لها يعرفها الأدباء، إما بسليقتهم، أو بممارسة علم البلاغة، وتلك الخواص بعضها ذوقية وبعضها استحسانية، وبعضها توابع ولوازم للمعاني الأصلية، ولكن لزوماً معتبراً في عرف البلغاء، وإلا لما اختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة...وكذا مقامات الكلام متفاوتة، كمقام الشكر والشكاية، والتهنئة والتعزية، والجد والهزل، وغير ذلك من المقامات... فكيفية تطبيق الخواص على المقامات تستفاد من علم المعاني. ومداره على الاستحسانات العرفية.

مثال علم المعاني: ولعل من هذا القبيل ماوري أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله سبحانه: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور

رحيم}(المائدة/٣٨) فاستنكر منه ختام الآية بصفة الرحمة والمغفرة، حتى تنبه القارئ إلى خطئه فأعاد القراءة على الصحيح:{ والسارق والسارقة... واللّه عزيز حكيم} كما نزلت في كتابه اللّه، عند ذلك قال الأعرابي الآن: استقام المعنى.

فلا يستحسن في مقام العقوبة، وتهديد السارق بقطع يده، والأمر بذلك إن سرق إلا أن يقال (واللّه عزيز حكيم) حيث يوصف الرب سبحانه بالعزة، التي منها أن يأمر بما يشاء بمن يخالفه، ثم بالحكمة التي منها أن لا تزيد العقوبة عن مقدارها أو تنقص عنه، بل تكون مساوية للذنب ومقاربة.

قال أبو العلاء المعري:

يد بخمس مئين عسجد وديت　　　ما بالها قطعت في ربع دينار؟

تناقض مالنا إلا السكوت له　　　وأن نعوذ بمولانا من النار

يعني أن دية اليد عند الأرش خمسمائة دينار ذهب فكيف تقطع في سرقة ربع دينار

فأرسل له القاضي الفقيه عبد الوهاب المالكي جوابا:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها　　　ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

أي انها كانت ثمينة لمّا كانت أمينة، و نظمه الشاعر فقال:

يد بخمس مىء من عسجد وديت　　　لكنها قطعت في ربع دينار

حماية الدم أغلاها، وأرخصها　　　خيانة المال فانظر حكمة الباري

ومن هذا القبيل أن لا يتفاخر إنسان في مقام الاستجداء والسؤال، وأن لا يمدح من يشكو إلى من هو أكبر منه، ولا يضحك في مقام التعزية، وأن لا يعبس أو يقطب في خطبته أو كلامه أو شعره في مقام التهنئة.

مثلا أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المفلق فاق بفصاحة اللفظ وجزالة المعنى قيل إنه أنشد قصيدته في مدح المعتصم:

مـا فـي وقوفـك سـاعةً مـن بـاس تقضـي ذمـام الأربـع الـدّرّاس

فلما انتهى إلى المديح قال:

إقـدام عمـروٍ فـي سـماحة حـاتمٍ فـي حلـم أحنـف فـي ذكـاء إيـاس

قال بعض الحاضرين: مه! من هؤلاء حتى تشبه الخليفة بهم فأطرق أبـو تمـام هنيـةً ثـم رفع رأسه وقال:

لا تنكـروا ضـربي لـه مـن دونـه مـثلاً شـروداً فـي النّـدى والبـاس
فـاللّه قـد ضـرب الأقـلّ لنـوره مـثلاً مـن المشـكاة والنّبـراس

وقيل لأعرابيّ في شَكَاتِه: كيف تُجدُكَ قال: أجِدُني أجِدُ مالا أشتهي وأشتهي ما لا أجد وأنا في زمانٍ من جاد لم يَجِد ومن وَجَدَ لم يَجُدْ

وقال الأحنف لمعاوية: أخافك إن صدَقْتُكَ وأخاف اللّه إن كذَبْتُكَ.

وضرب الحجاج أعناقَ أسْرى فلما قدّموا إليه رجلاً لتُضرَبَ عنُقه قـال: واللّـه لـئنْ كُنَّـا أسـأنا في الذّنب فما أحسنْتَ في العفو فقال الحجّاج: أُفٍّ لهذه الجِيَف أما كان فيها أحدٌ يحسن مثلَ هذا الكلام وأمسَكَ عن القتل

وقدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مَرْوَان لتُضرب عنقه ودخـل علـى عبـد الملـك ابنٌ له صغيرٌ قد ضربَه المعلّم وهو يبكي فهـمَّ عبـدُ الملـك بـالمعلّم فقـال لـه الخـارجيّ: دَعُـوه يبكي فإنه أفتح لجِرمه وأصحُّ لبَصَره وأذْهَب لصَوته قال له عبدُ الملك: أمَا يشـغَلُك مـا أنـتَ فيـه عن هذا قال الخارجيّ: ما ينبغي لمسلِم أن يشغَلَه عن قول الحقّ شيء فأمر بتخلية سبيله

مرَّ عمر بن ذرّ بعبد اللّه بن عَيَّاش المنتوف وقد كان سَفِه عليه فأعرَضَ عنه فتعلّق بثوبه ثم قال له: يا هَناهُ إنا لم نَجدْ لك أنْ عصَيتَ اللّه فينا خيـراً مـن أن نطيـع اللّـه فيـك وهـذا كـلامٌ أخذه عُمَر بن ذَرّ عن عمر بن الخطاب رحمه اللّه قـال عُمـر: إنّـي واللّـه مـا أدَع حَقّـاً للّـه لشِـكايةٍ تظهر ولا لضَبٍّ يُحتَمل ولا لمحاباةِ بَشَرٍ وإنّك واللّـه مـا عاقبـتَ مَـن عصـى اللّـه فيـك بمثـل أن تُطيعَ اللّه فيه

وقال أبو الدَّرداء: مِن هوان الدُّنيا علـى اللَّـه أنّـه لا يعُصَـى إلاّ فيهـا ولا يُنـال مـا عنـده إلاّ بـتركها

وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً: يا بنيّ إذا قَلَّلتَ من الكلام أكثرتَ من الصَّواب وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصّواب قال: يا أبه فإنْ أكثرتُ وأكثرت - يعني كلاماً وصواباً - قال: يا بُنيَّ ما رأيتُ موعوظاً أحقَّ بأن يكون واعظاً منك

خطَبَ رسول اللَّه صلى اللّه عليه وسلم بعشْر كلمات: حَمِد اللَّه وأثنى عليه ثـم قـال: أيُّهـا النـاس إنّ لكم معالـمَ فانتهُوا إلى مَعَالمكمْ وإنّ لكـم نهايـةً فـانتهوا إلـى نهـايتكم إنّ المـؤمنَ بين مخافتين: بين عاجلٍ قد مَضَى لا يدري ما اللَّه صانعٌ به وبين أجلٍ قد بَقِـيَ لا يـدري مـا اللَّـهُ قاضٍ فيه فليأخُذ العبدُ من نفسه لنفسـه ومـن دُنيـاه لآخرتـه ومـن الشّـبيبة قبـل الكَبْـرَة ومـن الحياة قبل الموت فوالذي نَفسُ محمَّدٍ بيده ما بَعْدَ الموت من مُسْتَعْتَبٍ ولا بَعـد الـدُّنيا مـن دارٍ إلاَّ الجنَّة أو النار

وقوة الأسلوب تكون باختبار الألفاظ التي تؤدي المعنى بما يتلاءم مع المعنـى. فـالمعنى الرقيق يؤدي باللفظ الرقيق، والمعنى الجـزل يـؤدي بـاللفظ الجـزل، والمعنـى المسـتنكر يـؤدي بـاللفظ المسـتنكر وهكـذا... ﴿وَيُسْـقَوْنَ فِيهَـا كَأْسـاً كَـانَ مِزَاجُهَـا زَنجَبِيلاً، عَيْنـاً فِيهَـا تُسَـمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً، لِلْطَّـاغِينَ مَآبـاً، لابِثِـينَ فِيهَـا أَحْقَابـاً﴾ ﴿تِلْـكَ إِذاً قِسْـمَةٌ ضِيزَى﴾ ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾. أما جمال الأسلوب فيكون باختيـار أصـفى العبـارات وأليقها بالمعنى الذي أدته، وبالألفاظ والمعاني التي معها في الجملة والجمل ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَـوْ كَـانُوا مُسْـلِمِينَ، ذَرْهُـمْ يَـأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُـوا وَيُلْهِهِـمْ الأَمَـلُ فَسَـوْفَ يَعْلَمُـونَ﴾. ﴿هَـذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِـنْ نَـارٍ يُصَـبُّ مِـنْ فَـوْقِ رُءُوسِـهِمْ الْحَمِيمُ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَـا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

فالذين كفروا: قطعت لهم ثياب من نار،،، عندما تذهب للخياط ليحيك لك ثوبا يَـقْـطَـعُه لك (دون تشديد الطاء) ولكن هنا تقطع هذه الثياب تقطيعا لتلتصق بكـل صـغيرة وكبيـرة مـن أجسادهم وهذه الثياب من نار!!

ثم يصب من فوق رءوسهم الحميم، منظر مهول تقشعر منه الأبدان، حميم يغلي كحمم البراكين يصب صبا متدفقا من فوق الرءوس،، يصهر به ما في البطون قبل الجلود!!

يخترق البدن كله ليصهر صهرا ما في البطون والجلود،، ولهم مقامع من حديد،

كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم،

تأمل كلمة أرادوا، وكلما أرادوا، وهم في كل لحظة يريدون أن يخرجوا منها فيعاد المشهد ثانية ليتكرر ولكن على نحو آخر، من غم إلى غم، وانظر في كلمة غم: الغمُّ واحد الغُموم و الغَمُّ و الغُمَّةُ الكَرْبُ،، و الغُمَّى الشديدة من شدائد الدهر،، وإنه لَفِي غُمَّةٍ من أمره أي لَبْسٍ ولم يَهْتَدِ له،،، وسحاب أَغَمُّ لا فُرْجة فيه.

فهم في هذا الكرب العظيم: كلما صب الحميم من فوق رءوسهم صهرهم صهرا فأنهكهم وأغمهم وأتعبهم، حاولوا أن يخرجوا منه فما استطاعوا حتى إذا استشعروا أنهم قادرون على الانفلات من هذا الكرب أعيدوا فيها،، تأمل أعيدوا فيها

تعطيك شيئا من معنى أنهم كادوا يخرجوا من هذه الكرب، فتتأمل أنفسهم شيئا من الأمل أنهم سيخرجون، ولكن: أعيدوا فيها،، فيزيد عذابهم بخيبة أملهم،، وذوقوا تذوقوا!!! عذاب الحريق!!

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ(٧٧) ﴾

هل يسمعونكم إذ تدعون؟؟؟ أو ينفعونكم أو يضرون؟ كلام سهل بسيط لكنه حجة دامغة!! إيجاز لا إطناب فيه

وسجع لا تكلف فيه، وتزاوج يقرع العقول: نفع وضر،، ودعاء ونداء من لا يسمع

تخيل أن تقضي الحياة تخاطب أصم أبكم أعمى!!!

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴾

ينسب الخير إلى الله حتى إذا جاء على المرض قال مرضت ولم يقل يمرضني!!

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(١٠٤) ﴾

أنظر قوة الأداء وعظمته وكيف يؤدى المعنى العظيم بأقل الألفاظ ولا ينتقص ذلك من عمقه شيئا فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ

بنى فعل إبراز الجحيم إلى المجهول، ولأنها الجحيم المهول فلا بد أن تُبَرَّزَ لا أن تَبْرُزَ، ولك أن تتخيل فعل تبريزها هذا لها سبعون ألف زمام كل زمام يجره سبعون ألف ملك!!

في خضم هذا الهول وهذه الجحيم تقترب من الناس في أرض المحشر:

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ

العزة لله والهيبة لله والملك لله الواحد القهار

فكبكبوا،، كب كب كب كب

الكب: كبه يعني قلبه وصرعه، وكب: ثقُل، والكَبَّةُ، ويُضَمُّ: الدَّفْعَةُ في القِتالِ والجَرْيِ، والحَمْلَةُ في الحَرْبِ، والزِّحامُ، وإفْلاتُ الخَيْلِ، والصدْمَةُ بينَ الجَبَلَيْنِ، ومن الشِّتاءِ: شِدَّتُه ودفْعَتُه، و الغَزْلَ: جَعلَه كُبباً، هذه المعاني المجتمعه في أصل الكب يحدث لفظ الكبكبة وما فيه من

القلقلة، في نفس السامع رنينا مرعبا، يخيل إليه فيه منظر باب في أعلى جهنم يفتح على حين غرة فيتدافع منه خلق كثيرون بعضهم فوق بعض يتدحرجون مقلبين مصروعين تتخيل أرجل هذا ضربت في وجه ذلك، وهذا يهوي فيأتيه الآخر من خلفه كما انفلات الخيل من معاقلها فيصدمه كما الجبلين بدفع شديد، وتسمع للاصطدام جلبته، وتتكور الخلائق بعضها فوق بعض كما تكور الكبة من الغزل، هذه المعاني توحيها لفظة واحدة: كبكبه، والقلقلة المصاحبة لجرس اللفظة توحي بموجات من البشر تحدث هذا الصخب وهذه الارتطامات كما لو قلت كب كب كب كب وهو مشهد مريع – عافانا اللّه-.

خاتمة الآيات:

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

عزيز لأنه يأخذ من يكفر به بأشد العذاب

ورحيم لأنه رحم عباده بالدعوات البينات والحجج القوية الدامغة، رحمهم لأنه أعطاهم الفرصة الكافية والعقل والنعم والآلاء ليعرفوه بها،، فإن نكصوا على أدبارهم فهو العزيز يأخذهم،، ورحيم لأنه يرحم من يشاء منهم يوم القيامة سبحانه

تأمل قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر:

فأردت أن أعيبها

فأردنا أن يبدلهما ربهما

فأراد ربك

الأفعال الثلاثة التي قام بها:

خرق السفينة: كان فعلا ظاهره أنه لا خير فيه فنسبه إلى نفسه (فأردت أن أعيبها)

قتل الغلام صاحبه استبدال بغيره من الصالحين (فأردنا أن يبدلهما ربهما)

فقمت بالقتل واللّه تعالى أبدلهما وعوضهما،،

والجدار وإقامته فعل كله خير فنسب إلى اللّه: فأراد ربك أن يبلغا أشدهما

هذا علم المعاني

علم البيان:

ويختص بعنصَريْ العاطفة والصور الخيالية معاً - لأن الخيال وليد العاطفة، وقد سمي علم البيان لأنه يساعدنا على زيادة تبيين المعني وتوضيحه وزيادة التعبير عن العاطفة والوجدان، باستخدام التشبيهات والاستعارات والكناية والمجاز المرسل.

(البيان) لغة: الكشف والظهور.

واصطلاحاً: أُصول وقواعد يُعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق متعدّدة وتراكيب متفاوتة: من الحقيقة والمجاز، والتشبيه والكناية..، مختلفة من حيث وضوح الدلالة على ذلك المعنى الواحد وعدم وضوح دلالتها عليه، فالتعبير عن (جود حاتم) ـ مثلاً ـ يمكن أن يكون بهذه الألفاظ: جواد، كثير الرماد، مهزول الفصيل، جبان الكلب، بحر لا ينضب، سحاب ممطر، وغيرها من التراكيب المختلفة في وضوح أو خفاء دلالتها على معنى الجود..

أركان علم البيان

ثم انه لّما اشتمل التعريف على ذكر الدلالة ولم تكن الدلالات الثلاث: المطابقيّة والتضمنّية والإلتزاميّة كلها قابلة للوضوح والخفاء، لزم التنبيه على ما هو المقصود، فإنّ المقصود منها هاهنا: هي الدلالة العقليّة للألفاظ، يعني: التضمنّية والإلتزاميّة، لجواز اختلاف مراتب الوضوح والخفاء فيهما، دون الدلالة الوضعيّة للألفاظ يعني: المطابقيّة، لعدم جواز اختلاف مراتب الوضوح في بعضها دون بعض مع علم السامع بوضوح تلك اللفاظ، وإلاّ لم يكن عالماً بوضعها، فتأمل.

ثم انّ اللّفظ إذا لم يرد منه ما وضع له من دلالته المطابقيّة، وانّما أُريد به دلالته العقلية من تضمّن أو التزام، فإن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فمجاز، وإن لم تقم قرينة على عدم إرادة ما وضع له فكناية، ومن المجاز ما يبتني على التشبيه، فيلزم التعرّض

للتشبيه قبل التعرّض للمجاز والكناية، إذن: فعلم البيان يعتمد على أركان ثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية.

دلالات الألفاظ:

تقسم الألفاظ باعتبار دلالاتها إلى ثلاثة أقسام:

دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام مسماه كدلالة الانسان على الحيوان الناطق، وسمي بذلك لأن اللفظ طابق معناه.

والثاني دلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء المسمى كدلالة الانسان على الحيوان أو على الناطق فقط، وسمي تضمنا لكون المعنى المدلول في ضمن الموضوع له.

والثالث دلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على لازمه كدلالة الأسد على الشجاعه، وسمي بذلك لكون المعنى المدلول لازما للموضوع له.

والمعتبر باللزوم هو اللزوم الذهني وهو الذي ينتقل الذهن إليه عند سماع اللفظ، كقولك أنت أسد.

المفهوم: هو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق، أي هو ما دل عليه مدلول اللفظ، أي معنى اللفظ. كقوله تعالى [ولا تقل لهما أف] فإن دلالة اللفظ هي لا تتأفف لهما وهذا هو المنطوق ولكن مدلول اللفظ وهو النهي عن التأفيف يفهم منه لا تضربهما، فيكون مفهوم قوله تعالى [ولا تقل لهما أف] هو لا تضربهما! قد دل عليه مفهوم الآية. فالخطاب فيه قد دل على الحكم بالمفهوم وهو المسمى بالدلالة المعنوية والدلالة الالتزامية.

إذن نعيد لتركيز الفائدة:

أركان علم البيان

ثم انه لّما اشتمل التعريف على ذكر الدلالة، ولم تكن الدلالات الثلاث: المطابقيّة، والتضمنيّة، والإلتزاميّة، كلها قابلة للوضوح والخفاء، لزم التنبيه على ما هو المقصود، فإنّ المقصود منها هاهنا:

هي الدلالة العقليّة للألفاظ، يعني: التضمنّية والإلتزاميّة، لجواز اختلاف مراتب الوضوح،والخفاء فيهما، دون الدلالة الوضعيّة للألفاظ، يعني: المطابقيّة، لعدم جواز اختلاف مراتب الوضوح في بعضها دون بعض مع علم السامع بوضوح تلك اللفاظ، وإلاّ لم يكن عالماً بوضعها، فتأمل.

علم البيان: وقد عرفه صاحب كشاف اصطلاحات الفنون بقوله: علمُ يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه..

يقول ابن خلدون في مقدمته: ألا ترى أن قولهم (زيد جاءني) مغاير لقولهم (جاءني زيد) من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاءني زيد، أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال: زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند، وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصولٍ أو مبهمٍ أو معرفة.

مثلا: لنأخذ مفهوم الريب: وهوالشك مع تهمة وقلق واضطراب يقول الحق سبحانه "ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" ٢ البقرة، فقوله سبحانه: لا ريب فيه تظهر فيه الجهات الثلاث لفصاحة الكلام وجزالته، فالقاضي عبد الجبار الهمذاني يرى أن الكلام يكون فصيحًا بجزالة لفظه وحسن معناه والفصاحة لا تظهر في الكلمات المفردة وإنما بضم هذه الكلمات بعضها إلى بعض والجهات الثلاث هي: اختيار الكلمة نفسها (وهي هنا الريب).

ثانيها: حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب (وهي هنا مبنية على الفتح وهي اسم لا النافية للجنس ولم تجئ مرفوعة فلم يقل (لا ريبٌ فيه).

وثالثها: موقع الكلمة تقديمًا أو تأخيرًا وتعريفًا أو تنكيرًا ...الخ، فتقديم كلمة ريب على الجار والمجرور فيه ما فيه، فاختيار كلمة ريب لأنها تعطي ما لا تعطيه كلمة "شك" فإن الشك: تردد النفس بين شيئين ولكن الريب شك مع تهمة وقلق واضطراب، وبناؤها على الفتح يدل على نفي الريب نفيًا تامًا وتقديمها على الجار والمجرور يعطي معنى غير المعنى الذي تُأخر فيه فمعنى لا ريب فيه: نفي الريب عن القران دون التعرض لغيره من الكتب ولكن لو قال لا فيه ريب لكان المعنى إثبات الريب في غيره من الكتب ألا ترى إلى قوله سبحانه في وصف خمر

الجنة "لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ" ٤٧ الصافات في أن المراد ليس نفي الغول عن خمر الجنة فحسب وإنما المراد مع ذلك إثباته في خمر الدنيا.

من أمثلة البيان القرآني:

ولقد قال اللّه سبحانه في كتابه: { ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم } (الإسراء/ ٣١) وقال أيضاً في مقام آخر: { ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم } (الأنعام/ ١٥١) فلما ذكر الخوف من الفقر مستقبلاً (خشية إملاق) ولم يذكر وقوعه فعلاً، قدم رزق الأولاد على آبائهم، من حيث إن اللّه سبحانه قد رزق الآباء حالياً، لكنهم يخشون الفقر إذا كثر أولادهم، ولما ذكر في الآية الأخرى وقوع الفقر(من إملاق) دعاهم إلى عدم قتل أولادهم، وقدم سبحانه رزقه لهم على رزق أولادهم، حيث يُخشى قتلهم أولادهم لقلة رزقهم الحالي. ومثل هذا يعد من أرفع أنواع البيان الذي تميز به القرآن فيما خاطب به العرب من بني الإنسان... ومن هذا القبيل استخدام الاستعارة والكناية والتشبيه والتمثيل وغير ذلك.

لا شك أن الأبحاث التي تتناول العقيدة خرجت من كونها أبحاثا عقلية فطرية تسوس المسلمين وفق اعتقاد لا تعقيد فيه، يفهمه المسلمون فهما مجملا يحملونه دعوة للناس، إلى أبحاث متكلمين أساسها المنطق والمعقولات المبنية على المعقولات، وما وراء الطبيعة.

فخرجت أبحاث العقيدة الاسلامية عن طبيعتها الربانية القرآنية إلى طبيعة جديدة تمج العقول، الكثير من أبحاثها وتدخلها في التعقيدات المنفره والمزالج المكفرة.

بالمقابل فإن أبحاث البلاغة أيضا انزلقت المزلق ذاته، فترى أن التصوير الفني في القرآن، الذي بهر عقول العرب العرباء وألهب مشاعر مصاقع الخطباء واستفز مخيلات المفلقين من الشعراء وأجرى قرائح المطبوعين من الأدباء انقلب من تلك العلياء

إلى أبحاث تركض وراء العلاقات الظاهرية بين الألفاظ ومعانيها، فركز علماء اللغة على البلاغة باعتباراتٍ تغيض معها كل المعاني السامقة السابقة إلى معاني ممجوجة أبعد ما تكون عن طبيعة النصوص وعن طبيعة الأدب ووظيفته والشعر وحلاوته، والنثر وطلاوته.

فمن ذلك مثلا أن يأتي أحدهم إلى آية عظيمة تحوي تصويرا فنيا مبهرا كقوله تعالى [طلعها كأنه رءوس الشياطين] ليقول لك المشبه شجرة الزقوم والمشبه به رءوس الشياطين

وأداة التشبيه كأنه، واقفا عند هذا الحد دونما بعث ولا بحث في التأثير الذي تحدثه هذه الجملة الخطيرة في أنفس السامعين ولا ما تحدثه الصورة المرسومه بدقة في ثنايا كل حرف من حروفها في مخيلات المخاطبين، ولا باحثا عن القشعريرة التي تسري جراءها في عظام المؤمنين الخائفين الوجلين ولو وقفنا قليلا أمام جلال وعظمة هذه الآية لوسعنا أن نقول مثلا: [أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)] نقول هنا أن الحق سبحانه يبين للخلق مقيما الحجة عليهم ولما يزالوا في الدنيا أن نزلكم الذي تبنونه لتسكنوه الحياة الأبدية إما أن يكون الجنه أو أن تختاروا [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم] يصدمهم بداية بالاسم: [شجرة الزقوم]، وكل حرف من حروف الكلمة يخيف: زقوم، هذه الشجرة[تخرج]ولم يقل تنبت، وفي مشهد الخروج ما فيه من الهول إذا ما ارتبط بأن المخرج الذي يخرج منه هو أصل الجحيم!!

ويا له من اسم: [الجحيم]، واجمع ما بين الجحيم واسم الزقوم لترى كيف يكون المسكن، فإن كان هذا المسمى الذي يعطيك الوصف المقارب لطبيعة المسكن!!! وبين لك أن أصله متصل بأصل الجحيم، فاجأك بهذه الصورة الغريبة: طلع هذه الشجرة، وثمرها [كأنه رءوس الشياطين] وأنت لم تر الشياطين لتقترب الصورة من عقلك فتخاف،

ولكن الخيال هنا هو الذي ينطلق من عقاله ليتصور رأس الشيطان، وكلما تصور أبشع صورة قيل له بل أبشع من هذا،

فكيف به يتصور رءوسا لشياطين كثر كل منهم شكله أبشع من الثاني، فتخيل شجرة أصلها يخرج من أصل الجحيم ، وهذا شكل ثمرها الذي سيأكله أولئك العصاة الكفرة الذين كان فعلهم القبيح الذي أوصلهم لهذا الدرك هو التقليد في الاعتقاد.

وتأمل الربط المهم بين الطاقة العربية والطاقة الاسلامية في هذا المشهد، فمفهوم التقليد في الاعتقاد خطير لدرجة أن صورة بهذه البشاعة تصور لمآل من يتخذ عقيدته عن تقليد بلا تفكر ولا تدبر. ثم: لنقف قليلا لنر وقع هذه اللفظة في نفس السامع لنتأمل كيف مزج

القرآن بين الطاقتين، مستغلا التأثير الكامن في الطاقة العربية بمزجه بمفهوم إسلامي مقصود، فالآيات [فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)] قال الزمخشري: [الخنس] الرواجع، بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعاً إلى أوّله و[الْجَوَارِ] السيارة. و ٱ[الْكُنَّسِ] الغيب من كنس الوحشي: إذا دخل كناسه. قيل: هي الدراري، تجري مع الشمس والقمر، وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس: فخنوسها رجوعها: وكنوسها: اختفاؤها تحت ضوء الشمس.

وقيل: هي جميع الكواكب، تخنس بالنهار فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل: أي تطلع في أماكنها، كالوحش في كنسها، عسعس الليل وسعسع: إذا أدبر. قال العجاج:

حَتّى إذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا

وقيل عسعس: إذا أقبل ظلامه. فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح: أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفساً له على المجاز وقيل: تنفس الصبح.

يقول سيد قطب رحمه الله:

قليل من صور القرآن هو الذي يعرض صامتاً ساكناً ـ لغرض فني يقتضي الصمت والسكون ـ أما أغلب الصور ففيه حركة مضمرة أو ظاهرة، حركة يرتفع بها نبض الحياة، وتعلو بها حرارتها.

ويجب أن ننبه إلى نوع هذه الحركة، فهي حركة حية مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان، أو الحياة المضمرة في الوجدان.

هذه الحركة هي التي نسميها (التخييل الحسي)، وهي التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث الحياة في شتى الصور، مع اختلاف الشيات والألوان.

وظاهرة أخرى تضج في تصوير القرآن وهي (التجسيم) : تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم.

إنه ليصل في هذا إلى مدى بعيد، حتى ليعبر به في مواضع حساسة جد الحساسية، يحرص الدين الاسلامي على تجريدها كل التجريد، كالذات الإلهية وصفاتها.

ولهذا دلالته الحاسمة أكثر من كل دلالة أخرى، على أن طريقة (التجسيم) هي الأسلوب المفضل في تصوير القرآن، مع الاحتراس والتنبيه إلى خطورة التجسيم في الأوهام. (لون من ألوان)(التخييل) يمكن أن نسميه (التشخيص) يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية.

هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية، تشارك بها الآدميين، وتأخذ منهم وتعطي، وتتبدى لهم في شتى الملابسات، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يتلبس به الحس، فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبونه، في توفز وحساسية وإرهاف.

هذا هو الصبح يتنفس:[والصبح إذا تنفس].

فيخيل إليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه، وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء، على وجه الأرض والسماء.

وهذا هو الليل يسرع في طلب النهار، فلا يستطيع له دركاً: [يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً]. ويدور الخيال مع هذه الدورة الدائبة، التي لا نهاية لها ولا ابتداء.

أو هذا هو الليل يسري: [والليل إذا يسر]. فتحس سريانه في هذا الكون العريض، وتأنس بهذا الساري على هينة واتئاد! انتهى

وقال في الظلال: [والليل إذا عسعس].. أي إذا أظلم. ولكن اللفظ فيه تلك الإيحاءات كذلك. فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين:عس. عس. وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى! وهو إيحاء عجيب واختيار للتعبير رائع. ومثله:[والصبح إذا تنفس]. بل هو أظهر حيوية، وأشد إيحاء. والصبح حي يتنفس. أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي. وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيرا لهذا التعبير عن الصبح. ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل يتنفس!

ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح. انتهى
أقول: عسعس كأن الليل أعمى يجس طريقه متحسسا يدب دبيبا بطيئا يتحسس طريقه يعسه

عسا، وفي تكرار العس إيحاء بالتؤدة والبطء، عس عس كأنه يعبر عن سكونه وبطء حركته في الكون بأعمى يتحسس طريقه يمشي على مهل ساكنا وقورا حتى لا يتعثر في الخطو!!

[والصبح إذا تنفس] يخرج لك كل ما فيه من شذى الأزاهر وعطر الحياة وتأمل كلمة تنفس الفظها مخرجا إياها مع النفس كأنها لا تبقي في الصدر مخزونا إلا وتخرجه كمن يتنفس الصعداء

فهذا الصبح ينعم على الحياة بكل ما في صدره من مكنونات بعد أن شمل الكون ظلام كان يمشي عسا!!

ولا بد من ملاحظة الجرس الموسيقي المصاحب للآيات بانسجام عجيب، [فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس] تكرار حرف السين بهذا الشكل اللطيف، وعندما تلفظها تقف قليلا على الهمس الذي في آخر نطقك بحرف السين هذا وهي مما يناسب الهدوء الذي يشمله الليل وهو يعس في الظلام [والصبح إذا تنفس] هذا المزج الرهيب بين الطاقة العربية كان لمهمة عظيمة وهي القسم على أن هذا القرآن قول رسول كريم... الآيات

الآن لنقارن: تأمل الفرق الرهيب بين صورة جامدة لا ترى فيها إلا العلاقات اللونية ولا تستثير في نفسك إلا صورة ألوان اختلطت ببعض كقول يزيد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا   وعضت على العناب بالبرد

لا تلمح إلا ألوانا وتشبيهات تميت الحياة في المعاني التي يراد من الشعر أن تستفز مخيلة القارئ والشاعر، فالدمع بما يحمله من معاني ومن نتاج آلام الفراق والظنون والهواجس لم ينقل لنا هذا البيت إلا أن لونه كاللؤلؤ، فأمات كل معنى جميل في هذه الناحية الانسانية في علاقة الحب التي كان يتحدث عنها والشفاه التي تعض عليها الأسنان حسرة وأسى لم نر منها إلا اللون العنابي!! وعلى ذلك قس.

هذا لا يستفز مخيلات ولا يعطي لشعره غير بعد واحد هو البعد اللوني فلا ترتسم في المخيلة إلا صورة ألوان متداخلة جافة خالية من كل روح.

الفرق بين ذلك وبين خلع الحياة على الألفاظ وقرع الأسماع بالجرس الموسيقي، واستفزاز المخيلات والقرائح بالمشاهد الصاخبة، وإلقاء الفزع في القلوب متى ما كان المقام مقام خوف،

وتسمير الأعين أمام مشاهد القيامة، أو بث الطمأنينة في القلوب لذكر اللّه.

[سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا
يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١)
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا
لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ
هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢)]

تأمل كيف بدأ السورة: سأل سائل: أحد الناس تفكر وتفكر وتدبر فأدرك أن عذابا سيقع على الكافرين ما له من دافع،، فسأل عنه، سأل سائل،والباء هنا بمعنى عن أي أنه سأل عن عذاب اللّه، متخوفا وقوعه متحسبا منه،، لا ينفك يفكر ليل نهار به يخشاه فلم يملك نفسه إلا أن يسأل عنه!!

أو معنى آخر: كانت حقيقة الآخرة من الحقائق العسيرة الإدراك عند مشركي العرب ؛ ولقد لقيت منهم معارضة نفسية عميقة، وكانوا يتلقونها بغاية العجب والدهش والاستغراب ؛ وينكرونها أشد الإنكار، ويتحدون الرسول عليه سلام اللّه في صور شتى أن يأتيهم بهذا اليوم الموعود، أو أن يقول لهم:متى يكون.

فسأل هذا السائل عذاب اللّه، مستهينا به فبين له رب العزة ما يكون هذا العذاب وما فيه من أهوال!!

يمهد رب العزة سبحانه ببيان عجيب لوصف العذاب هذا!! في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة!! كان بالامكان القول في خمسين ألف سنة، لكنه جعلها يوما واحدا لبيان أن الخطب

جلل، لا نوم ولا راحة، بل يوم يبدأ وحتى ينتهي هنالك وقت مقداره خمسين ألف سنة!! لكنه يوم واحد ستقفونه من أول لحظة في هذه السنين العجاف إلى آخر لحظة!!

يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن

والله إن نفسي لا تطاوعني على الوقوف بين يدي هذه المعاني لهولها ولصعويتها على النفس!!

السماء كالمهل: نتذكر قوله تعالى: [إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً] [إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥(كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦)]

الـمُهْل دُرْدِيُّ الزيت و يقال: هو النُّحاس المذاب، فلون السماء قاتم كلون النحاس المذاب من شدة الكرب وهول المطلع لذلك اليوم العظيم وتكون الجبال كالعهن!! الصُّوفُ الـمَصْبُوغُ ألواناً

فالجبال بعظمتها كما الصوف الملون يلقي عليه حميم الشمس ألوانا يصبغه بها، وتلقي عليه السماء التي كالمهل من لونها فيعكسه، وجهنم وهي تقترب من الخلق تمد لون لهبها ليلقي الظلال على هذه الكتل الصوف الخاوية الهامدة الخاشعه،في خضم هذا الموقف لا يسأل حميم حميما،اختار أقرب الخلق بعضهم من بعض: الحميم من الحميم، وتأمل هذه الصفة حميم

حَمّ الشيء مُعْظَمُه،، ومن الظَّهِيرةِ شِدَّةُ حَرها والشخص يصاب بالحمى من شدة المرض وهؤلاء من شدة الحب حميمون لكنهم في ذلك الموقف لا يسأل واحدهم عن الآخر!!

يبصرونهم، طبعا هول الموقف لا يستطيع منه الشخص أن يرى غيره ولا هم له إلا نفسه لكنهم يبصرونهم أي رغما عنهم يجعل بصر كل واحد منهم منصرفا للجهة التي فيها الثاني ليراه ويرى الكرب الذي هو فيه، فلا يسأل فيه!! لا بل يتعدى ذلك ليود لو أنه يفر من عذاب يومئذ مفتديا بأقرب الناس إليه: بنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه، بل ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه ثم تأتيك المفاجأة المذهلة:

[كلا]

إنها لظى

وسميت بذلك لأنها أشد النيران التِظاءُ النار: التِهابُها،، ويقال: فلان يَتَلَظَّى على فلان تَلَظِّياً إذا تَوَقَّد عليه من شدَّة الغضب ؛

نزاعة للشوى: تخيل ليست تنزع بل هي نزاعة!! و الشَّواةُ جِلْدَةُ الرأسِ فهي هوايتها: نزع فروة الرأس نزعا أعاذنا الله منها.

مزج الحق سبحانه بين هذه الطاقة العربية الهائلة التي لا يستطيع أي مفسر مهما أوتي من دقة في التعبير أن يقف على عشر معشار من عشر معشار ما فيها من البيان وبين الطاقة الاسلامية ليظهر مفهوم اليوم الآخر، ومفهوم العذاب على الكفر والإدبار والتولي عن رسول الله عليه سلام الله هل لمست فرقا بين

فأمطرت لؤلؤا من نرجس

وبين هذا التصوير المخيف؟؟؟

فإذا علمت ذلك قلنا أن الخروج من دائرة جعل الطاقة العربية علما جافا جامدا إلى دائرة بث الحياة فيه

هو الفرق بين بيت الشعر السابق وهذه الآيات،

فحسب بيت الشعر السابق: التشبيه كذا وكذا والاستعارة كذا وكذا وشبه الدمع باللؤلؤ وأداة التشبيه محذوفه وما إلى ذلك، ولا ترى إلا الألوان، وتجريد الانسان من العاطفة والروح لنحيله جمادات لا تحس: لؤلؤا ونرجسا ليس بينه وبين العين من علاقة إلا اللون!! فالخطأ إذن من ناحية استعمال وتوظيف اللغة وطاقاتها،فرق بين توظيف وتوظيف والخطأ الأكاديمي أن نحول البلاغة إلى علم كما علم الكلام فلا نرى من النصوص إلا السجع والتشبيه والاستعارات دونما إطلاق للعاطفة والخيال لنرى: التأثير الذي تحدثه النصوص في المتلقي نتذكر أن أهم ما في الطاقة العربية: التأثير والتوسع والانتشار بل إن أهمها: التأثير إذن فحسب ما ينبغي للتأثير الناتج عن الطاقة العربية أن يلعب دوره ليحصل التأثر فعلا لدى

المتلقي فإن البحث في بلاغة النص ينبغي أن تخرج من دائرة الاستعارة كعلم إلى البحث في السبب الذي من أجله استعار القائل أو الخطيب أو الشاعر هذه الاستعارة،

أي لم كسر حواجز الحقيقة واجتازها وأتى بالمجاز؟،

لم شبه هذه التشبيهات ؟

وما الذي أراده من استفزاز المخيلات؟،

ولم اختار هذه اللفظة دون غيرها؟

وما هو الجرس الموسيقي الذي اختاره مصاحبا لتراكيب الجمل ؟ وما إلى ذلك،

عند ذلك يخرج البحث من كونه علما جامدا لا حياة فيه إلى بحث في التأثير والتأثير هو مناط البحث والمطلب المطلوب من بحث مزج الطاقتين العربية بالاسلام.

البديع:

ويختص بعنصر الصياغة، فهو يعمل على حسن تنسيق الكلام حتي يجيء بديعا، من خلال حسن تنظيم الجمل والكلمات، مستخدماً ما يسمي بالمحسنات البديعة - سواء اللفظي منها أو المعنوي.

تعريف البديع: وهو علم تُعرف به وجوهُ تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، أوهو التحسين والتزيين العرضي بعد تكميل دائرة الفصاحة والبلاغة. ومن هذا العلم استخدام السجع، وهو نهاية كل جملة على حرف أو حرفين متطابقين، خطب قس بن ساعدة الأيادي بسوق عكاظ فقال: أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر وبحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وأنهار مجراة.

إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبرا! ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا فأقاموا أم تركوا فناموا يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه إنكم لتأتون من الأمر منكراً! ويروى أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول: في

الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها تمضي: الأكابر والأصاغر لا يرجع الماضي إل ي ولا من الباقين غابر أيقنت أني لا محا لة حيث صار القوم صائر.

ومن هذا العلم أيضاً استخدام الطباق والجناس كقولك: تآلف المؤتلف، وتخالف المختلف، وتشابه المتشابه، وتعارض المتعارض...

قال التهانوي في (كشاف اصطلاحات الفنون): وأما منفعته فإظهار رونق الكلام، حتى يلج الآذان بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كد، وإنما دونوا هذا العلم، لأن الأصل وإن كان الحسنَ الذاتي، وكان المعاني والبيان مما لا يكفي في تحصيله، لكنهم اعتنوا بشأن الحُسْن العرضي أيضاً، لأن الحسناء إذا عَريت عن المزينات، ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها، فيفوت التمتع بها.

المحسنات المعنوية:

التورية: وهي أن يكون للّفظ معنيان: قريب وبعيد، فيذكره المتكلّم ويريد به المعنى البعيد، الذي هو خلاف الظاهر، ويأتي بقرينة لا يفهمها السامع غير الفطن، فيتوهّم انّه أراد المعنى القريب، نحو قوله تعالى: (وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أراد من (جرحتم): ارتكاب الذنوب، وكقوله:

أبيات شعرك كالقصور ولا قصور بها يعوق ومن العجائب لفظها حرّ ومعناها رقيق

فللرقيق معنيان: قريب وهو العبد. وبعيد: وهو من الرقة، والشاعر أراد الثاني، لكن الظاهر من مقابلته للحرّ إرادة العبد.

الإستخدام: وهو أن يكون للّفظ معنيان فيطلقه المتكلّم ويريد به أحد المعنيين، ثم يذكر ضميره ويريد به المعنى الآخر، نحو قوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أراد بالشهر أوّلاً: الهلال، ثمّ أعاد الضمير عليه وهو يريد أيّام الشهر المبارك، وكقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء: المطر، وبضميره في (رعيناه) النبات.

الإستطراد: وهو أن يشرع المتكلّم في موضوع، ثم يخرج منه قبل تمامه إلى موضوع آخر، ثم يرجع إلى موضوعه الأول، كقوله:

وانّا لقوم لا نرى القتل سبّة	إذا ما رأته عامر وسلول
يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول

أراد مدح قومه، ثم خرج قبل تمام كلامه إلى ذم عامر وسلول، ثم رجع في الشطر الثالث إلى ما بدأ به في الشطر الأول

الإفتنان: وهو الجمع بين فنّين من الكلام، كالمدح والذم، والتهنئة والتعزية، والغَزَل والحماسة، وأمثالها، كقوله: (عينه كالذئب لكن سنّه كالاقحوان...).

وقوله: (فقلبي ضاحك والعين تبكي...).

وقوله:

فوددت تقبيل السيوف لأنها	لمعت كبارق ثغرك المتبسم

الطباق: ويسمّى بالمطابقة وبالتطبيق وبالتطابق وبالتكافؤ وبالتضاد أيضاً، وهو: الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، ويكون على قسمين:

١- طباق الايجاب: وهو ما لم يختلف فيه اللّفظان المتقابلان ايجاباً وسلباً، نحو قوله تعالى: (وانّه هو أضحك وأبكي) وقوله سبحانه: (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء).

٢- طباق السلب: وهو ما اختلف فيه اللفظان المتقابلان ايجاباً وسلباً فمثبت مرّة ومنفي أُخرى، نحو قوله تعالى: (فلا تخشون الناس واخشون) وقوله سبحانه: (هل يستوي الّذي يعلمون والّذين لا يعلمون)

المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بمقابلها على الترتيب، قال تعالى: (فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسنُيسِّرُهُ لليُسرى وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى) ونحو قوله:

مـا أحســن الــدين والــدنيا إذا اجتمعـا واقبـــح الكفـــرَ والإفــلاس بالرجــل

مراعاة النظير: وتسمّى بالتوافق والإئتلاف والتناسب أيضاً وهو: الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة، كقوله تعالى: (اولئك الذين اشـتروا الضـلالة بالهـدى فما ربحـت تجـارتهم وما كـانو مهتدين).

ومنها: ما بني على المناسبة في (المعنى) وذلك بأن يختم الكلام بما بـدأ بـه مـن حيـث المعنى، كقوله تعـالى: (لاتدركـه الأبصـار وهـو يـدرك الأبصـار وهـو اللّطيـف الخبيـر) فـاللطيف يناسب عدم ادراك الابصار، والخبير يناسب ادراكه للأبصار.

ومنها: ما بني علـى المناسـبة فـي (اللفـظ) وذلـك بـأن يـؤتى بلفـظ يناسـب معنـاه أحـد الطرفين ولفظه الطرف الآخر، كقوله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) فالنجم لفظه يناسب الشمس والقمر، ومعناه - وهو النبات الذي لا ساق له ـ يناسب الشجر

الإرصاد، ويسمّى التسهيم أيضاً وهو: أن يذكر قبل تمام الكلام - شعراً كان أو نثـرا ـ مـا يدل عليه إذا عُرف الرويّ، كقوله تعالى: (وما كان اللّه ليظلمهم ولكن كانوا أنفسـهم يظلمـون) فإنّ (يظلمون) معلوم من السياق، وكقول الشاعر:

احلّـت دمـي مـن غيـر جـرم وحرّمـت بـــلا ســبب عـــند اللقـــاء كلامـــي
فـــليس الـــذي حـــلّته بمـــحلّل ولـــيس الـــذي حـــرَّمته بحـــرام

فإن (بحرام) معلوم من السياق.

أو يدل عليه بلا حاجة إلى معرفة الرويّ، نحو قوله تعالى: (ولكلّ أمّة أجل فإذا جـاء أجلهـم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

الإدماج: وهو أن يدمج في كلام سيق لمعنى، معنى آخر غير مصرّح به، كقوله:

وليـل طويـل لـم أنـم فيـه لحظـة أعـــد ذنـــوب الـــدهر وهـــو مديـــد

فإنه أدمج تعداد ذنوب الدهر بين ما قصده من طول الليل.

المذهب الكلامي: وهو أن يؤتى لصحة الكلام بدليل مسلّم عند المخاطب، وذلك بترتيب المقدمات المستلزمات للمطلوب كقوله تعالى: (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) فإن المسلّم عند منكر البعث ان اعادة الموتى أهون من خلق السماوات والارض، ولذا جعله تعالى دليلاً على البعث

حسن التعليل: وهو أن يأتي البليغ بعلة طريفة لمعلول علّته شيء آخر، كقوله:

ما به قتلُ أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئابُ

فإنه أنكر كون قتل أعاديه للغلبة وقطع جذور الفساد، وادعى له سبباً آخر، وهو: أن لا يخلف رجاء الذئاب التي تطمع في شبع بطونها

التجريد: وهو أن ينتزع المتكلّم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة، وذلك لأجل المبالغة في كمالها في ذي الصفة المنتزع منه، حتى كأنه قد صار منها، بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر، وهو على أقسام:

١- أن يكون بواسطة (الباء التجريدية) نحو: (شربت بمائها عسلاً مصفّى...). فكأن حلاوة ماء تلك العين الموصوفة وصلت إلى حدّ يمكن انتزاع العسل منها حين الشرب.

٢- أن يكون بواسطة (من التجريدية) كقوله:

لي منك أعداء ومنه أحبة تاللّه أيّكما إليّ حبيب

فكأنه بلغ المخاطب إلى حدّ من العداوة يمكن أن ينتزع منه أعداء، وكذلك بلغ غيره من المحبّة بحيث ينتزع منه أحبة.

٣- أن لا يكون بواسطة، كقوله: (وسألت بحراً إذ سألته) جرّد منه بحراً من العلم، حتى أنه سأل البحر المنتزع منه إذ سأله.

٤- أن يكون بطريق الكناية، كقوله: (... ولا يشرب كأساً بكف من بخلا) أي: أنه يشربها بكفّ الجواد، جرّد منه جواداً يشرب هو بكفّه، وحيث أنّه لا يشرب إلاّ بكف نفسه، فهو إذن ذلك الكريم.

٥- أن يكون المخاطب هو نفسه، كقوله:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فإنّه انتزع وجرّد من نفسه شخصاً آخر وخاطبه فسمي لذلك تجريداً، وهو كثير في كلام الشعراء

المشاكلة: وهي أن يستعير المتكلّم لشيء لفظاً لايصح اطلاقه على المستعار له إلاّ مجازاً، وانما يستعير له هذا اللفظ لوقوعه في سياق ما يصح له، كما في الدعاء: (غيِّر سوء حالنا بحسن حالك فإن اللّه تعالى لا حال له، وانما استعير له الحال بمناسبة سياق (حالنا) وكقوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) فإن اللّه تعالى لا نفس له، وإنما عبّر بها للمشاكلة، وكقوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

أي: خيّطوا لي جبّة وقميصاً، فأبدل الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعها في سياق طبخ الطعام

المزاوجة: وهي المشابهة وذلك بأن يزاوج المتكلّم ويشابه بين أمرين في الشرط والجزاء، فيرتب على كل منهما مثل ما رتب على الآخر، كقوله:

إذا قال قولاً فأكّد فيه تجانبت عنه وأكّدت فيه

رتب التأكيد على كل من قول المتكلّم وتجانب السامع

الطي والنشر، ويسمّى اللّف والنشر أيضاً، وهو: أن يذكر أموراً متعددة، ثم يذكر ما لكل واحد منها من الصفات المسوق لها الكلام، من غير تعيين، اعتماداً على ذهن السامع في إرجاع كل صفة إلى موصوفها، وهو على قسمين:

١- أن يكون النشر فيه على ترتيب الطي، ويسمّى باللّف والنشر المرتّب كقوله:

آرائهـــــم ووجـــــوهم وســـــيوفهم فـــي الحادثـــات إذا دجـــون نـــــجوم
منهـــا معالــــم للهـــدى ومصـــابح تجلـــو الـــدجى والأخريـــات رجـــوم

فالآراء معالم للهدى، والوجوه مصابح للدجى، والسيوف رجوم.

٢- أن يكون النشر فيه على خلاف ترتيب الطي، ويسمّى باللّف والنشر المشوّش، نحو قوله تعالى: (فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) فابتغاء الفضل في النهار وهو الثاني، والعلم بالحساب لوجود القمر في اللّيل وهو الأول، فكان على خلاف الترتيب

الجمع: وهو أن يجمع المتكلّم بين أمرين أو أكثر في حكم واحد، كقوله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقوله سبحانه: (إنَّما الخمرُ والميسرُ ولأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه)، وكقوله:

انّ الشـــــباب والفـــــراغ والجـــــده مفســــــدة للـــــــمرء أيَّ مـــــــفسدة

التفريق: وهو أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في الحكم، كقوله تعالى: (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اُجاج)

التقسيم: وهو أن يأتي بمتعدّد ثم يحكم على كل واحد منها بحكم، كقوله تعالى: (كذَّبتْ ثمود وعاد بالقارعة فأمّا ثمود فأُهلكوا بالطاغية وأما عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية).

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

١- على استيفاء أقسام الشيء، كقوله تعالى: (يهب لمن يشاء اُناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) فإنّ الامر لا يخلو من هذه الاقسام الأربعة.

٢- على استيفاء خصوصيات حال الشيء، كقوله تعالى: (فسوف يأتي اللّه بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل اللّه ولا يخافون لومة لائم)

الجمع والتفريق وهو أن يجمع بين أمرين في شيء واحد، ثم يفرق بينهما في ما يختص بكل واحد منهما، كقوله:

قلب الحبيب وصخر الصم من حجر لكن ذا نابع والقلب مغلوف

الجمع والتقسيم: وهو أن يجمع بين متعدّد ثم يقسّم ما جمع، أو يقسم أولاً ثم يجمع، فالأول كقوله:

حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع
للرق ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

والثاني كقوله:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة انّ الخلائق فاعلم شرّها البدعُ

الجمع مع التفريق والتقسيم: وهو أن يجمع بين أمرين في شيء واحد ثمّ يفرّق بينهما بما يخصّ كلّ منهما ثمّ يقسّم ما جمع، نحو قوله تعالى: (يوم يأتي لاتكلّم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد، فأمّا الّذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلاّ ما شاء ربّك انّ ربك فعّال لما يريد، وأمّا الّذين سُعدوا ففي الجنّة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلاّ ما شاء ربّك عطاءاً غير مجذوذ) جمع الانفس في عدم التكلّم ثمّ فرّق بينها بأن بعضها شقيّ وبعضها سعيد، ثم قسّم الشقي والسعيد إلى ما لهم هناك في الآخرة من الثواب والعقاب

المبالغة: وهي الإفراط في الشيء، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- التبليغ، وهو أن يكون الإدعاء ممكناً عقلاً وعادة، كقوله:

جاء رجال البلد مليكمهم كالفرقد

فإن مجيْ جميع رجال البلد ممكن عقلاً وعادة.

أبـــاد عســـكرنا مـــا دب أو درجـــا   فـــي أرض نجـد ومـا فـرد لهـم برجـا

فإن الإبادة ممكنة عقلاً، مستحيلة عادة.

٢- الغلو، وهو أن يكون الإدعاء مستحيلاً عقلاً وعادة، كقول الغالي:

ان الوصـــي هـــو الإلـــه وأنمـــا   آياتـــــه احيـــاء عظــــم رمـــيم

فإن الوهية علي (كرم اللّه وجهه) مستحيلة عقلاً وعادة.

المغايرة: وهي ـ أن، يمدح المتكلّم شيئاً ثم يذمّه، أو بالعكس، كقوله:

جــــزى اللّه الـــــحوادث منجيــــات   وأخـــــزاها حـــــوادث مـاحـــــقات

فإن الحادثة قد ترفع الشخص وقد تضعه

تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، وهو على ثلاثة أقسام:

١- أن يأتي بمستـثـــنـــى فيه معنى المــــدح معمولاً لفعل فيـــه معنى الذمّ، نحو قوله تعالى: (وما تنقم منّا إلاّ أن آمنّا بأيات ربنا).

٢- أن يستثني صفة مدح من صفة ذمّ منفية عن الشيء، نحو قوله:

ولا عيـــب فـــيهم غيـــر أنّ ســـيوفهم   بـــهنّ فلـــول مـــن قـــراع الكــــتائب

٣- أن يثبت صفة مدح لشيء ثمّ يأتي بعـدها بـأداة اسـتثناء أو اسـتدراك يعقبهـا بصـفة مدح اُخرى، نحو قوله:

فتـــى كملـــت أوصــــافه غيـــر أنّـــه   جـــواد فمـــا يبقـــى مـــن المـــال باقيـــاً

ونحو قوله في مثال الإستدراك:

وجـــوه كاظهـــار الـــرياض نضـــارة   ولكـــــنها يــــوم الهيــــاج صخــــور

تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو على قسمين:

١- أن يثبت صفة ذمّ لشيء ثم يأتي بعدها بأداة استثناء أو استدراك يعقبها بصفة ذمّ أُخرى كقوله: (كله ذم سوى أنّ محياه قبيح).

٢- أن يستثني صفة ذمّ من صفة مدح منفية عن الشيء، كقوله:

خــلا مــن الفضــل غــير أنّــي أراه فــي الحُمــق لا يجــارى

التوجيه: وهو أن يؤتى بكلام يحتمل أمرين متضادين كالذمّ والمدح، والدعاء له وعليه، كقوله - في خيّاط اسمه عمرو، وكان أعور -:

خــاط لــي عمــرو قبــاءاً ليــت عينيــه ســواء
قلــت شعــراً لــيس يــدري أمــديــح أم هجــاء

والفرق بين التوجيه والتورية: أن التورية لا تكون إلا فيما له معنيان بأصل الوضع، بخلاف التوجيه

نفي الشيء بإيجابه: وهو أن ينفعي شيئاً عن شخص فيوهم اثباته له في الجملة، نحو قوله تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه).

وكقوله للخليفة:

لــم يُشــغَلَنْك عــن الجهــاد مكاســب تــــرجو ولا لـــهو ولا أولاد

فإنه يوهم اشغال المكسب له في الجملة - كما في الأولاد - مع أنه لا كسب للخليفة

القول بالموجب: وهو أن يحمل كلام الغير على خلاف مراده، كقوله:

وقــالوا قــد صــفت مــنّا قلــوب لــقد صــدقوا ولكــن عــن ودادي

فإنهم أرادوا الخلوص له، فحمله الشاعر على الخلوّ من وداده

ائتلاف اللفظ والمعنى: وهو أن يُختار للمعنى المقصود ألفاظ تؤديه بكمال الوضوح، كقوله ـ في الذمّ ـ:

ولـو أن برغوثـاً علـى ظهـر قملـة ... تـكرّ علـى صـفيّ تمـيم لـولّت

وكقوله في المدح:

اذا مـا غضـبنا غضـبة مـضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

التفريع: وهو جعل الشيء فرعاً لغيره وذلك بأن يُثبت لمتعلّق أمر حكماً بعد أن يُشتبه لمتعلّق آخر على نحو يُشعر بالتفريع، كقوله:

طبّـه يـنفي الـمرض ... فقهـه ينفـي البـدع
فلـه الله طبيبـاً وفقيهـاً متّبـع

الإستتباع: وهو الوصف بأمر على وجه يستتبع الوصف بأمر آخر، مدحاً أو ذماً، مدحاً كقوله:

سمح البديهة لـيس يـمسك لفظه ... فـكأنما ألفاظـه مـن مالـه

وذمّاً، كقوله ـ في قاضٍ ردّ شهادته برؤية هلال شوال ـ:

أتـرى القاضـي أعمـى ... أم تـراه يـتعامـى
سـرق العيـد كـأنّ الـ ... عـيد أمـوال اليتامـى

السلب والإيجاب: وهو أن يسلب صفة مدح أو ذم عن الجميع ليثبتها لمن قصد، فالمدح كقوله:

كـل شخص لقـيت فيـه هنـات ... غـير سـلمى فخلقهـا مـن فضـائل

والذم، كقوله: (لا أرى في واحد ما فيه من جمع الرذائل).

ويسمّى السلب والإيجاب: الرجوع أيضاً بمعنى العود على الكلام السابق بـالنقض لنكتـة، كقوله:

ومـا ضـاع شـعري عنـدكم حـين قلتـه بلـــى وأبـيكم ضـــاع فـــهو يضــوع

الإبداع: وهو أن يكون الكلام مشتملاً على جملة من المحسنات البديعية، كقوله تعـالى: (وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء اقلعـي وغـيض المـاء وقُضـي الامـر واسـتوت علـى الجـوديّ وقيل بُعداً للقوم الظالمين).

قيل: أنّه يوجد في هذه الآية الكريمة اثنان وعشرون نوعاً من أنواع البـديع اشـيرها إليهـا في المفصّلات. وكقوله:

فضحتَ الحيا والبحر جوداً فقـد بكـى الـ حـــيا مـــن حيـاء منـك والـتطم البحـر

الأسلوب الحكيم: وهو اجابة المخاطب بغير ما سأل، تنبيهاً على كون الاليـق هـو السـؤال عمّا وقع عنه الجواب، كقوله تعالى: (يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحجّ) فـإنهم لّما لم يكونوا يدركون سبب اختلاف أشكال الهلال، اجيبوا بما ينبغي السـؤال عنـه، وهـو فائـدة اختلاف الأهلّة.

وكقوله:

قـــلـت: ثقلــــتُ إذ أتيـــتُ مــــراراً قـــال: ثقّلـــتَ كـــاهلي بالأيـــادي
قلـــت: طوّلـــتُ، قـــال أوليـــتَ طَـــولاً قلـــت: أبرمـــتُ، قـــال: حبـــل ودادي

تشابه الأطراف: وهو أن يكون بدء الكلام وختامه متشابهين لفظاً أو معنى:

الأول: وهو التشابه في اللـّفـــظ كقولـه تعـالى: (مثـل نـــوره كمشـكاة فيهـا مصـباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكبٌ درّيّ)

الثاني: وهو التشابه في المعنى كقوله:

ســـم زعــــاف قـولـــه وفعالـــه عنـــد البصـــير كمثـــل طعـــم العلقـــم

فإن العلقم يناسب السمّ في المذاق.

الهزل: وهو أن يأتي بهزل يراد به الجدّ، كقوله:

إذا ما جاهلي أتاك مفاخراً فقل: عَدّ عن ذا كيف أكلك العنب

الاطراد: وهو أن يأتي باسم من يقصده واسم آبائه على ترتيب تسلسلهم في الولادة بلا تكلّف في السبك، كقوله:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

ومنه قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلم): الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

تجاهل العارف: وهو أن يرى المتكلّم نفسه جاهلاً، مع أنه عالم، وذلك لنكتة كقوله: (أمنزل الأحباب ما لك موحشاً)...؟

أما إذا وقع مثل ذلك في كلام اللّه سبحانه، كقوله تعالى: (وما تلك بيمينك ياموسى) أو في كلام أوليائه، فلا يسمّى بتجاهل العارف، بل يسمّى حينئذ: ايراد الكلام في صورة الإستفهام لغاية.

المحسنات اللفظية:

التجنيس هو أن يجانس اللفظ في الكلام والمعنى مختلف، كقول اللّه عزَّ وجلَّ: "وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيمانَ لِلهِ رَبِّ العالَمينَ" وكقوله: "يا أسَفا على يوسُفَ" وكقوله: "فأدلى دَلوَهُ" وكقوله تعالى: "فأقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّم" وكقوله عزّ وجلّ: "فَرَوْحٌ وَرَيحانٌ وَجَنَّةُ نَعيم" وكقوله تعالى: "وَجَنى الجَنَّتَينِ دانٍ."

وكما جاءَ في الخَبَرِ: الظُّلم ظُلُماتُ يومِ القِيامةِ. آمِنٌ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ. إنَّ ذا الوجهَينِ لا يَكونُ وجيهاً عندَ اللّه.

ولم أجد التجنيس في شعر الجاهليَّة إلا قَليلاً، كقول الشَّنفرى:

وبِتْنا كأنَّ النَّبْتَ حُجِّرَ فَوقَنا بريحانَةٍ ريحَتْ عِشاءً وطُلَّتِ

وقول امرئ القيس:

لقد طَمَحَ الطَّمَّاحُ من بُعْدِ أرْضِهِ ... لِيُلْبِسَني من دائِهِ ما تَلَبَّسا

وقوله:

ولكنَّما أسْعى لِمَجدٍ مُؤَثَّلٍ ... وقد يُدرْكُ الـمَجدَ المؤَثَّلَ أمْثالي

وفي شعر الإسلاميين المتقدمين كقول ذي الرُّمَّة:

كأنَّ البُرى والعاجَ عيجَتْ مُتونُهُ

وكقول رجل من بني عبس:

وذلكمْ أنَّ ذُلَّ الجار حالَفَكم * وأنَّ أنْفَكُمُ لا يَعْرفُ الأنَفا

فأما في شعر الـمُحدثين فأكثر من أن يُحصى.

الجناس: وهو تشابه لفظين، مع اختلافهما في المعنى، وهو قسمان: لفظي ومعنوي

الجناس اللفظي على أقسام:

١- الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة:

نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى، كقوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) فالمراد بالساعة الاولى: يوم القيامة، وبالساعة الثانية: جزء من الزمان.

٢- الجناس غير التام: وهو ما اختلف اللفظان في أحد الأمور الأربعة المذكورة (النوع والعدد والهيئة والترتيب).

فالإختلاف في عدد الحرف، نحو: (دوام الحال محال).

وفي نوعه: كقوله تعالى: (ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون).

وفي هيئته: نحو: (الجَدّ في الجِدّ والحرمان في الكسل).

وفي ترتيبه: نحو: (رحم الله من فكّ كفّه وكفّ فكّه).

٣- الجناس المطلق: وهو توافق اللفظين في الحروف وترتيبها، بدون أن يجمعهما اشتقاق، نحو: (غِفار، غفر الله لها).

وإن جمعهما اشتقاق سمي جناس الإشتقاق، نحو قوله تعالى: (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد).

٤- الجناس المذيّل: وهو ما يكون الإختلاف بأكثر من حرفين في آخره، كقوله:

يمدون من أيد عواصم عواصم ... تصول بأسياف قواض قواضب

٥- الجناس المطرّف: وهو ما يكون الإختلاف بزيادة حرفين في أوله، كقوله:

وكم غرر من برّه ولطائف ... لشكري على تلك اللطائف طائف

٦- الجناس المضارع: وهو ما يكون باختلاف اللفظين في حرفين، مع قرب مخرجهما، كقوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينئون عنه).

٧- الجناس اللاحق: وهو ما يكون باختلاف اللفظين في حرفين، مع بعد مخرجهما، كقوله تعالى: (ويل لكلّ هُمَزةٍ لُمَزة).

٨- الجناس التلفّظي: وهو ما اختلف ركناه خطاً مع اتحادهما في التلفّظ، كقوله:

اعذب خلق الله نطقاً وفماً ... إن لم يكن أحق بالحُسن فمن

فالاول تنوين، والثاني نون.

٩- الجناس المحرّف: وهو ما اختلف اللفظان في هيئات الحروف من حيث الحركات، نحو: (جُبة البُرد جُنّة البَرد).

١٠- الجناس المصحّف: وهو ما اختلف اللّفظان من حيث التنقيط، بحيث لو زالت النُقَط لم يتميّز أحدهما عن الآخر، ككتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: (غَرّك عزُّك فَصار قصار ذلك ذُلّك، فاخش فاحش فعلك، فعلّك تهدى بهذي).

١١- الجناس المركّب: وهو ما اختلف اللفظان من حيث التركيب والإفراد، كقوله:

إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة

فالاول مركب بمعنى: صاحب هبة، والثاني: مفرد وهو اسم الفاعل:

١٢- الجناس الملفّق: وهو ما كان اللّفظان كلاهما مركّباً، كقوله:

فلم تضع الأعادي قدر شأني ولا قالوا فلان قد رشاني

الاول: مركّب من (قدر) ومن (شأني) والثاني: مركّب من (قد) ومن (رشاني).

١٣- جناس القلب: وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف، نحو: (رحم الله امرءاً مسك ما بين فكّيه وأطلق ما بين كفيّه).

١٤- الجناس المستوى: وهو من جناس القلب، ويسمّى أيضاً: (مالا يستحيل بالإنعكاس) وهو ما لايختلف لو قريء من حرفه الاخير إلى الأوّل معكوساً ومقلوباً، وانّما يحصل بعينه، نحو قوله تعالى: (كلّ في فلك) وقوله سبحانه: (ربّك فكبّر) فإنّه ينعكس بعينه، ونحو قوله:

مودّته تدوم لكلّ هولٍ وهل كلٌ مودّته تدوم

وكذا قوله: (أرانا الإله هلالاً أناراً).

الجناس المعنوي قسمان:

١- جناس الإضمار: وهو أن يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظاً آخر، واللفظ الآخر يُراد به غير معناه بدلالة السياق، كقوله:

فهو إذا رأته عين الرائي أبو معاذ أو أخو الخنساء

فإن المراد بأبي معاذ: (جبل) وبأخ الخنساء: (صخر) وليس بمراد، وانما المراد: ذم المقصود بأنه كالصخر.

٢- جناس الاشارة: وهو ما ذكر فيه أحد اللفظين وأشير للآخر بما يدلّ عليه، كقوله:

يـاحمزة اسـمح بـوصل ... وامـنن علينـا بقـرب
فـي ثغـرك اسـمك أضحـى ... مـصحّفاً وبقلـبي

أراد (الخمرة) و(الجمرة) إذ هما مصحفا حمزة.

التصحيف: وهو التشابه بين كلمتين أو أكثر خطّاً، والفارق النقط، كـ(التحلّي) و(التخلّي) و(التجلي).

الازدواج: وهو تجانس اللفظين المجاورين، نحو: (من لجّ ولج) و(من جدّ وجد).

السجع: هو توافق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الاخير- والفاصلة في النثر كالقافية في الشعر- وموطن السجع النثر، وأحسنه ما تساوت فقراته، كقوله تعالى: (في سدر مخضود وطلح منضود وظلّ ممدود) وإن لم تتساو فقراته فالاحسن ما طالت فقرته الثانية نحو قوله تعالى: (والنجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم وما غوى) أو طالت فقرته الثالثة، نحو قوله تعالى: (خذوه فغلّوه، ثمّ الجحيم صلّوه، ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) ولا يحسن العكس بأن تطول الفقرة الاولى دون الثانية، أو الثانية دون الثالثة، لأن السامع ينتظر بقيتها، فإذا انقطع كان كالمبتور.

التشطير: وهو جعل كل من شطري البيت مسجوعاً سجعة مخالفة للسجعة الّتي في الشطر الآخر، وهذا يكون على القول بعد اختصاص السجع بالنثر، كقوله:

تـدبير معتصـم بـالله منـتقم ... لله مـرتغب فـي الله مرتقـب

فالشطر الاوّل سجعته مبنيّة على الميم والثاني على الباء.

المـوازنـة: وهـي تسـاوي الفاصـلتين فـي الـوزن فقـط لا فـي التقفيـة، نحـو قولـه تعـالى: (ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة) فإن كلمة (مصفوفة) متفقة مع كلمة (مبثوثة) في الـوزن، لا في التقفية.

الترصيع: وهو توازن الألفاظ مع توافق الاعجاز، أو تقاربهـا، ومثـال التوافـق قولـه تعـالى: (إنّ الأبرار لفي نعيم وإن الفجّار لفي جحيم).

ومثال التقارب قوله تعالى: (وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم)

التشريع: ويسمّى (التوشيح) و(ذا القافيتين) أيضاً، وهو بناء البيـت علـى قـافيتين أو أكثـر، يصح الوقوف على كلّ واحد منها، كقوله:

يـــا خـــاطب الـــدنيا الدنيـــة انهـــا	شـــرك الـــــردى وقـــرارة الأكـــدار
دار إذا مـــا أضـــحكت فـــي يومهـــا	أبـــكت غـــداً تبّـــاً لهـــا مـــن دار

فيصح الوقوف على (الردى) و(غدا) فتنقلب الأبيات من (بحر الكامل) وتكـون مـن (مجـزوء الكامل) وتقرأ هكذا:

ياخاطـــــب الدنيـــــا الدنـــــــ	ـــــيّة انهـــا شَـــرَك الـــــــردى
دار إذا مـــــــــــا أضـــــــــحكت	فـــــــي يومهـــــا أبكـــــت غـــــداً

لزوم ما لايلزم: ويسمّى الالزام والتضمين والتشديد والإعنات أيضـاً، وهـو أن يجـيء قبـل حرف الرويّ - في فاصلتين وأكثر أو بيتين وأكثر - بحرف لا يتوقّف السـجع عليـه، كقولـه تعـالى: (فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر).

وكقوله:

أصـــالة الـــرأي صـــانتني عـــن الخطـــل	وحليـــة الفضـــل زانتنـــي لـــدى العَطَـــل

فالراء في الآية واللام في الشعر، حـروف الـروي، وقـد جـيء قبـل الـراء بالهـاء وقبـل الـلام بالطاء، وهو غير لازم لتحقّق السجع بدون ذلك

ردّ العجز على الصدر: وهو ان يعاد ما بدأ به الاخير، كقوله تعالى: (وتخشى الناس واللّه أحق أن تخشاه).

وقوله:

سريع الى ابن العم يلطم وجهه　　وليس إلى داعي الندى بسريع

مالا يستحيل بالإنعكاس، ويسمّى: القلب المستوي كما مرّ في جناس القلب، وهو: أن يقرأ عكساً كما يقرأ طرداً: (دام علاء العماد). ونحو: (كن كما أمكنك) فإنه إذا قرئ عكساً من الاخير الى الاوّل كان أيضاً: (دام علاء العماد) و(كن كما أمكنك).

الموازبة: وهي أن يجعل المتكلّم كلامه بحيث يمكن تغييره بتصحيف ونحوه، كما يحكى عن أبي نؤاس أنّه كتب على باب قصر هارون العباسي البيت التالي:

لقد ضاع شعري على بابكم　　ما ضاع عقد على خالصة

فلما أنكر عليه هارون ذلك، محى هلال العين، فصار البيت كالتالي:

لقد ضاء شعري على بابكم　　كما ضاء عِقد على خالصه

ائتلاف اللّفظ مع اللّفظ: وهو أن يؤتى في العبارة بألفاظ من واد واحد في الأنس والغرابة ونحوهما، نحو: (ما لكم تكاكأتم عليّ... افرنقعوا) جمع بين غريبين (تكاكأتم) و(افرنقعوا).

التسميط: وهو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام، كقوله:

فنحن في جزل، والروم في وجل　　والبرّ في شغل، والبحر في خجل

الإنسجام: ويسمّى (السهولة) أيضاً، وهو سلامة الألفاظ والمعاني مع جزالتهما وتناسبهما، كقوله تعالى: (كلٌّ في فلك يسبحون) وكقوله:

ما وهب اللّه لامرئ هبة　　أفضلَ من عقله ومن أدبه
هما كمال الفتى فإن فقدا　　ففقده للحياة أليق به

الإكتفاء: وهو أن يحذف بعض الكلام لدلاله العقل عليه، كقوله:

قالـــت بنـــات العـــم يـــا ســـلمى وإن كـــــان فقيـــراً معـــدماً قالـــت وإن

أي: وإن كان فقيراً معدماً.

التطريز: وهو أن يكون صدر الكلام مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفة مكررة بلفظ واحد، كقوله:

وتســـقيني وتشـــرب مـــن رحيـــق خليـــــق أن يُلقّـــــب بـــــالخلوق
كـــأن الكـــأس فـــي يـــدها وفيهـــا عقيـــق فـــي عقيـــق فـــي عقيـــق

التعريب: المعرَّب

هو ما استعملته العرب من الألفاظِ الموضوعةِ لمعانٍ في غير لغتها.

قال الجوهري في الصحاح: تعريبُ الاسم الأعجمي أن تتفوَّه به العرب على مِنْهاجها تقول: عرَّبَتْه العرب وأعَرَبته أيضاً. والتعريب هو ان تصاغ اللفظة الاعجمية بالوزن العربي، فتصبح عربية بعد وضعها على وزن الالفاظ العربية او - على حدة قولهم - على تفعيلة من تفعيلات اللغة العربية. فالعرب كانوا يعمدون الى اللفظة الاعجمية فيزنونها على تفعيلة من التفعيلات العربية مثل"افعل وفعل وفاعل وافتعل وانفعل"وغيرها، فان وافقتها ووافقت حروفها حروف اللغة العربية اخذوها وان لم تكن على وزن التفعيلات العربية ولم توافق اي وزن من اوزان العرب حوروها بزيادة حرف او بنقصان حرف او حروف وصاغوها على الوزن العربي فتصبح على اوزان تفعيلاتهم وحينئذ يأخذونها. وكذلك يفعلون في حروفها، فيحذفون الحرف الذي لا ينسجم مع لغة العرب ويضعون بدله حرفا من حروف العربية حتى يصبح من حروف العربية وحينئذ يأخذون اللفظة وهكذا. فالتعريب هو موضوع الكلمة الاعجمية صياغة جديدة بالوزن والحروف حتى تصبح لفظة عربية في وزنها وحروفها وحينئذ تؤخذ وتكون لفظة معربة، وبذلك تكون عربية كاللفظة التي وضعها العرب سواء بسواء.

وعلى هذا فليس التعريب اذا اخذ للكلمة من اللغات الاخرى كما هي، ووضعها في اللغة العربية على حالها الاصلية بل التعريب هو صياغة جديدة للكلمة الاعجمية بحروف عربية ووزن عربي.

فان العرب قد حددت اوزان اللغة العربية وتفعيلاتها، وحددت حروف اللغة العربية بحروف معينة وعدد محدد، والتعريب هو صوغ لفظة من هذه الحروف على وزن من الاوزان العربية، وهذا ولا شك اجتهاد وليس وضع، ومن هنا كان جائزا لكل مجتهد في اللغة العربية فهو كالاشتقاق سوا بسواء. فالاشتقاق ان تصوغ من المصدر فعلا او اسم فاعل او اسم مفعول او غير ذلك من المشتقات من حروف العربية وعلى استعمال العرب، سواء اكان ما صنعته قد قالته العرب ام لم تقله، فكذلك التعريب ان تأخذ لفظا اعجميا وتصوغه على وزن من اوزان العرب ومن حروف العربية وعلى استعمال العرب فتخرج منه لفظة عربية كما اخرج الاشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول من المصدر، والمشتق لا خلاف في جوازه لكل عالم بالعربية فكذلك التعريب يجوز لكل مجتهد في العربية لانه صياغة وليس بوضع، ولهذا فان التعريب ليس خاصا بالعرب الاقحاح بل هو عام لكل عربي، الا انه يشترط فيمن يصح منه التعريب ان يكون مجتهدا بالعربية حتى يتأتى له جعل اللفظة الاعجمية لفظة عربية كسائر الفاظ العرب، غير انه ينبغي له ان يعلم ان التعريب خاص باسماء الاشياء وليس عاما لكل لفظ اعجمي، فالتعريب لا يدخل الالفاظ الدالة على المعاني، ولاالجمل الدالة على الخيال، وانما هو خاص باسماء الاشياء ولا تصح في غيرها مطلقا. فانهم بالنسبة للمعاني قد وضعوا الاشتقاق بالنسبة للتخيلات والتشبيهات قد وضعوا المجاز، ولم يستعملوا التعريب الا في اسماء الاشياء ويدخل فيها اسماء الاعلام مثل ابراهيم ولهذا لا يجوز التعريب الا في اسماء الاشياء واسماء الاعلام ولا يجوز في غيرهما ولا بوجه من الوجوه، اما غير اسماء الاشياء واسماء الاعلام فان مجال اخذها واسع في الاشتقاق والمجاز، فالاشتقاق مجاله واسع لاخذ المعاني والتعبير عنها مهما بلغت من الكثرة والتنوع وكذلك للمجاز مجال خصب لاخذ الخيال والتشبيهات والتعبير عنها. واللغة العربية ليست في حاجة لان يؤخذ معنى اللفظة الاعجمية ويعبر عنها بلفظ يدل على معنى مثله بالعربية كما حاول المسلمون ان يفعلوا ذلك، بل تؤخذ اللفظة الاعجمية نفسها وتصاغ على وزن عربي وبحروف عربية على استعمال العرب وتوضع لفظة معربة، فما فعلوه من وضع كلمات قطار وعربة وسيارة وهاتف ومقود وما شاكل ذلك عمل كله خطأ ويدل على الجمود الفكري وعلى الجهل المطبق، فهذه اشياء وليست معاني ولا تخيلات ولا تشبيهات فلا توضع

لها اسماء المعاني تشبهها ولا تشتق لها اسماء، وانما تؤخذ اسماؤها الاعجمية نفسها وتصاغ على تفعيلة من تفعيلات العرب ومن حروف عربية وعلى استعمال العرب وتوضع لفظة جديدة على اللغة العربية وتكون لفظة معربة هي واللفظة التي وضعها العرب سواء بسواء فكلمة تلفون كان يجب ان تؤخذ كما هي لان وزنها عربي"فعلول"ومنها عربون وحروفها كلها حروف عربية وكلمة"جدون"وزنها وزن عربي"فعول"ومنه جهول ولكن حرف "G" غير موجود في اللغة العربية يوضع بدله حرف "ج" او حرف "غ" فيقال "غدون" او "جدون" فتصبح لفظة معربة، وهكذا باقي الكلمات لا يصح ان توضع لها الفاظ عربية تدل على اشياء مثلها، فان هذا يخالف اللغة العربية ويخالف قواعدها، لان العربية قد جعلت التعريب لوضع اسماء الاشياء واسماء الاعلام، ولم تجعل التشبيهات اداة لوضع اسماء الاشياء والاعلام.على ان هذه الالفاظ التي وضعت لاسماء الاشياء الجديدة كالقطار والعربة والسيارة لا تعتبر من الفاظ العربية مطلقا، اي ليست هي حقيقة لغوية ولا حقيقة شرعية ولا حقيقة اصطلاحية، فلا تكون عربية على الاطلاق. لان اللفظ العربي هو اللفظ الذي وضعه العرب للدلالة على معنى معين، فاذا حصل اصطلاح اللفظ وضعه العرب على معنى لم يضعوه له كان ذلك حقيقة شرعية او حقيقة عرفية وليس حقيقة لغوية.

فان الحقيقة اللغوية لا بد ان يضع العرب اللفظ لذلك المدلول والفاظ اللغة العربية لا تخرج عن هذه الثلاث: اما حقيقة لغوية واما حقيقة شرعية، واما حقيقة عرفية.ووضع لفظ القطار والعربة والهاتف... الخ قد وضعها هؤلاء للدلالة على شيء حسب وضع اللغة وارادوا به ان يكون ذلك هو معناها لغة، اي ارادوا به ان يكون حقيقة لغوية. والحقيقة اللغوية هي اللفظ المستعمل فيما وضع له اولا في اللغة، اي هي اللفظ الذي وضعه اهل اللغة بازاء معنى معين للدلالة عليه، ولفظ القطار وما شابهه لم يضعه العرب بازاء هذا المعنى للدلالة عليه فلا يكون حقيقة لغوية، وبما انه ليس حقيقة شرعية ولا حقيقة عرفية فيكون لفظا غير عربي. فكلمات القطار والعربة والهاتف التي وضعت مؤخرا اسماء لاشياء ليست الفاظا عربية.

وقال أبو حيَّان في الارتشاف: الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام: قسمٌ غيَّرَتْه العربُ وألحَقْته بكلامها فحُكْمُ أبْنيَته في اعتبار الأصلي والزائد والوَزْن حُكْمُ أبنية الأسماء العربيةِ الوَضْع نحو درهم وبَهْرَج.

وقسمٌ غَيَّرته ولم تُلْحِقْه بأبنيةِ كلامِها فلا يُعْتَبَر فيه ما يُعْتَبَر في القسم الذي قبلَه نحو آجر وسِفْسِير. وقسمٌ تركوه غيرَ مغيَّر فما لم يُلحِقوه بأبنية كلامهم لم يُعَدّ منها وما ألحقوه بها عُدّ منها مثال الأول: خُرَاسان لا يثبت به فُعالان ومثال الثاني: خُرَّم ألحق بسُلّم وكُرْكُم ألحق بقُمقُم.

قال أئمة العربية: تُعْرف عُجْمَة الاسم بوجوه:

أحدها - النَّقْل بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية.

الثاني - خروجُه عن أوزان الأسماء العربية نحو إبْرَيْسَم فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي.

الثالث - أن يكون أوَّله نون ثم راء نحو نرْجس فإنّ ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الرابع - أن يكونَ آخرُه زاي بعد دال نحو مهندز فإن ذلك لا يكونُ في كلمة عربية.

الخامس - أن يجتمع فيها الصاد والجيم نحو الصَّوْلجان والجصّ.

السادس - أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق.

السابع - أن يكون خُماسياً ورُباعياً عارياً عن حروف الذّلاقة وهي الباء والراء والفاء واللام والميم والنون فإنه متى كان عربيّاً فلا بدَّ أن يكونَ فيه شيء منها نحو سَفَرْجَل وقُذَعْمِل وقِرْطَعْب وجَحْمَرش فهذا ما جمعه أبو حيّان في شرح التسهيل.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: القافُ والجيم لا يجتمعان في كلمةٍ واحدة في كلام العرب والجيم والتاء لا تجتمعُ في كلمة من غير حرف ذَوْلَقِيّ ولهذا ليس الجِبْت من مَحْض العربية والجيم والصاد لا يَأْتلفان في كلام العرب ولهذا ليس الجصّ ولا الإجّاص ولا الصَّوْلجان بعربيّ والجيم والطاء لا يجتمعان في كلمةٍ واحدة ولهذا كان الطَّاجِن والطَّيْجَن مولّدين لأن ذلك لا يكون في كلامهم الأصلي. وقال ابنُ فارس في فقه اللغة: حدَّثني علي بن أحمد الصباحي قال: سمعتُ ابنَ دريد يقول: حروفٌ لا تتكلمُ العرب بها إلا ضرورة فإذا اضطرّوا إليها حوّلوها عند التكلّم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل بور إذا

اضطروا قالوا: فُور. قال ابن فارس: وهذا صحيحٌ لأن بور ليس من كلام العرب فلذلك يَحتاج العربي عند تعريبه إياه أن يصيِّره فاء.

قال ابنُ دُريد في الجمهرة قال أبو حاتم قال الأصمعي: العربُ تجعل الظاء طاء ألا تراهم سمّوا الناظر ناطوراً أي ينظر ويقولون البُرْطُلَة وإنما هو ابن الظُّلَّة. وفي مختصر العين: الناظر والناطور: حافظُ الزَّرع وليست بعربية.

وقال سيبويه أبدلوا العَين في إسماعيل لأنها أشبهُ الحروف بالهمزة قالوا: فهذا يدلُّ على أن وفي شرح أدب الكاتب: التوت أعجمي معرّب وأصلُه باللسان العجمي توث وتود فأبدَلت العرب من الثاء المثلثة والذال المعجمة تاء ثنويّة لأن المثلّثة والذال مهملان في كلامهم.

وقال الجواليقي في المعرَّب: إن العرب كثيراً ما يجترئون على الأسماء الأعجمية فيغيِّرونها بالإبدال قالوا: إسماعيل وأصلُه إشْمائيل فأبدلوا لقُرْب المَخْرَج.

قال: وقد يُبْدِلون مع البُعْد من المخرج وقد ينقلونها إلى أبنيتهم ويزيدون وينقصون.

وقال بعضهم: الحروف التي يكون فيها البَدل في المُعَرَّب عشرة: خمسةٌ يُطَّرد إبدالها وهي: الكاف والجيم والقاف والباء والفاء وخمسةٌ لا يطَّرد إبدالُها وهي: السين والشين والعين واللام والزاي فالبدَلُ المطَّرد: هو في كلِّ حرف ليس من حروفهم كقولهم: كُرْبَج الكاف فيه بدلٌ من حرف بَين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف أو القاف نحو قُرْبَق.

أو الجيم نحو جَوْرب وكذلك فِرند هو بين الباء والفاء فمرّة تُبْدَل منها الباء ومرة تُبْدل منها الفاء.

وأما ما لا يطّرد فيه الإبدال فكلُّ حرف وافَق الحروف العربية كقولهم إسماعيل أبدلوا السين من الشين والعينَ من الهمزة وأصله إشمائيل.

وقال أبو عبيد في الغريب المصنف: العرب يعرِّبون الشين سيناً يقولون: نيسابور وهي نيشابور وكذلك الدَّشْت يقولون دَسْت فيُبدلونها سيناً.

وفي تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم بخطّه: قال نصر بن محمد بن أبي الفنون النحوي في كتاب أوزان الثلاثي: سين العربية شين في العبرية فالسلام شلام واللسان لشان

والاسم اشم. وقال ابنُ سِيدَه في الـمُحْكم: ليس في كلام العرب شينٌ بعد لامٍ في كلمة عربيةٍ مَحْضَة الشينات ذكر أمثلة من الـمُعرَّب قال الثعالبي في فقه اللغة: فصل - في سياقة أسماء تَفَرّد بها الفُرْس دون العرب فاضطَّرت العرب إلى تعْريبها أو تركها كما هي من ذلك: الكُوز الجَرَّة الإبريق الطَّشْتُ الخِوان الطَّبق القَصْعَة السُّكرُّجة. السَّمُّور السِّنْجَاب القَاقُم الفَنَك الدَّلَق الخَزُّ الدِّيباج التَّاخْتَج الرَّاخْتَجُ السُّنْدُس.

الياقوت الفَيْرُوزج البلُّور. الكَعْك الدَّرْمَك الجَرْدق السَّمِيذ. السِّكْبَاج الزيرباج الاسْفِيداج الطَّبَاهِج الفَالُوذَج اللَّوْزِينَج الجَوْزِينَجُ النَّفْرينَج. الجُلاَّب السَّكَنْجُبين الجَلَنْجُبين. الدَّارَصِيني الفُلْفُل الكَرَوِيَّا الزَّنْجَبِيل الخُولِنْجَان القِرْفَة. النَّرْجِس البَنَفْسَج النِّسْرَين الخِيْرِيّ السَّوسَن الـمَرْزَنْجُوش الياسِمينُ الجُلَّنار. المِسْك العَنْبَر الكافور الصَّندَل القَرَنْفُل.

ومن اللغة الرومية: الفِرْدَوْس وهو البستان. القُسْطاس وهو الميزان. السَّجَنْجَل: المِرآة. البِطاقة: رُقْعَةٌ فيها رَقْمُ المتَاع. القَرَسْطُون: القَفَار. الاصطرلابُ مَعْروف. القُسْطناس: صَلابةُ الطِّيب. القَسْطَرِيّ والقُسْطار: الجِهْبِذ. القَسْطَل: الغُبار. القُبْرس: أجْوَدُ النُّحَاس. القِنْطار: اثنا عشر ألف أوقيَّة. البِطْرِيقُ: القائد. القَرَامِيد: الآجر. التِّرْياق: دواء السُّموم. القَنْطَرَةُ معروفة. القيطون: البيتُ الشَّتوي. النِّقْرس والقُولَنْج: مَرَضان. سأل عليٌّ رضي اللَّه عنه شُرَيْحاً مسألة فأجابه بالصواب فقال له: قَالون: أي أصبتَ - بالرُّومية. انتهى ما أورده الثعالبي.

والعِراق. قال الأصمعي. وأصلُها بالفارسية إرانْ شَهْر أي البلد الخراب فعرّبوها فقالوا: العراق.

ومما أخذوه من الحبشية: الهَرْج: وهو القتل.

ويجدر القول هنا إلى وجود نوع آخر من الكلام يسمى المولّد: وهو ما أحْدثه المولَّدون الذين لا يُحْتجّ بألفاظهم والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يُورده صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلافه.

ومن أمثلته: قال في الجمهرة: الحُسْبان الذي ترمى به: هذه السهامُ الصّغار مولّد وقال: كان الأصمعي يقول: النِّحْريرُ ليس من كلام العرب وهي كلمة مولّدة.

وقال: الخُمُّ: القَوْصَرَّة يُجْعَلُ فيها التبن لتبيضَ فيها الدَّجاجة وهي وقال: أيام العَجُوز ليس من كلام العرب في الجاهلية إنما وُلِّد في الإسلام

وقال التبريزي في تهذيب الإصلاح: القاقُزَّة مولّدة وإنما هي القاقُوزة والقَازُوزة وهي إناءٌ من آنية الشراب.

وقال ابن دريد: الكابوسُ الذي يقعُ على النائم أحسبه مولداً.

وقال الجوهري في الصحاح: الطَّرَش أهونُ الصمم يقال هو مولّد

قال والعُجّة هذا الطعام الذي يُتّخذ من البيض أظنّه مولداً وجزم به صاحب القاموس.

قال: وقولهم: سِتّي بمعنى سيدتي مولّد ولا يقال سِتّ إلا في العدد.

وهذه المباحث كلها لا شك أنها تنبيك عن اتساع لغة العرب.

الاشتقاق والتصريف:

الاشتقاق أن تجد بين اللفظين تناسباً في المعنى والتركيب فنرد أحدهما إلى الآخر. وأركانه أربعة: أحدها اسم موضوع لمعنى وثانيها شيء آخر له نسبة إلى ذلك المعنى وثالثها مشاركة بين هذين الاسمين في الحروف الأصلية ورابعها تغيير يلحق ذلك الاسم في حرف فقط أو حركة فقط أو فيهما معاً وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة إما أن يكون بالزيادة أو النقصان أو بهما معاً

إن للغةِ العربية قياساً وإنّ العرب تشتقُّ بعض الكلام من بعض واسم الجنِّ مشتقٌّ من الاجْتِنان والجيم والنون تَدُلّان أبداً على السّتر تقول العرب للدِّرْع: جُنَّة وأجَنَّه الليلُ وهذا جَنين أي هو في بَطْن أمِّه. وأن الإنس من الظهور يقولون: آنسْتُ الشيء: أبْصَرْتُه. وعلى هذا سائرُ كلام العرب عَلِم ذلك مَن عَلِم وجَهِله من جهل.

قال: **وهذا مبنيٌّ أيضاً على ما تقدَّم من أن اللغة توقيف** فإنّ الذي وَقَّفَنا على أن الاجتِنان: الستر هو الذي وقّفنا على أن الجنَّ مشتقٌّ منه وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غيرَ ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأن في ذلك فساد اللغة وبُطلانَ حقائقها.

قال: ونكتةُ الباب أن اللغة لا تُؤْخذ قياساً نقيسه الآن نحن انتهى كلام ابن فارس.

قال في شرح التسهيل: الاشتقاقُ أخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصلية وهيئةً تركيب لها لَيدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِر.

وطريقُ معرفته تقليبُ تصاريفِ الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصِّيغ دلالة اطراد أو حروفاً غالباً كضرب فإنه دال على مُطلق الضرب فقط أما ضارب ومضروب ويَضْرب واضْرب فكلُّها أكثرُ دلالة وأكثرُ حروفاً وضرَب الماضي مساوٍ حروفاً وأكثرُ دلالة وكلها مشتركة في ض ر ب وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصْغر المحتجُّ به.

وكل زيادة في المبنى لا بد أن تتضمن زيادة في المعنى.

وقال في الارتشاف: الأصل في الاشتقاق أن يكونَ من المصادر وأصدقُ ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزّمان والمكان ويغلبُ في العَلَم ويقلّ في أسماء الأجناس كغُراب يمكن أن يُشتق من الاغتراب وجراد من الجَرْد.

الثانية - قال في شرح التسهيل أيضاً: التصريفُ أعمُّ من الاشتقاق لأن بناء مثل قردد من الضّرب يسمى تصريفاً ولا يسمى اشتقاقاً لأنه خاصٌّ بما بنَتْه العرَب.

في مثال من الاشتقاق الأكبر: مما ذكره الزّجاج في كتابه قال: قولهم: شجَرتُ فلاناً بالرّمح تأويله جعلته فيه كالغُصْن في الشجرة وقولهم: للحلقوم وما يتصل به شَجْر لأنه مع ما يتصل به كأغصان الشجرة وتشاجر القوم إنما تأويلُه اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة وكل ما تفرّع من هذا الباب فأصله الشجرة. ويروى عن شيبة بن عثمان قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فإذا العباس آخذ بلجام بَغْلَته قد شجَرَها. قال أبو نصر صاحب الأصمعي: معنى قوله: قد شجرها أي رفع رأسها إلى فوق. يقال: شجرَتُ أغصان الشجرة إذا تدلّت فرفعتُها.

والشِّجار مَرْكب يُتَّخذ للشيخ الكبير ومَنْ مَنَعَته العِلّة من الحركة ولم يؤمَن عليه السقوط تشبيهاً بالشجرة الملتفّة والنخل يسمى الشجر قال الشاعر: وأخبث طَلْع طلعكنّ لأهله وأنكر ما خيرت من شَجَرات والمرعى يقال له الشجر لاختلاف نَبته وشجر الأمر إذا اختلط وشجَرني عن

الأمر كذا وكذا معناه صرَفني وتأويله أنه اختلَف رأيي كاختلاف الشجر والباب واحد وكذلك شجر بينهم فلان أي اختلف بينهم وقد شجر بينهم أمرٌ أي وقع بينهم. انتهى.

فائدة - قال ابن دريد: قال أبو عثمان: سمعتُ الأخفش يقول: اشتقاقُ الدُّكان من الدَّكْدَك وهي أرضٌ فيها غلظ وانبساط ومنه اشتقاق ناقة دكَّاء إذا كانت مفترشة السَّنام في ظهرها أو مجْبُوبَته.

لطيفة - قال أبو عبد اللّه محمد بن المعلى الأزدي في كتاب الترقيص: حدّثني هارون بن زكريا عن البلعيّ عن أبي حاتم قال: سألت الأصمعي لِمَ سُمِّيت مِنًى منى قال: لا أدْري. فلقيت أبا عبيدة فسألته فقال: لم أكن مع آدم حين علَّمه اللّه الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء فأتيت أبا زيد فسألته. فقال: سمِّيت منى لما يُمْنى فيها من الدّماء.

فائدة - قال أبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين: سُئِل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمرَّ أعرابي مُحرم فأراد السائلُ سؤالَ الأعرابي فقال له أبو عمرو: دعْني فإني ألطفُ بسُؤَاله وأعرف فسأله.

فقال الأعرابي: استفاد الاسمَ من فِعْل السير فلم يعرف مَنْ حَضَر ما أراد الأعرابيُّ فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال: ذهبَ إلى الخُيَلاء التي في الخيل والعُجْب ألا تراها تمشي العَرضْنَة خيلاء وتكبّراً فائدة - قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الموازنة: كان الزَّجَّاج يزعُم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نَقَصت حروفُ إحداهما عن حروف الأخرى فإنّ إحداهما مشتقةٌ من الأخرى فتقول: الرّحل مشتق من الرحيل والثور إنما سُمّي ثوراً لأنه يُثير الأرض والثوب إنما سُمِّي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً حسيبه اللّه كذا قال.

الترادف: وقد مر تفصيله ونذكره هنا لاتصاله بموضوع الاشتقاق والتصريف هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد، باعتبار واحد، كالانسان والبشر الدالين على الحيوان الناطق، وكالبر والقمح وكجلس وقعد، ومثل ما نقل عن العرب قولهم: الصلهب والشوذب من أسماء الطويل، والبهتر والبحتر من أسماء القصير، إلى غير ذلك.

وسبب وقوع الترادف في اللغة أن يكون من واضعين، وذلك بأن تضع قبيلة لفظ القمح مثلا للحب المعروف وتضع قبيلة أخرى لفظ البر له أيضا ويشتهر الوضعان، أو أن يكون من

واضع واحد إما لتكثير الوسائل إلى الإخبار عما في النفس وإما للتوسع في مجال البديع، كقولك: ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت، فلو عبرت بلفظ مضى بدل لفظ فات لما حصل هذا المعنى، ولما وصلت إلى الصورة البلاغيه المطلوبه، وفي المجانسة كقولك: اشتريت البر وأنفقته في البر، فلو عبر بلفظ القمح بدل لفظ البر لفات المطلوب. وفي القلب كقوله تعالة "وربك فكبر" فلو عبر بلفظ والله فكبر لفات المطلوب، وهو ربك تقرأ طردا ربك وعكسا كبر، فيكون الترادف قد أغنى اللغة العربية.

إلا أن الترادف خلاف الأصل والأصل عدم الترادف، فإذا تردد لفظ بين كونه مترادفا وكونه غير مترادف فحمله على غير الترادف أولى، إذ الأصل أن يكون اللفظ قد وضع لمعنى لم يوضع له لفظ آخر، ولأن اللفظ الثاني معرف لما عرف بالأول، ولذلك ذهب بعضهم إلى امتناع وقوع الترادف، ولكن الثابت أن الترادف موجود في اللغة العربية ومروي عن العرب وكون اللغة قد وضعها العرب وكانوا قبائل يقتضي وقوع الترادف إلا أنه خلاف للأصل.

وقد مر بحث وبيان الكثير من المترادفات ولا بأس من أن نأتي على المزيد من الأمثله:

(في الشَّجَاعَةِ وتَفْصِيل أحْوَالِ الشُّجَاع.)

إذا كانَ شَدِيدَ القَلْبِ رَابِطَ الجَأشِ فَهُوَ زيرٌ وَمَزْير

فإذا كانَ لَزُوماً لِلقِرْنِ لا يُفَارِقُهُ فهو حَلْبَسٌ، عَنِ الكِسَائي

فإذا كانَ شَدِيدَ القِتَالِ لَزُوماً لِمَنْ طَالَبَه فهو غَلِثٌ، عَن الأَصْمَعِي

فإذا كانَ جَريئاً عَلَى اللَّيْلِ فَهَوَ مِخَشٌّ ومِخْشَفٌ، عَنْ أبي عَمْرو

فإذا كانَ مِقْدَاماً عَلَى الحَرْبِ عَالِماً بأحْوَالِها فَهُوَ مِحْرَب

فإذا كانَ منكرا شديدا فَهُوَ ذَمِرٌ، عَن الفَرَّاءِ

فإذا كانَ بِهِ عُبُوسُ الشَّجَاعَةِ والغَضَبِ، فَهُوَ بَاسِل

فإذا كانَ لا يُدرَى مِنْ أيْنَ يُؤْتَى لِشِدَّةِ بَأسِهِ، فَهُوَ بُهْمَةٌ، عَنِ اللَّيْثِ

فإذا كانَ يُبْطِلُ الأشِدَّاءَ والدِّماءَ فَلاَ يُدرَكُ عِندهُ ثَأر، فهو بَطَل

فإذا كانَ يَرْكَبُ رَأسَهُ لا يَثْنِيهِ شَيْءٌ عَمَّا يُريدُ، فَهوَ غَشَمْشَم، عَنِ الأصْمَعِيّ

فإذا كانَ لاَ يَنْحَاشُ لِشَيءٍ، فَهوَ أيْهَمُ، عَنِ اللَيْث.

رَجُل شُجَاع،،، ثُمَّ بَطَل،،،ثُمَّ صِمَّةٌ،،، ثُمَّ بُهْمَة،،، ثُمَّ ذَمِر،،،ثُمَّ حَلِسٌ وحَلْبَسٌ

ثم أهْيَسُ ألْيَسُ،،، ثُمَّ نِكْلٌ،،، ثُمَّ نَهيك ومِحْرَبٌ،، ثُمَّ غَشَمْشَم وأيْهَمُ.

(في الخُلُوِّ مِنَ اللِّبَاسِ والسِّلاح)

رَجُلٌ حَافٍ مِنَ النَّعْلِ والخُفِّ،، عُرْيَان مِنَ الثِّيَابِ،، حَاسِر مِنَ العِمَامَةِ،،، أعْزَلُ مِنَ السِّلاح

أكْشَفُ مِنَ التُّرسِ،،، أمْيَلُ مِنَ السَّيْفِ،، أجَمُّ مِنَ الرُّمْحِ،، أنْكَبُ مِنَ ا لقَوْسَ.

(في أوْصَافِ الطَّعْنَةِ)

إذَا كَانَتْ مُسْتَقِيمةً فَهِيَ سُلْكَى،،،، فإذا كَانَتْ في جَانِبٍ فَهِيَ مَخْلُوجَة

فإذا كَانَتْ عَن يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ فَهِيَ الشَّزْرُ،،، فإذا كَانَتْ حِذَاءَ وَجهِكَ فَهِيَ اليَسْرُ

فإذا كَانَتْ وَاسِعَةً فَهِيَ النَّجْلاءُ،،، فإذا فَهَقَتْ بالدَّم فَهِيَ الفَاهِقَةُ

فإذا قَشَرَتِ الجِلْد ولَمْ تَدْخُلِ الجَوْفَ فَهِيَ الجَالِفَةُ،،، فإذا خَالَطَتَ الجَوْفَ ولَم تَنْفُذْ فَهِيَ الوَاخِضَةُ،،، فإذا دَخَلَتِ الجَوْفَ ونَفَذَتْ فَهِيَ الجَائِفَة.

(في تَفْصِيل أوْصَافِ الجَبَانِ وترتيبها).

رَجُل جبَانٌ وهَيَّابَة،،، ثُمَّ مَفْؤود إذا كانَ ضَعِيفَ الفُؤَادِ

ثم وَرِع ضَرِع إذا كانَ ضَعِيفَ القَلْب والبَدَنِ

ثُمَّ فَعْفَاع ووَعْوَاع وَهَاع لاع إذا زَادَ جُبْنُهُ وضعْفُه، عَنِ المؤرِّج واللَّيْثِ

ثُمَّ مَنْخُوب ومُسْتَوْهِل إذا كانَ نِهَايَةً في الجُبْنِ

ثم هَوْهَاة وهَجهَاج إذا كانَ نَفُوراً فَرُوراً، عَنْ أبي عَمْرو

ثُمَّ رِعْدِيدَة ورِعْشِيشَة إذا كانَ يَرْتَعِدُ ويرتَعِشُ جُبْناً

ثُمَّ هِرْدَبَّة إذا كانَ مُنْتَفِخَ الجَوْفِ لا فُؤادَ لَه، عَنْ أبي زَيْدٍ وغَيْره.

(في تَقْسِيمِ الخَلاءِ والصُّفُورَةِ عَلَى ما يُوصَفُ بِهِمَا مَعَ تَفْصِيلِهِمَا)

أَرْض قَفْر لَيْسَ بِهَا أَحَد،،، ومَرْت لَيْسَ فِيهَا نَبْت،،، وجرُز لَيس فِيهَا زَرْع

دَارٌ خَاوِيَه لَيْسَ فِيهَا أَهْل،،، غَمَام جَهَام لَيْس فِيهِ مَطَرٌ،،، بِئْر نَزح لَيْسَ فِيهَا مَاء،

إنَاءٌ صُفْر لَيْس فِيهِ شَيْء،،، طَن طَاوٍ لَيْسَ فِيهِ طَعَام،،،، لَبَنٌ جَهِير لَيْس فِيهِ زُبْد،

بسْتَان خِمٌّ لَيْسَ فِيهِ فَاكِهَة،،،، شُهْدَة هِفّ لَيْس فِيها عَسَل،،،قَلْب فارغ لَيْس فِيهِ شُغْل

خَدٌّ أَمْرَدُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَعْر،،، امْرَأة عُطْلٌ لَيْس عَلَيْهَا حُلِيٌّ

بَعِير عُلُطٌ لَيْس عَلَيهِ وَسْم،،، مَحْبُوس طَلْق لَيْسَ عَلَيهِ قَيْد،،، خَطٌّ غُفْل لَيْس عَلَيهِ شَكْل

شَجَرَة سُلُب لَيس عَلَيها وَرَقٌ،،، جَارِيَة زَلاءُ لَيْسَتْ لَها عَجِيزَة.

(في تَرْتِيبِ البَيَاض)

أبْيَضُ،،، ثُمَ يَقِقٌ،،، ثمَّ لَهِقٌ،،،ثُمَّ واضِح،،، ثُمَّ نَاصِع،،، ثم هِجَان وخَالِص.

(في تَقْسِيمِ البَيَاضِ واللُّغَاتِ وَفِيهِ كَثِيرٌ مِمَّا يُوصَفُ بِهِ مَعَ اخْتِيَار أشْهَرَ الأَلْفَاظِ وأسْهَلِهَا)

رَجُل أَزْهَرُ، امرأة رُعْبُوبَةٌ، شَعْر أَشْمَطُ، فَرَسٌ أَشْهَبُ، بَعِير أَعْيَس،،، ثَوْر لَهِق

بَقَرَةٌ لِيَاحٌ،،، حِمَاد أَقْمَرُ،،، كَبْشٌ أَمْلَحُ،،، ظَبْيٌ آدَمُ،،، ثَوْب أَبْيَضُ،،، فِضَّة يَقَقٌ،، خُبْز حُوَّارَى،،، عِنَب مُلاحِي،، عَسَلُ مَاذِي،، مَاء صَافٍ، و فِي كِتَاب تَهْذِيبِ اللُّغَةِ: مَاء خَالِص، أي أبْيَضُ،،، وَثَوْبٌ خَالِص كَذَلِك.

إذا كَانَ الرَّجُل أبْيَض لا يُخَالِطُه شَيء مِنَ الحُمْرَةِ وَلَيس بنَيِّرٍ ولكنَّه كَلَوْنِ الجِص فَهُوَ اَمْهَقُ

فإنْ كَانَ أبْيَض بَيَاضاً مَحْمُوداً يُخَالِطُهُ أدْنَى صُفْرَةٍ كَلَوْنِ القَمَر والدُرِّ فَهُوَ أزْهَرُ، وفي حديث أنس في صِفَةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: (كان أزْهَرَ وَلَمْ يَكُنْ أمْهَقَ)

فإنْ عَلَتْهُ أو غَيْرَهُ مِن ذَوَاتِ الأربعِ حُمْرَة يَسِيرَة فهوَ أقْهَبُ وأقْهَدُ

فإنْ عَلَتْهُ غُبْرَة فهو أعفَر واغْثَر.

الوَضَحُ بَيَاض الغُرَّةِ

التَّحْجِيلُ والبَرَصُ والبَهَقُ بَيَاض يَعْتَري الجِلْدَ يُخَالِفُ لَوْنَهُ ولَيْس مِنَ البَرَص

المكوكَب بَيَاض في سَوادِ العَيْن ذَهَبَ البَصَرُ لَهُ أوْ لَم يَذْهَبْ، عَنْ أبي زَيْدٍ

القُرْحَة بَيَاض في جَبْهَةِ الفَرَسِ،،، السَّفَرُ بَيَاضُ النَهَار،،، المُلْحَةُ بَيَاضً المِلْحِ

الفُوفُ البَيَاضُ الَّذِي في أظْفَار الأحْدَاثِ،، الهِجَانَةُ أحْسَنُ البَيَاضِ في الرِّجَالَ والنِّسَاءِ والإبلِ.

(في تَرْتِيبِ البَيَاضِ في جَبْهَةِ الفَرَسِ وَوَجْهِهِ)

إذا كَانَ البَيَاض في جَبْهَتِهِ قَدْرَ الدِّرْهَمِ فَهُوَ القُرْحَةُ

فَإذا زادتْ، فَهِيَ الغُرَّةُ،، فإنْ سَالتْ ودَقَّتْ ولم تُجاوز العَيْنَيْن، فهيَ العُصْفُورُ

فإنْ جَلَّلَتِ الخَيْشُومَ ولَم تَبْلُغ الجَحْفَلَةَ فَهِيَ شِمْرَاخ،، فإنْ مَلأتِ الجَبْهَةَ ولم تَبْلُغ العَيْنَيْنِ فَهِيَ الشَّادِخَةُ،،، فإنْ أخَذَتْ جَمِيعَ وَجهِهِ غَيْرَ أنَّهُ يَنْظُرُ في سَوَادٍ قِيلَ لَهُ: مُبَرقَعٌ

فإنْ رَجَعَتْ غِرَّتُه في أحَدِ شِقَّيْ وَجْهِهِ إلى أحَدِ الخدينِ، فهوَ لَطيم

فإن فَشَتْ حتّى تَأخُذَ العَيْنَين فَتَبْيَضَّ أشْفَارُهمَا فهوَ مُغْرَب

فإنْ كَانَ بِجَحْفَلَتِهِ العُلْيَا بَيَاضٌ فَهُوَ أرْثَم،،، فإنْ كَانَ بالسُّفْلَى فَهُوَ المَظُ.

(في بَيَاضِ سائِرِ أعْضائِهِ)

إذا كَانَ أَبْيَضَ الرَّأسِ والعُنُقِ، فَهُوَ أدرَعُ،، فإنْ كَانَ أَبْيَض أعلى الرَّأسِ، فَهُوَ أصْقَعُ

فإنْ كَانَ أَبْيَض القَفَا فهو أقْنَفُ،،، فإنْ كَانَ أَبْيَضَ الرَّأسِ كُلِّهِ، فَهُوَ أغْشَى وَأرْخَمُ

فإنْ كَانَ أَبْيَضَ النَّاصِيَةِ كلِّها فهو أسْعَفُ،،، فإنْ كَانَ أَبْيَض الظَّهْر فَهُو أرْحَلً

فَإنْ كَانَ أَبْيَضَ العَجُز فَهُوَ آزَرُ،،، فإنْ كَانَ أَبْيَضَ الجَنْبِ أو الجَنْبَينِ فَهُوَ أخْصَفُ

فإنْ كَانَ أَبْيَضَ البَطْنِ، فَهُوَ أنْبَطُ،،، فإنْ كَانَتْ قَوَائِمُهُ الأرْبَعُ بيضاً يَبْلُغُ البَيَاضُ مِنها ثُلُثَ الوظيفِ أو نِصْفَهُ أوْ ثُلُثَيْهِ ولا يَبْلُغُ الرُّكْبَتَيْنِ فَهُوَ مُحَجَّل،،

فإنْ أصابَ البَيَاض مِنَ التَّحْجيلِ حَقْوَيْهِ وَمَغَابِنَهُ وَمَرْجِع مِرْفَقَيْهِ فهو أبْلَقُ، وقدْ قِيل إنَّهُ إذا كَانَ ذَا لَوْنَيْنِ كل مِنْهُمَا مُتَمَيِّز عَلَى حِدَةٍ، وَزَادَ بَيَاضُهُ عَلَى التَّحْجِيلِ والغُرَةِ والشَّعَلِ، فَهُوَ أبْلَقُ،،، فإذا كانَتْ بُلْقَتُه في استِطَالَهٍ فَهُوَ مُوَلَّعٌ

فإنْ بَلَغَ البَيَاضُ مِنَ التَّحْجيلِ رُكْبَةَ اليَدِ وعُرْقُوبَ الرِّجْلِ فهو مُجَبَّبٌ

فإنْ تَجَاوَزَ البَيَاض إلى العَضُدَيْنِ أو الفَخِذَيْنِ فَهُوَ لَبَلَقُ مُسَرْوَل

فإنْ كَانَ البَيَاضُ بِيَدَيْهِ دُونَ رِجْلَيْهِ، فَهُوَ أعْصَمُ

فإنْ كَانَ البَيَاض بإحْدَى يَدَيْهِ دُونَ الأخْرَى قِيلَ أعْصَمُ اليُمْنَى أو اليُسْرَى

فإنْ كَانَ البَيَاضُ في يَدَيْهِ إلى مِرْفَقَيْهِ دُونَ الرِّجْلَيْنِ، فهو أقْفَزُ وأرْفَقُ

فإنْ كَانَ البَيَاض بِرِجْلِهِ دُوْنَ اليَدِ فَهُوَ مُحَجَّلُ الرِّجْلِ اليُمنَى اَو اليُسْرَى

فإنْ كَانَ البَيَاضُ مُتَجَاوزاً للأرْسَاغِ في ثَلاثِ قَوَائِمَ دُونَ رجْل أوْ دُونَ يَدٍ، فهوَ مُحَجَّلُ ثَلاثٍ مُطْلَقُ يَدٍ أوْ رجْل،،، فإنْ كَانَ البَيَاض برجْل واحدةٍ فَهُوَ أرْجَل

فإنْ لَمْ يَسْتَدِر البَيَاضُ وَكَانَ في مَآخِير أرْسَاغِ رِجْلَيْهِ أو يَدَيْهِ فَهُوَ مُنْعَلُ رجْل كَذَا، أوْ يَدِ كَذَا، أو اليَدَيْنِ أو الرِّجْلَيْنِ

فَإِنْ كَانَ بَيَاضُ التَّحْجِيلِ في يَدٍ وَرِجْلٍ مِن خِلَافٍ فَذَلِكَ الشَّكَالُ، وهو مَكْرُوهٌ

فإنْ كَانَ أبْيَضَ الثُّنَنِ وهي الشُّعُورُ الـمُسْبَلَةُ في مَآخِيرِ الوَظِيفِ على الرُّسْغِ، فَهُوَ أكْسَعُ

فإنِ أبْيَضَّتِ الثُّنَنُ كُلُّهَا ولَمْ تَتَّصِلْ بِبَيَاضِ التَّحْجِيلِ، فَهُوَ أصْبَغٌ

فإنْ كَانَ أبْيَضَ الذَّنَبِ، فَهُوَ أشْعَلُ.

(يَتّصِلُ بِهِ في تَفْصِيلِ ألْوَانِهِ وشِيَاتِهِ عَلَى ما يُسْتَعْمَلُ في دِيوَانِ العَرْضِ)

إذا كَانَ أسْوَدَ فَهُوَ أدْهَمُ،، فإذا أشْتَدَّ سَوَادُهُ فَهُوَ غَيْهَبِي

فإذا كَانَ أبْيَضَ يُخَالِطُهُ أدْنَى سَوَادٍ فَهُوَ أشْهَب

فإذا نَصعَ بَيَاضُه وَخَلَصَ مِنَ السَّوَادِ فَهُوَ أشْهَبُ قِرْطَاسِيّ،، فإنْ كَانَ يَصْفَرُّ فَهُوَ أشْهَبُ سَوْسَنِيّ،،، فإذا غَلَبَ السَّوادُ وَقَلَّ البَيَاض فَهُوَ أحَمُّ

فإذَا خَالَطَ شُهْبَتَه حُمْرَة فَهُوَ صِنَابِيّ،،، فإذا كَانَتْ حُمْرَتُه في سَوَادٍ، فَهُوَ كُمَيْت

فإذا كَانَ أحْمَرَ مِنْ غَيْر سَوادٍ، فَهُوَ أشْقَرُ،،، فإذا كَانَ بين الأشْقَر والكُمَيْتِ، فَهُوَ وَرْد

فإذا اشْتَدَّتْ حُمْرَتُهُ فَهُوَ أشْقَرُ مُدَمَّى،،، فإذا كَانَ دِيْزَجاً فَهُوَ اَخْضَرَ،،، فإذا كَانَ سَوَادُهُ في شُقْرَةٍ فَهُوَ أدْبَس،، فإذا كَانَتْ كُمْتَتُه بين البَيَاضِ وَالسَّوادِ فَهُوَ وَرْد أغْبَس، وَهُوَ السَّمَنْدُ بالفارسِيَّةِ

فَإذا كَانَ بَيْنَ الدُّهْمَةِ والخُضْرَةِ، فَهُوَ أحْوَى

فإذا قَارَبَتْ حُمْرَتُه السَّوَادَ، فَهُوَ أصْدَا مَأْخُوذٌ مِن صَدَإٍ الحَدِيدِ

فإذا كَانَ مُصْمَتاً لا شِيَةَ بِهِ وَلا وَضَحَ أيَّ لَوْنٍ كَانَ فَهُوَ بَهِيع

فإذا كَانتْ بِهِ نُكَت بيض وأخْرَى أيَّ لونٍ كَانَ فَهُوَ أبْرَشُ

فإذا كَانَتْ بِهِ نقط سُود وبيض فَهُوَ أنْمَشُ، فإذا كَانَتْ بِهِ نُكَت فَوْقَ البَرَشِ فَهُوَ مُدَنَّرٌ

فإذا كانَتْ بِهِ بقَع تُخَالِفُ سائِرَ لَوْنِهِ فَهوَ أبْقَعُ.

(في تَرْتِيبِ السَّوَادِ عَلَى التَّرْتِيبِ والقِيَاسِ والتَّقْرِيبِ)

أَسْوَدُ وأَسْحَمُ،،، ثمَّ جَوْن وَفَاحِم،،، ثُمَّ حَالِك وحَانِك،،، ثُمَّ حَلَكُوكٌ وَسُحْكُوك،،، ثُـم خُـدَارِيٌّ وَدَجُوجِي،،، ثُمَّ غِرْبِيبٌ وغُدَافِيّ.

(في تَرْتِيبِ سَوَادِ الإِنْسَانِ)

إذا علَاهُ أَدْنَى سَوَادٍ فَهُوَ أسْمَرُ، فإنْ زَادَ سَوَادُه مَعَ صُفْرَةٍ تَعْلُوه فَهوَ أصْحَمُ

فإنْ زَادَ سَوَادُهُ علَى السُّمْرَةِ فَهُوَ آدَمُ،، فإنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ أَسْحَمُ

فإن اشْتَدَّ سَوَادُهُ فَهُوَ أدلَمُ.،،،

(في تَقْسِيمِ السَّوَادِ عَلَى أشْيَاءَ تُوصَفُ بِهِ مَعَ اخْتِيَارِ أفْصَحِ اللُّغَاتِ)

لَيْل دَجُوجِيّ،،، سَحَابٌ مُدْلَهِمٌّ،،، شَعْر فَاحِم،، فَرَس أدْهَمُ،، عَيْن دَعْجَاء،، شَفَة لَعْسَاءُ

نَبْت أحْوَى،، وَجْهٌ أكْلَفُ،، دُخَان يَحْمُوم.،،،

(في لَوَاحِقِ السَّوَادِ)

أخْطَـبُ،،، أغْبَشُ،،،أغْبَـرُ، قَاتِم،،أصْـدَا،،أحْوَى،، أكْهَـبُ،، أرْ بَـدُ،، أغْثَـرُ،، أدْ غَمُ،،أظْمَـى،،، أوْرَقُ،،، أخْصَفُ.

(في ألْوَانٍ مُتَقَارِبَةٍ)

الصُّهْبَةُ حُمْرَة تَضْربُ إلى بَيَاضٍ،،، الكُهْبَةُ صُفْرَة تَضْربُ إلى حمْرَةٍ

القُهْبَةُ سَوَاد يَضْرِبُ إلَى خُضْرَةٍ،،، ا لدُّكْنَةُ لَوْن إلَى الغُبْرَةِ بين الحُمْرَةِ والسَّوَادِ

الكُمْدَةُ لَوْنٌ يَبْقَى أَثَرُه ويزول صفَاؤُه، يُقَالُ: أكْمَدَ القَصَّارُ الثَّوْبَ إذَا لم يُنْقِ بَيَاضَهُ

الشُّرْبَةُ بَيَاض مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ،،، ا لشُهْبَةُ بَيَاضٌ مُشْرَبٌ بِأدْنَى سَوَادٍ

ا لعُفْرَةُ بَيَاض تَعْلُوه حُمْرَةٌ،، الصُّحْرَةُ غُبْرَةٌ فِيها حُمْرَة

الصُّحْمَةُ سَوَادٌ إلى صُفْرَةٍ،،، ا لدُّبْسَةُ بين السَّوَادِ والحُمْرَةِ

القُمْرَةُ بَيْنَ البَيَاضِ وَالغُبْرَةِ،،، الطُّلْسَةُ بَيْنَ السَّوادِ والغُبْرَة.

(في تَقْسِيمِ الأوْصَافِ بالعِلْمِ والرَجَاحَةِ والفَضْلِ والحِذْقِ عَلَى أصْحَابِهَا)

عَالِم نِحْرِير،،، فَيْلَسُوف نِقْرِيسٌ،،، فَقِيه طَبِن،،، طَبِيب نِطَاسِيّ،،، سَيِّد أيِّد،،، كَاتِب بَارع

خَطِيب مِصْقَع،،، صَانِع مَاهِرٌ،،، قَارِئٌ حَاذِق،،، دَلِيل خِرِيت،،، فَصِيع مِدْرَهٌ،،،

شَاعِر مُفْلِقٌ،،، دَاهِيَةٌ بَاقِعَة،،، رَجُل مِفَنٌّ مِعَنّ،،، مُطْرٍ ظَرِيف،،،عَبق لَبِق

شُجَاعٌ أهْيَس ألْيَس،،، فَارس ثَقِف لَقِف.

(في تَفْصِيلِ حَرَكَاتِ اليَدِ وأشْكَالِ وَضْعِهَا وتَرْتِيبها)

(قَدْ جَمَعْتُ في هَذَا الفَصْلِ بَيْنَ مَا جمَعَ حَمْزَةُ الأصْبهاني، وَبَيْنَ

مَا وَجَدْتُه عَنِ اللِّحْيَاني، وَعَنْ ثَعْلَبٍ عَنِ ابْنِ الأعْرَابي وَغَيْرِهِمَا)

إذَا نَظَرَ إنْسَانٌ الى قَوْمٍ في الشَّمْسِ فألصَقَ حَرْفَ كَفِّهِ بِجَبْهَتِهِ فَهُوَ الاسِتكْفَافُ

فَإنْ زَادَ فِي رَفْعِ كَفِّهِ عَنِ الْجَبْهَةِ فَهُوَ الاسْتِشْفَافُ

فإنْ كَانَ أرْفَعَ مِن ذَلِكَ قَلِيلا فَهُوَ الاسْتِشْرَافُ

فإذا جَعَلَ كَفَّيْهِ على المِعْصَمَيْنِ فَهُوَ الاعْتِصامُ

فإذا وَضَعَهُمَا على العَضُدَيْنِ فَهُوَ الاعْتِضَادُ

فإذا حرَّكَ السَّبَّابَةَ وَحْدَها فَهُوَ الإلوَاءُ. قالَ مُؤلِّفُ الكِتَابِ: وَلَعَلَّ اللَّيَّ أحْسَنُ فَإنَّ البُحتُريّ يَقُول (من المتقارب) :

لَوَى بالسَّلامِ بَناناً خَضِيبَا وَلَحْظاً يَشُوقُ الفُؤَادَ الطَّرُوبَا

فإذا دعَا إنْساناً بكَفِّهِ قَابِضاً أصابِعَها إليه، فَهُوَ الإيمَاءُ

فإذا حرَكَ يَدَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَأشَارَ بِهَا إلَى مَا خَلْفَهُ أنْ كُفَّ فهو الإيباءُ

فإذا أقام أصَابِعَهُ وضَمَّ بينها في غَيْرِ الْتِزَاقٍ فهو العِقَاصُ

فإذا جَعَلَ كَفَّهُ تُجاه عينِهِ اتِّقاءً مِنَ الشَّمْسِ فَهُوَ النِّشارُ

فإذا جَعَلَ أصَابعَهُ بَعْضَهَا في بَعْض فَهُوَ الـمُشَاجَبَةُ

فإذا ضَرَبَ إحْدَى رَاحَتَيْهِ عَلَى الأخْرَى فَهُوَ التَّبَلُّدُ

قَالَ مُؤَلِّفُ الكِتَابِ: التّصْفِيقُ أحْسَنُ وأشْهَرُ مِنَ التّبَلُّدِ

فإذا ضَمَّ أصَابِعَهُ وَجَعَلَ إبْهامَه عَلَى السَّبَّابَةِ وأدْخَلَ رُؤُوسَ الأصَابعِ فِي جَوْفِ الكَفِّ كَمَا يَعقِدُ حِسَابَهُ على ثَلاثَةٍ وأرْبَعِينَ فَهِيَ القَبْضَةُ

فإذا ضَمَّ أطْرَافَ الأصَابعِ فَهِيَ القَبْصَةُ

فإذا أخَذَ ثَلاثِينَ فَهِيَ البَزْمَةُ

فإذا أخذ أرْبَعِينَ وَضَمَّ كَفَّهُ عَلَى الشّيْءِ فَهُوَ الحَفْنَةُ

فإذا جَعَلَ إبْهَامَهُ في أصولِ أصَابِعِهِ مِنْ بَاطِنٍ فَهُوَ السّفْنَةُ

فإذا حَثَا بِيَدٍ وَاحِدَةٍ فَهِيَ الحَثْيَةُ

فإذا حَثَا بِهِمَا جَمِيعاً فَهِيَ الكَثْحَةُ

فإذا جَعَلَ إبْهَامَهُ عَلَى ظَهرِ السَّبَّابَةِ وأصَابِعَهِ في الرَّاحَةِ فَهُوَ الجُمحُ

فإذا أدَارَ كَفَّيْهِ مَعاً وَرَفَعَ ثَوْبَهُ فألْوَى بِهِ فَهُوَ اللَّمْعُ

فإذا أخْرَجَ الإبْهامَ مِنْ بين السَّبَّابَةِ والوُسْطَى ورَفَعَ أصابِعَهُ عَلَى أصلِ الإبْهامِ كَمَا يأخُذُ تِسْعَةً وعشرينَ وأضْجَعَ سَبَّابَتَهُ عَلَى الإبْهَام فهو القَصْعُ

فإذا قَبَضَ الخِنْصرَ وَالبِنْصرِ وأقامَ سَائِرَ الأصابعِ كَأنَه يأكُلُ فَهُوَ القَبْعُ

فإذا نَكَّسَ أصابِعَهُ وَأقَامَ أصُولَهَا فَهُوَ القَفْعُ

فإذا أدارَ سبَّابَته وَحْدَهَا وَقَدْ قَبَضَ أصابِعَهُ فَهُوَ الفَقْعُ

فإذا جَعَلَ أصَابِعَهُ كُلَّها فَوْقَ الإبْهَامِ فَهُوَ العَجْسُ

فإذا رَفَعَ أصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى أصلِ الإبْهَامِ عَاقِداً عَلَى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ فَهُوَ الضَّفُ

فإذا جَعَلَ الإبْهَامَ تَحْتَ السَّبَّابَةِ كَأنَّهُ يأخُذُ ثَلاثَةً وَسِتِينَ فَهُوَ الضَّبْثُ

فإذا قَبَضَ أصابِعَهُ ورَفَعَ الإبْهَامَ خَاصَّةً فَهُوَ الضُّوَيْطُ

فإذا رَفَعَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلاً بِبُطُونِهِمَا وَجهَهُ لِيَدْعُوَ فَهُوَ الإقْنَاعُ

فإذا وَضَعَ سَهْماً عَلَى ظفرِهِ وَادارَه بِيَدِهِ الأخْرَى لِيَسْتَبِينَ لَهُ اعْوِجَاجُهُ مِنَ اسْتِقَامَتِهِ فَهُوَ التَّنْقِيزُ

فإنْ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ الشَّيءِ كَمَا يَمُدُّ الصُّبْيَانُ أيْدِيَهُم إذا لَعِبُوا بالجَوْزِ فَرَمَوْا بِهَا فِي الحُفْرَةِ فَهُوَ السَّدْوُ (والزَّدْوُ لُغَةٌ صِبْيَانِيَّةٌ في السَّدْو)

فإذا قَامَ بِظُفْرِ إبْهَامِهِ عَلَى ظُفْرِ سَبَّابَتِهِ ثُمَّ قَرَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ: وَلا مِثْلَ هَذَا فَهُوَ الزِّنْجِيرُ، ويُنْشَدُ (من الهزج):

وأرْسَلْتُ إلى سَلْمَى بأنَّ النَّفْسَ مَشْغُوفَهْ

فَمَا جَادَتْ لَنَا سَلْمَى بِزِنْجِيرٍ ولا فُوفَهْ

إذا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الشَّيءِ يكونُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الخِوَانِ كَيْلا يَتَنَاوَلَهُ غَيْرُهُ فَهُوَ الجَرْدَبَانُ وينشد (من الوافر):

إذا مَا كُنْتَ في قَوْمٍ شَهَاوَى فلا تَجْعَلْ شمالكَ جَرْدَبانا

فإذا بَسطَ كَفَّه لِلسُّؤَالِ فَهُوَ التَّكَفُّفُ، وفي الحديث: (لأنْ تَتْرُكَ ولْدكَ أغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَتْرُكهم عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ).

(في تَفْصِيلِ أسْمَاءِ التّرَابِ وَصِفَاتِهِ)

الصَّعِيدُ تُرَابُ وَجْهِ الأرْض

البَوْغَاءُ والدَّقْعَاءُ التُرَابُ الرِّخْوُ الرَّقِيقُ الذِي كَأنَهُ ذَرِيرَة

الثَرَى التُّرَابُ النَّدِيُّ، وهو كل تُرَابٍ لا يَصِيرُ طِيناً لازِباً إذا بُلَ

الـمُورُ التُّرَابُ الذِي تَمُورُ بِهِ الرِّيحُ

الهَبَاءُ التُّرَابُ الذَي تُطَيِّرُهُ الرِّيحُ فَتَرَاهُ عَلَى وُجُوهِ النَّاسِ وجُلُودِهِمْ وثِيَابِهِمْ يَلْتَزِقُ لُزُوقاً، عَنِ ابْنِ شُمَيْل

الهَابِي الذي دقّ وارْتَفَعَ، عَنِ الكِسَائِيّ

السَّافِيَاءُ التُّرَابُ الذِي يَذْهَبُ في الأرْضِ مَعَ الرِّيحِ

النَّبِيثَةُ التُّرَابُ الذِي يَخرُجُ مِنَ البِئْرِ عند حَفْرِهَا

الرَّاهِطَاءُ والدُّمَّاءُ التُّرَابُ الذِي يُخْرِجُهُ اليَرْبُوعُ مِنْ جُحْرِهِ وَيجْمَعُهُ

الجُرْثُومَةُ التُّرَابُ الذِي تَجْمَعهُ النَّمْلُ عِنْدَ قَرْيَتِها

العَفَاءُ التُّرَابُ الذِي يُعَفِّي الآثَار

وَكَذَلِكَ العَفَرُ

الرَّغَامُ التُّرَابُ الـمُخْتَلِطُ بالرَّمْلِ

السَّمَادُ التُّرَابُ الذِي يُسَمَّدُ بِهِ النَّبَاتُ

فإذا كَانَ مَعَ السِّرْقِينِ فَهُوَ الدَّمَالُ (بالفَتْح).

(في تَفْصِيلِ أسْمَاءِ الغُبَار وأوْصَافِهِ)

النَّقْعُ والعَكُوبُ الغُبَارُ الذِي يَثُورُ مِنْ حَوَافِرِ الخَيْلِ وأخْفَافِ الإبِلِ

العَجَاجَةُ الغُبَارُ الذِي تُثِيرُه الرِّيحُ،،، الرَّهَجُ والقَسْطَلُ غُبارُ الحَرْبِ

الخَيْضَعَةُ غُبارُ الـمَعْرَكَةِ، العِثْيَرُ غبَارُ الأقْدَامِ، الـمَنِينُ مَا تَقَطَّعَ مِنْهُ.

(في تَفْصِيلِ أسْمَاءِ الطِّينِ وأوْصَافِهِ)

إذا كَانَ حرًا يابِساً، فَهُوَ الصَّلْصَالُ،،، فَإذا كَانَ مَطْبُوخاً، فَهُوَ الفَخَّارُ، فإذا كَانَ عَلِكاً لاصِقاً، فَهُوَ اللاَّزِبُ،،، فإذا غَيَّرَه الـمَاءُ وَأفْسَدَه، فَهُوَ الحَمَأُ (وقَدْ نَطَقَ بِهَذِهِ الأسْمَاءِ الأرْبَعَةِ القُرْآنُ)،،، فإذا كَانَ رَطْباً، فَهُوَ الثَّأْطَةُ والثُّرْمُطَةُ والطَّثْرَةُ، وفي الـمَثَل: (ثَأْطَةٌ مُدَّتْ بِمَاءٍ)، يُضْرَبُ للأمْرِ الفاسِدِ يَزْدادُ فساداً،،، فإذا كَانَ رَقِيقاً، فَهُوَ الرِّداغُ،،، فإذا كَانَ تَرْتَطِمُ فيه الدَّوابُّ، فَهُوَ الوَحَلُ،،، وَأشَدُّ منه الرَّدْغَةُ والرَّزَغَةُ،،، وَأشَدُّ مِنْهُمَا الوَرْطَةُ (تقعُ فيها الغَنَمُ فَلاَ تَقْدِرُ عَلَى الـتَّخَلُّصِ مِنْهَا ثُمَّ صارَتْ مَثَلاً لِكُلِّ شِدَةٍ يَقَعُ فيهَا الإنْسانُ)

فإذا كَانَ حرًا طَيِّباً عَلِكاً وَفِيهِ خُضْرَة، فهي الغَضْراءُ،،، فإذا كَانَ مُخْتَلِطاً بِالتِّبْنِ، فَهُوَ السَّيَاعُ،،، فإذا جُعِلَ بين اللَّبِنِ، فَهُوَ المِلاَطُ.

(في تَفْصِيلِ الرِّمَالِ)

العَدَابُ ما اسْتَرَقَّ مِنَ الرَّمْلِ،،، الحَبْلُ ما اسْتَدَقَّ مِنْهُ،،، اللَّبَبُ ما انْحَدَرَ مِنْهُ،، الحِقْفُ مَا اعْوَجَّ مِنْهُ،،، الدِّعْصُ مَا اسْتَدَارَ مِنْهُ،،، العَقِدُ مَا تَعَقَّدَ مِنْهُ،،، العَقَنْقَلُ ما تَرَاكمَ وَتَرَاكَبَ مِنْهُ

السِّقْطُ مَا جَعَلَ يَنْقَطِعُ وَيَتَّصِلُ مِنْهُ،،، التَّيْهُورُ مَا اطْمَأَنَّ مِنْهُ،،، الشَّقِيقَةُ مَا انْقَطَعَ وغَلُظَ مِنْهُ

الكَثِيبُ والنَّقا مَا احْدَوْدَبَ وانْهَالَ مِنْهُ،،، العَاقِرُ مَا لا يُنْبِتُ شَيْئاً مِنْهُ،،، الهِدَمْلَةُ مَا كَثُرَ شَجَرُه مِنْهُ،،، الأوْعَسُ مَا سَهُلَ ولاَنَ مِنْهُ،،، الرَّغَامُ مَا لانَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِالذِي يَسِيلُ مِنَ اليَدِ

الهَيَامُ مَا لا يَتَمَالَكُ أي يَسِيلُ مِنَ اليَدِ لِلينِهِ مِنْهُ،،، الدَكْدَاكُ مَا التَبَدَ بالأرْضِ مِنْهُ،،، العَانِكُ مَا تَعَقَّدَ مِنْهُ حَتَّى لا يَقْدِرُ البَعِيرُ عَلَى السَّيْرِ فِيهِ.

(في تَرْتِيبِ كَمِّيَّة الرِّمَالِ)

الرَّمْلُ الكَثِيرُ يُقَالُ لَهُ العَقَنْقَلُ،،، فإذا نَقَصَ، فَهُوَ كَثِيب،، فإذا نَقَصَ عَنْهُ، فَهُوَ عَوْكَل

فإذا نَقَصَ عَنْهُ، فَهُوَ سِقْط،،، فإذا نَقَصَ عَنْهُ، فَهُوَ عداب،،، فإذا نَقَصَ عَنْهُ، فَهُوَ لَبَب

فإذا كَانَتِ الرَّمْلَةُ مُجْتَمِعةً، فَهِيَ العَوْكَلَةُ،،، فإذا انْبَسَطَتْ وطَالَتْ، فَهِيَ الكَثِيبُ

فإذا انْتَقَلَ الكَثِيبُ من مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ بالرِّيَاحِ وبَقِيَ مِنْهُ شيء رَقِيق، فَهُوَ اللَّبَبُ

فإذا نَقَصَ مِنْهُ، فَهُوَ العَدَابُ.

أوصاف النساء عند العرب......

إذا كانت المرأة ضخمة في تعمد وعلى اعتدال فهي: رمجلة.
فإذا زاد ضخمها ولم تُقبح فيه: مسجلة.
فإذا كانت طويلة قيل: سبطة وعيطبول.
ذا كانَتْ بِهَا مَسْحَة مِن جَمَال فَهِيَ وَضِيئَة وجَمِيلَةٌ
فإذا أشْبَهَ بَعْضُهَا بَعْضاً في الحُسْنِ فهي حُسَّانَة
فإذا اسْتَغْنَت بِجَمَالِهَا عَنِ الزِّينَةِ فَهِيَ غَانِيَة
فإذا كَانَتْ لا تُبالِي أنْ لا تَلْبَسَ ثَوْباً حَسَناً ولا تَتَقَلَّدَ قِلادَةً فَاخِرَةً فَهِيَ مِعْطَال
فإذا كان حُسْنُهَا ثَابِتاً كأنَّهُ قَدْ وُسِمَ فَهِيَ وَسِيمَةٌ
فإذا قُسِمَ لَهَا حَظ وَافِر مِنَ الحُسْنِ فَهِيَ قَسِيمَة
فإذا كانَ النَّظَرُ إلَيْهَا يَسُرُّ الرُّوع فَهِي رَائِعَةٌ
فإذا غَلَبَتِ النِّسَاءَ بِحُسْنِهَا فَهِيَ بَاهِرَةٌ.
الصَّبَاحَةُ في الوَجْهِ
الوَضَاءَةُ في البَشَرَةِ
الجَمَالُ في الأنْفِ

الحَلاوَةُ في العَيْنَيْنِ
الـمَلاحَةُ في الفَمِ
الظَّرْفُ في اللِّسَانِ
الرَّشَاقَةُ في القَدِّ
اللَّبَاقَةُ في الشَّمَائِلِ
كَمَالُ الحُسْنِ في الشَّعْرِ.

(في تَفْصِيلِ أوْصافِ الشَّعْرِ)
شَعَرٌ جُفال إذا كَانَ كَثِيراً
وَوَحْف إذا كَانَ مُتَصِلاً
وَكَثّ إذا كَانَ كَثِيفاً مُجْتَمِعاً
ومُعْلَنْكِسٌ ومُعْلَنْكِك إذا زَادَتْ كَثَافَتُه، عَن الفَرَاءِ
ومُنْسَدِرٌ إذا كَانَ مُنْبَسِطاً
وسَبْط إذا كَانَ مُسْتَرْسِلاً
وَرَجْل إذا كَانَ غَيْرَ جَعْدٍ ولا سَبْطٍ
وَقَطَط إذا كَان شَدِيدَ الجُعُودَةِ
ومُقْلَعِطّ إذا زَادَ عَلَى القَطَطِ
ومُفَلْفَلٌ إذا كانَ نِهَايَةً في الجُعُودَةِ كشُعُور الزِّنْجِ
وسُخام إذا كَانَ حَسَناً لَيِّناً
وَمُغْدَوْدِنٌ إذا كَانَ نَاعِما طَوِيلاً، عَنْ أبي عُبَيْدَة.
والمرأة الرعبوبة: البيضاء.
الزهراء: التي يضرب بياضها إلى صفرة كلون القمر والبدر.
والهجان: الحسنة البياض.
هِيَ طِفْلَة مَا دَامَتْ صَغِيرَةً
ثُمَّ وَلِيدَةٌ إذَا تَحَرَّكَتْ
ثُمَّ كَاعِب إذا كَعَبَ ثَدْيُهَا
ثُمَّ نَاهد إذا زَادَ
ثُمَّ مُعْصِر إذا أَدْرَكَتْ

ثُمَّ عَانِس إذا ارْتَفَعَتْ عَنْ حَدِّ الإعْصَار
ثُمَّ خَوْد إذا تَوسَّطَتِ الشَّبَاب
ثُمَّ مُسْلِف إذا جَاوَزَت الأرْبَعِين
ثُمَّ نَصَف إذا كَانَتْ بَيْنَ الشَّبَاب والتَّعْجِيز
ثُمَّ شَهْلَة كَهْلَة إذا وَجَدَتْ مَسَّ الكِبَر وَفِيهَا بَقِيَّة وَجَلَدٌ
ثُمَّ شَهْبَرَة إذَا عَجَّزَتْ وَفِيها تَماسُك
ثُمَّ حَيْزَبُون إذَا صَارَتْ عَالِيَةَ السِّنِّ نَاقِصَةَ القوَّة
ثُمَّ قَلْعَم وَلطْلِطٌ إذا انْحَنَى قَدُّهَا وَسَقَطَتْ أسْنَانُهَا.

(في الحَاجِبِ)
مِنْ مَحَاسِنِهِ الزَّجَجُ والبلَجُ
ومِنْ مَعَائِبِهِ القَرَنُ والزَّبَبُ والـمَعَط
فَأمَّا الزَّجَجُ فَدِقَّةُ الحاجِبيْنِ وامتدادُهما حَتَّى كَأنَهُمَا خُطَّا بِقَلَم
وَأمَّا البَلَجُ فهو أنْ تَكُونَ بَيْنَهُمَا فُرْجَة، والعَرَبُ تَسْتَحِبُّ ذَلِكَ وَتَكْرَهُ القَرَنَ وهو اتِّصَالُهُمَا
والزَبَبُ كَثْرَة شَعْرِهِمَا
والـمَعَطَ تَسَاقُطُ الشَّعْر عَنْ بَعْضِ أجْزَائِهِمَا.
والزجّاء: الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خطا بقلم.
والبلج: أن يكون بينهما فرجه، وهو يستحب، ويكره القرن وهو اتصالهما.

(في مَحَاسِنِ العَيْنِ)
الدَّعَجُ أنْ تَكُونَ العَيْنُ شَدِيدَةَ السَّوَادِ مَعَ سَعَةِ الـمُقْلَةِ
البَرَجُ شِدَةُ سَوَادِهَا وَشِدَّةُ بَيَاضِهَا
النَّجَلُ سَعَتُهَا
الكَحَلُ سَوَاد جُفُونِهَا مِنْ غَيْرِ كُحْل
الحَوَرُ اتِّسَاعُ سَوَادِهَا كما هُوَ في أعْيُنِ الظِّبَاءِ
الوَطَفُ طُولُ أشْفَارِهَا وتمامُهَا. وفي الحَدِيثِ: أنَهُ (كَانَ في أشْفَارِهِ وَطَف)
الشُهْلَةُ حُمْرَة في سَوَادِهَا.

(في مَعَايبِها)
الحَوَصُ ضِيقُ العَيْنَين
الخَوَصُ غُؤُورُهُمَا مَعَ الضِّيق
الشَتَرُ انْقِلَابُ الْجَفْن
العَمَشُ أنْ لا تَزَالَ العَيْنُ تَسِيلُ وتَرمَصُ
الكَمَشُ انْ لا تَكَادُ تُبْصِرُ
الغَطَشُ شِبْهُ العَمَش
الجَهَرُ أنْ لا يُبْصِرَ نَهَاراً
العَشَا أنْ لا يُبصِرَ لَيْلاً
الخَزَرُ أنْ يَنْظُرَ بِمُؤخَر عَيْنِه
الغَضَنُ أنْ يَكْسِرَ عَيْنَه حَتَّى تَتَغَضَنَ جُفُونُهُ
القَبَلُ أنْ يَكُونَ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إلى أنْفِهِ، وَهُوَ أهْوَنُ مِنَ الحوَل، قالَ الشّاعِرُ: (من المديد):
أشْتَهِي في الطَفْلَةِ القَبَلاَ لا كثيراً يُشْبِهُ الحوَلا
الشُّطُورُ أنْ تَرَاهُ يَنْظُرُ إليْكَ وهُوَ يَنْظُرُ إلى غَيْركَ. وهُوَ قَرِيب مِنْ صِفَةِ الأحْوَل الذِي يقولُ مُتَبَجِّحاً بِحَولِهِ: (من الطويل):
حَمِدْتُ إلهي إذْ بُلِيتُ بِحُبِّهِ على حَوَل أغْنَى عن النَظَرَ الشزْرِ
نَظَرْتُ إليهِ، والرَّقيبُ يَخالُني نَظَرْتُ إليهِ، فاسْتَرَحْتُ مِنَ العُذْرِ
الشَّوَسُ أنْ يَنْظُرَ بإحْدَى عَيْنَيْهِ ويُمِيلَ وَجْهَهُ في شِقَ العَيْنِ الّتي يُرِيد انْ يَنْظُرَ بِهَا
الخَفَشُ صِغَرُ العَيْنَيْنِ وَضَعْفُ البَصَر، ويُقَالُ إنَهُ فَسَاد في العَيْنِ يَضِيقُ لَهُ الجَفْنُ مِنْ غَيْرِ وَجَع ولَا قَرْحٍ
الدَّوَشُ ضِيقُ العَيِنِ وَفَسَاد البَصَر
الإطْرَاقُ اسْتِرْخَاءُ الجُفُون
الجُحوظُ خُرُوجُ الـمُقْلَةِ وظُهُورِها مِنَ الحَجاج
البَخَقُ أنْ يَذْهَبَ البَصَرُ وَالعَيْنُ مُنْفَتِحَة
الكَمَهُ أنْ يُولَدَ الإنْسَانُ أعْمَى
البَخَصُ أنْ يَكُونَ فَوْقَ العَيْنَيْن أو تَحْتَهما لَحم نَاتِئٌ.

(في عَوَارِضِ العَيْنِ)
حَسَرَتْ عَيْنُه إذا اعترَاهَا كَلال من طوُلِ النَّظَرِ إلى الشَّيْءِ
زرَّتْ عَيْنُهُ إذا توقدتْ مِنْ خَوفٍ أو غَيْرِه
سَدِرتْ عَيْنُه إذَا لَمْ تَكَدْ تُبْصِرُ
اسْمَدرَّتْ عَيْنُهُ إذا لاحتْ لها سَمَادِيرُ (وهي ما يَتَراءى لَهَا مِنْ أشْبَاهِ الذُّبَابِ وغَيره عِنْدَ خَلَل يَتَخَلَّلُها)
قَدِعَتْ عَيْنُهُ إذا ضعفت مِنَ الإكْبَابِ عَلَى النَّظَر، عَنْ أبي زَيْدٍ
حَرِجَتْ عَيْنُهُ إذا حَارَتْ قَالَ ذو الرُّمَّةِ (من البسيط):
تَزْدادُ لِلْعَيْنِ إبْهَاجاً إذا سَفَرَتْ وتَحْرَجُ العَيْنُ فيها حِينَ تَنْتَقِبُ
هَجَّتْ عَيْنُهُ إذا غارَتْ
وَنَقْنَقَتْ إذَا زَادَ غُؤُورُهَا
وَكَذَلِكَ حَجَّلَتْ وَهَجَّجَتْ، عَنِ الأصْمَعِي
ذَهِبَتْ عَيْنُه إذا رأتْ ذَهَباً كَثِيراً فَحَارَتْ فِيه
شَخَصَتْ عَيْنُهُ إذا لَمْ تَكَدْ تَطْرِفُ مِنَ الحَيْرَةِ.

(في تَفْصِيلِ كَيْفِيَّةِ النَّظَر وهَيْئاتِهِ في اخْتِلاَفِ أحْوَالِه)
إذا نَظَرَ الإنْسانُ إلى الشّيْءِ بِمَجَامِعِ عَيْنِهِ قِيلَ رَمَقَه
فإنْ نَظَرَ إليهِ مِنْ جَانِبِ أذُنِهِ قِيلَ لَحَظَهُ
فإنْ نَظَرَ إليهِ بِعَجَلَةٍ قِيلَ: لَمَحَهُ
فإنْ رَمَاه بِبَصرهِ مَعَ حِدَّةِ نَظرٍ قيل: حَدَجَهُ بطَرْفِهِ، وفي حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللّه عنهُ: (حَدِّثِ القوْمَ مَا حَدَجُوكَ بأبْصَارِهِمْ)
فإنْ نظرَ إليهِ بِشِدَّةٍ وحِدَةٍ قيلَ: أرْشَقَهُ وأسفَّ النظَرَ اليهِ. وفي حدِيثِ الشَّعبيّ أنَهُ (كَرِهَ أنْ يُسِفَ الرَجُلُ نَظَرَهُ إلى أُمِّهِ وَأُخْتِهِ وابْنَتِهِ)
فإنْ نَظَرَ إليهِ نَظَرَ الـمُتَعَجِّبِ مِنْهِ والكَارِهِ لَهُ والـمُبْغِضِ إيَّاهُ قِيلَ: شَفَنَهُ وَشَفَنَ إليهِ شُفُوناً وشَفْناً
فإنْ أعارهُ لَحْظَ العَدَاوَةِ قيلَ نَظَرَ إليهِ شَزْرَاً
فإن نَظَرَ إليهِ بِعَيْنِ الـمَحبَّةِ قيلَ: نَظَرَ إليهِ نَظْرَةَ ذِي عَلَقٍ
فإنْ نَظَرَ إليهِ نَظَرَ الـمُسْتَثْبِتِ قيلَ: تَوَضَّحَهُ

فإنْ نَظَرَ إليهِ وَاضِعاً يَدَهُ عَلَى حَاجِبِهِ مُسْتَظِلاً بِهَا مِنَ الشَّمْسِ لِيَسْتَبِينَ الـمَنْظُورَ إليهِ قِيلَ: اسْتَكَفَّهُ واسْتَوْضَحَهُ واسْتَشْرَفَهُ

فإنْ نَشَرَ الثَّوْبَ وَرَفَعَهُ لِيَنْظُرَ إلى صَفَاقَتِهِ أو سَخَافَتِهِ أو يَرَى عَواراً، إنْ كَانَ بِهِ، قِيلَ اسْتَشَفَّهُ

فإنْ نَظَرَ إلى الشّيْءِ كاللَّمْحَةِ ثُمَّ خَفِيَ عَنْهُ قِيلَ: لاحَهُ لَوحَةً، كما قَالَ الشّاعِر: (من الطويل):

وهل تَنْفَعَنِّي لَوْحَة لَوْ أَلُوحُهَا

فإنْ نَظَرَ إلى جَمِيعِ مَا في الـمَكَانِ حَتّى يَعْرِفَهُ قِيل: نَفَضَهُ نَفْضاً

فإنْ نَظَرَ في كِتَابٍ أوْ حِسَابٍ لِيهذِّبَهُ أو لِيَستَكْشِفَ صِحتَهُ وَسقَمَهُ قِيلَ: تَصفَّحَهُ

فإنْ فَتَحَ جَمِيعَ عَيْنَيْهِ لِشِدَّةِ النّظَرِ قِيل: حَدَقَ

فإنْ لألأهُمَا قيلَ: بَرَّقَ عَيْنَيْهِ

فإنِ انقلبَ حِمْلاق عَيْنَيْهِ قِيلَ: حَمْلَقَ

فإنْ غَابَ سَوَادُ عَينَيْهِ مِنَ الفَزَعِ قِيل: بَرَّقَ بَصرَهُ

فإنْ فَتَحَ عَيْنَ مُفَزَّعٍ أو مُهَدَّدٍ قيلَ: حَمَّجَ

فإنْ بَالَغَ في فَتْحِها وَأَحَدَّ النّظَرَ عندَ الخَوْفِ قِيلَ: حَدَّجَ وَفَزع

فإنْ كَسرَ عَيْنَهُ في النَّظَرِ قِيلَ: دَنْقَسَ وطَرْفَشَ، عَنْ أبي عَمْرِو

فإنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ لا يَطْرِفُ، قِيلَ شَخَصَ، وفي القُرْآنِ الكريم: {شَاخِصَةَ أَبْصَارُ الَذِينَ كَفَرُوا} فإنْ أدَامَ النّظَرَ مع سُكُونٍ قيل: أَسْجَدَ، عَنْ أبي عَمْرِوِ أيضاً

فإنْ نَظَرَ إلى أُفُقِ الهِلالِ لِلَيْلَتِهِ لِيَراهُ قِيلَ: تَبَصَّرَهُ

فإنَّ أَتْبَعَ الشَّيءَ بَصرَهُ قِيلَ: أتأرَهُ بَصرَهُ.

في الأصول والرؤوس والأعضاء والأطراف وأوصافها وما يُتَوَلّدُ مِنْهَا ومَا يَتّصِلُ بِهَا ويُذكَرُ مَعَهَا

(في تَفْصِيلِ أَوْصَافِهَا الـمَحْمُودَةِ والـمَذْمُومَة)

[الأنوف]

الشَّمَمُ ارتفاعُ قَصَبَةِ الأنْفِ مَعَ اسْتِوَاءِ أعْلاهَا

القَنَا طُولُ الأنْفِ ودِقّةُ أَرْنَبَتِهِ وحَدْبٌ في وَسَطِهِ

الفَطَسُ تَطَامُنُ قَصَبَتِهِ مَعَ ضِخَمِ أَرْنَبَتِهِ

الخَنَسُ تَأَخُّرُ الأنْفِ عَنِ الوَجْهِ

الذَّلَفُ شُخُوصُ طَرَفِهِ مَعَ صِغَرِ أرْنَبَتِهِ
الخَشَمُ فُقْدَانُ حاسَّةِ الشَّمِّ
الخَرَم شَقٌّ في المِنْخَرِين
الخَثَمُ عِرَضُ الأنْفِ، يقالُ: ثَوْرٌ أخْثَمُ
القَعَمُ اعْوجَاج الأنْف.

(في مَحَاسِنِ الأسْنَانِ)
الشَّنَبُ رقَّةُ الأسْنانِ واسْتِواؤُها وحُسْنُها
الرَّتَلُ حسْنُ تَنْضِيدِها واتِّساقِها
التَّفْلِيجُ تفرُّجُ ما بَيْنَها
الشَّتَتُ تفرُّقُها في غَيْر تباعُدٍ، بلْ في اسْتِوَاءٍ وحُسْنٍ. وُيقالُ مِنْهُ: ثَغْرٌ شَتِيتٌ إذَا كَانَ مُفَلَّجاً أبْيَضَ حَسَناً
الأشْرُ تحزيز في أطْرَافِ الثَّنَايَا يَدلُّ على حَداثَةِ السِّنِّ وقُرْبِ الـمَوْلِدِ
الظَلْمُ الماءُ الّذِي يَجْرِي عَلَى الأسْنَانِ مِنَ البَرِيقِ لا مِنَ الرِيقِ.

(في مَعَايِبِ الفَمِ)
الشَّدَق سَعَةُ الشِّدْقَيْنِ
الضَّجَمُ مَيْلٌ في الفَمِ وفيما يَلِيهِ
الضَّزَزُ لُصُوقُ الحَنَكِ الأعْلَى بالحَنَكِ الأسْفَلِ
الهَدَلُ اسْتِرْخَاءُ الشَّفَتَيْنِ وغِلَظُهُما
اللَّطَعُ بَيَاضٌ يَعْتَرِيهِما
القَلَبُ انْقِلابُهُمَا
الجَلَعُ قُصُورُهما عَنِ الانْضِمَامِ، وكَانَ مُوسَى الهادِي أجْلَعَ فَوَكَّلَ بِهِ أبُوهُ الـمَهدِيُ خادِماً لا يَزَالُ يَقُولُ لَهُ: مُوسَى أطْبِقْ. فَلُقِّبَ به
البَرْطَمَةُ ضِخَمُهَا.

(في أوْصَافِ العُنُقِ)
الجَيَدُ طولُها
التَّلَعُ إشْرَافُها

الهَنَعُ تَطَامُنُها
الغَلَبُ غِلَظها
البَتَعُ شِدتُها
الصَّعَرُ مَيْلُها
الوَقَصُ قِصرُها
الخَضَعُ خُضُوعُها
الحَدَلُ عِوَجُها.

(في أوْصَافِ البَطْنِ)
الدَّحَلُ عِظَمُهُ
الحَبَن خُرُوجه
الثَّجَل اسْتِرْخَاؤُهُ
القَمَلُ ضِخَمُهُ
الضُّمُورُ لَطافَتُهُ
البَجَرُ شُخُوصُهُ
التَخَرْخُرُ اضطرَابُهُ من العِظَمِ، عَنِ الأصْمَعِيّ.

(في تَفْصِيلِ الأوْصافِ الـمَحْمُودَةِ في مَحَاسِنِ خَلْقِ الـمَرْأةِ)
إذَا كَانَتْ شَابَّةً حَسَنَةَ الخَلْقِ فَهِيَ خَوْد
فَإذا كَانَتْ جَمِيلَةَ الوَجهِ حَسَنَةَ الـمَعْرَى فَهِيَ بَهْكَنَة
فإذا كانَتْ دَقِيقَةَ الـمَحَاسِنِ فَهِيَ مَمْكُورَة
فإذا كانَتْ حَسَنَةَ القَدِّ لَيِّنَةَ القَصَبِ فَهِيَ خَرعَبَة
فَإذا لَمْ يَرْكَبْ بَعْضُ لَحْمِهَا بَعْضاً فَهِيَ مُبَتَّلَة
فإذا كَانَتْ لَطِيفَةَ البَطْنِ فَهِيَ هَيْفَاء وَقَبَّاءُ وَخُمْصَانَة
فإذا كانَتْ لَطِيفَةَ الكَشْحَين فَهِيَ هَضِيمٌ
فَإذا كَانَتْ لَطِيفَةَ الخَصرِ مَعَ امْتِدادِ القَامَةِ فَهِيَ مَمْشُوقَة
فإذا كَانَتْ طَويلة العُنُقِ في اعْتِدَال وحُسْنٍ فَهِيَ عُطْبُولٌ
فإذا كانَتْ عَظِيمَةَ الوَركَيْنِ فَهِيَ وَرْكَاءُ وهِرْكَوْلَةٌ

فَإذا كَانَتْ عَظِيمَةَ العَجِيزَةِ فَهِيَ رَدَاح
فإذا كَانَتْ سَمِينَةً مُمْتَلِئَةَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ فَهِيَ خَدلَّجَة
فإذا كَانَتْ تَرْتَجُّ من سِمَنها فَهِيَ مَرْمَارَةٌ
فإذا كَانَتْ كَأَنَّها تَرعُدُ مِنَ الرُّطُوبَةِ والغَضَاضَةِ فَهِيَ بَرَهْرَهَة
فإذا كَانَتْ كَأَنَّ الماءَ يَجْرِي في وَجْهِهَا من نَضْرَةِ النِّعْمَةِ فَهِيَ رَقْرَاقَة
فإذا كَانَتْ رَقِيقَةَ الجِلْدِ نَاعِمَةَ البَشَرَةِ فَهِيَ بَضَّة
فإذا عُرِفَتْ في وجْهِهَا نَضْرَةُ النَّعِيم فَهِيَ فُنُق
فإذا كان بها فُتُور عِند القِيَام لِسِمَنِهَا فَهِيَ أَنَاة ووَهْنَانَةٌ
فَإذا كَانَتْ طَيِّبَةَ الرِّيح فَهِيَ بَهْنَانَة
فَإذا كَانَتْ عَظِيمَةَ الخَلْقِ مَعَ الجَمال فَهِيَ عَبْهَرَة
فإذا كَانَتْ نَاعِمَة جَمِيلَةً فهي عَبْقَرَة
فإذا كَانَتْ مُتَثَنِيةً من اللِّين والنَّعْمَةِ فَهِيَ غَيْدَاءُ وغَادَةٌ
فإذا كانَتْ طَيِّبَةَ الفَمِ فَهِيَ رَشُوف
فَإذا كَانَتْ طَيِّبَةَ رِيح الأنْفِ فَهِيَ أَنُوف
فإذا كَانَتْ طَيِّبَةَ الخَلْوَةِ فَهِيَ رَصُوفٌ
فَإذا كَانَتْ لَعُوباً ضَحُوكاً فَهِيَ شَمُوعٌ
فإذا كَانَتْ تَامَّةَ الشَّعْر فَهِيَ فَرْعَاءُ
فإذا لم يكُنْ لِمَرْفِقِها حَجْم مِن سِمَنِها فَهِيَ شَرْمَاءُ
فإذا ضَاقَ مُلْتَقَى فَخِذَيْهَا لِكَثْرَةِ لحمِها، فَهِيَ لَفَّاءُ.
فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي مملودة.
إذا كَانَتْ حَيِيَّةً فَهِيَ خَفِرَة وَخَرِيدَة
فإذا كَانَتْ مَنْخَفِضَةَ الصَّوْتِ فَهِيَ رَخِيمَة
فإذا كَانَتْ مُحِبَّةً لِزَوْجِها مُتَحَبِّبَةً إليهِ فَهِيَ عَرُوب
فإذا كَانَتْ نَفُوراً مِنَ الرِّيبَةِ فَهِيَ نَوَارٌ
فإذا كَانَتْ تَجْتَنِب الأقْذَارَ فَهِيَ قَذُورٌ
فإذا كَانَتْ عَفِيفَةً فَهِيَ حَصَان
فإذا أَحْصَنها زَوْجُهَا فَهِيَ مُحْصَنَةٌ

فإذا كانَتْ عَامِلَةَ الكَفَّيْنِ فَهِيَ صَنَاع
فَإذا كَانَتْ خَفِيفَةَ اليَدَيْنِ بالغَزْلِ فَهِيَ ذَرَاع
فإذا كَانَتْ كَثِيرَةَ الوُلْدِ فَهِيَ نَثُورٌ
فإذا كَانَتْ قَلِيلَةَ الأوْلادِ فَهِيَ نَزُورٌ
فإذا كَانَتْ تَتزَوَّجُ وابْنُهَا رَجُل فَهِيَ بَرُوك
فإذا كَانَتْ تَلِد الذُّكُورَ فَهِيَ مِذْكَارٌ
فإذا كَانَتْ تَلِد الإناثَ، فَهِيَ مِئْنَاثٌ
فإذا كَانَتْ تَلِدُ مَرَّة ذَكَراً ومَرَّةً أنثَى فَهِيَ مِعْقَاب
فإذا كَانَتْ لا يعِيشُ لها وُلْدٌ فَهِيَ مِقْلاتٌ
فإن أتَتْ بتَوْأمَيْنِ فَهِيَ مِتْآمٌ
فإذا كَانَتْ تَلِدُ النُّجباءَ فَهِيَ مِنْجَابٌ
فإذا كَانَتْ تَلِدُ الحَمْقَى فَهِيَ مِحْمَاق
فإذا كَانَتْ يُغْشَى عليها عِنْدَ البِضَاعِ فَهِيَ رَبُوخُ
فإذا كَان لها زَوْجٌ ولَها وَلَدٌ من غيرهِ فهيَ لَفُوتٌ
فإذا كَانَ لِزَوْجِهَا امْرَأتَانِ وهيَ ثَالِثَتُهما فَهِيَ مُثْفَاة، شبِّهَتْ بأثَافِي القِدْر
فإذا مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا أوْ طَلَقَهَا فَهِيَ مُرَاسِلٌ، عَنِ الكِسَائِي
فإذا كَانَتْ مُطَلَّقَةً فهيَ مَرْدُودَة
فإذا مَاتَ زَوْجُهَا فهي فَاقِد
فإذا مَاتَ وَلَدُهَا فَهِيَ ثَكُول
فإذا تَرَكَتِ الزِّينَةَ لِمَوْتِ زَوْجِهَا فَهِيَ حَادّ وَمحِدٌّ
فإذا كَانَتْ لا تَحْظَى عِند أزْوَاجِهَا فَهِيَ صَلِفَةٌ
فإذا كَانَتْ غيرَ ذَاتِ زَوْج فَهِيَ أيِّمٌ وعَزَبَة وَأرْمَلَة وفَارِغة
فإذا كَانَتْ ثَيِّباً فَهِيَ عَوَان
فإذا كَانَتْ بخَاتَم ربِّهَا فَهِيَ بِكْر وَعَذْرَاءُ
فإذا بَقِيَتْ في بَيْتِ أبَوَيْها غَيْرَ مُزَوَّجةٍ فَهِيَ عَانِسٌ
فإذا كَانَتْ عَرُوساً فَهِيَ هَدِيٌّ
فإذا كَانَتْ جَلِيلَةً تَظْهَرُ للنَّاسِ وَيجْلِسُ إليها القَوْمُ فَهِيَ بَرْزَة

فإذا كَانَتْ نَصفاً عَاقِلَةً فَهِيَ شَهْلَةٌ كَهْلَة
فإذا كَانَتْ تُلْقي وَلَدَها وَهو مُضْغة فَهِيَ مُمْصِلٌ
فَإِذَا قَامَتْ عَلَى وَلَدِها بَعْدَ مَوْتِ زَوْجِها ولم تَتَزَوَّجْ فَهْيَ مُشْبِلَة
فإذا كَانَ يَنْزِلُ لَبَنُها من غير حَبَلٍ فَهِيَ مُحْمِلٌ
فإذا أَرْضَعَتْ وَلَدَهَا ثُمَّ تَرَكَتْهُ لِتُدرِّجَهُ إلى الفِطَامِ فَهِيَ مُعَفِّرَة.
فقه اللغة وسر العربية للثعالبي

ومن الاتساع أيضا:

(في حِكَايَةِ العَوَارضِ الّتِي تَعْرِض لأَلْسِنَةِ العَرَبِ) وهذا من اتساع اللغة

الكَشْكَشَةُ تَعْرِضُ في لُغَةِ تَمِيم، كقولهم في خِطَابِ المؤنَّثِ: ما الذي جَاءَ بِش؟ يُرِيدُونَ: بِكِ، وَقَرَأَ بَعْضُهُم: قَدْ جَعَلَ رَبُّش تَحْتَش سَرِيّاً، لقولِهِ تعالى: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}

الكَسْكَسَةُ تَعْرِضُ في لُغَةِ بَكْرٍ، و هي إلْحَاقُهُم لِكَافِ المؤنَّثِ، سِيناً عندَ الوقفِ، كقولهم: أكْرَمْتُكِسْ وبِكِسْ، يُرِيدون: أكرمتُكِ وبكِ

العَنْعَنَةُ تَعرِضُ في لغةِ تَمِيم، وهي إبدالُهم العَينَ مِنَ الهمْزَةِ كَقَوْلِهِمْ: ظَنَنْتُ عَنَّكَ ذَاهِب ؛ أي: أنَّكَ ذَاهِبٌ. و كما قال ذُو الرُّمَّةِ: (من البسيط):

أعَنْ توسَّمْتَ من خَرقاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيك مَسْجُومُ

اللَخْلَخَانِيَّة تَعْرِضُ في لُغَاتِ أعْرابِ الشَّحْر وعُمَان كَقَوْلِهِم: مَشَا اللّه كَانَ، يُرِيدُون مَا شَاءَ اللّهّ كَانَ

الطُّمْطُمانيَّةُ تعرضُ في لُغةِ حِمْيَر كَقَوْلِهِمْ: طَابَ امْهَوَاءُ، يُرِيدُونَ: طَابَ الهَوَاءُ.

التصريف:

الصـرف الميـزان الصـرفي: علـم تُعْـرَفُ بـه أبنيـةُ الكـلام (الاسـم – الفعـل –الحـرف) واشتقاقاتُه.

الكلمة في العربية قد تأتي: ثلاثية أو رباعية أ وخماسية أو سداسية.

ولما كانت الكلمات الثلاثية غالبة في اللغة العربية، جعل علماء الصرف ميزان الكلمة على ثلاثة أحرف، هي (الفاء والعين واللام) مجموعة في كلمة (فَعَلَ)، ويأخذ الميزان الصرفي (فعل) نفس حركات الكلمة الموزونة. فمثلا: (زَرَع)وزنها (فَعَلَ)،وهنا نطلق على الحرف (زاي) فاء الكلمة، والحرف (راء) عين الكلمة والحرف (عين) لام الكلمة، وكلمة: (زُرِع) وزنها (فُعِلَ).وكلمة(عَلِمَ) وزنها (فَعِلَ)، وكلمة (صَامَ) وزنها (فَعَلَ)، لأن أصلها (صَوَمَ)، وكلمة (عَدَّ) وزنها) فَعَلَ) وكلمة(عُدَّ) على وزن (فُعِلَ)، ولعلك لاحظت أننا نقوم بفك الحرفين المدغمين عند وزن الكلمة فالفعل (عَدّ)أصله (عَدَدَ) والفعل (عُدَّ) أصله (عُدِدَ).

هذا في الفعل الثلاثي، فماذا لو زاد الفعل عن ثلاثة أحرف؟

قد يكون الحرف الزائد أصليا، لا يمكن الاستغناء عنه، فهو من أصول الكلمة، مثل الفعل (زَلْزَلَ) الرباعي وكلمة (زَبَرْجَد) الخماسية،ففي هذه الحالة نقوم بإضافة حرف اللام ليقابل كل حرف زائد، فالكلمة الزائدة عن ثلاثة أحرف وحروف زيادتها أصلية مثل (وَسْوَسَ وزَلْزَلَ) يصير وزنها (فَعْلَلَ) بإضافة (لام) إلى الميزان الأصلي (فَعَلَ)، وكلمة (زَبَرْجَد)وزنها (فَعَلَّل)، بإضافة (لامين) إلى الميزان الأصلي (فَعَلَ).

قد يكون الحرف الزائد غير أصلي، يمكن الاستغناء عنه، فهو ليس من أصول الكلمة، مثل الفعل (قَاتَلَ) فهذا الفعل زيد على أصله (قتل) حرف الألف، في هذه الحالة ينزل الحرف الزائد كما هو في الميزان، فيكون وزن (قَاتَلَ) هو (فَاعَلَ)، و(انْتَصَرَ) (افْتَعَلَ) ؛ لأن أصله (نصر) فزيدت الألف والتاء، و(انهزم) (انفعل) ؛ لأن أصله (هزم)، فزيدت الألف والنون، و (اسْتَخْرَجَ) (اسْتَفْعَلَ)، لأن أصله (خرج) فزيدت الألف والسين والتاء، والفعل (اسْتَرَدَّ) وزنه (اسْتَفْعَلَ) ؛ لأن أصله (رَدَّ)، وكلمة (مُصْطَفَى) وزنها (مُفْتَعَل) ؛ لأن أصلها (صفو) وأصل كتابتها (مصتفو) فقلبت التاء طاء مناسبة للصاد وهو حرف مفخم، وقلبت الواو ألفا مقصورة ؛ لأنها جاءت متطرفة

بعد فتح، والفعل(قَتَّلَ) وزنه(فَعَّلَ) بتشديد العين، وهنا نلاحظ أن الفعل (قتّل) مزيد بالتضعيف، فنكرر في الميزان الحرف المقابل للحرف المكرر.

وحروف الزيادة كما حددها علماء الصرف: مجموعة في قولنا: اليوم تنساه / أو: سألتمونيها، أو هناء وتسليم، بالإضافة إلى (التضعيف).

هذا إذا كانت الكلمة مزيدة بحرف أو أكثر، فماذا لو حذف من الكلمة حرف، أو أكثر؟

إذا حذف من الكلمة حرف أو أكثر حذف ما يقابله في الميزان: فمثلا فعل الأمر (عُدْ) وزنه (فُلْ)؛ لأنه من الفعل (عاد) الثلاثي فلما حذف الحرف الأصلي الثاني حذف ما يقابله في الميزان وهو حرف العين، والفعل(كُلْ) على وزن (عُلْ) ؛لأن أصله(أكَلَ)، فلما حذف الحرف الأول الأصلي حذف ما يقابله في الميزان وهو حرف الفاء، والفعل (اسع) وزنه (افْعَ) ؛ لأن أصله (سعى) والألف الأولى زائدة فتنزل في الميزان كما هي، والفعل (يَصِفُ) وزنه (يَعِلُ)لأن أصله (وصف)والفعلان (قِ) و (عِ) وزنهما (عِ) ؛ لأن أصلهما (وَقَى، وَعَى) والكلمات (سِمَة وعِظَة وهِبَة) وزنها (عِلَة) ؛ لأنها من (وسم، وعظ، وهب)، وكلمة (أبٌ) وزنها (فعٌ)؛ لأنها من(أبو).

تعليق: الفرق بين الاشتقاق والتصريف كما يظهر أن الاشتقاق يكون بالاتيان على معنى عام لجذر وتشتق منه أسماء لا حصر لها تتعلق بشكل أو بآخر بهذا المعنى كالشجر، بينما التصريف أن تأتي على الجذر نفسه وتزيد عليه مقاطع معينة لتعطي معاني جديدة متعلقة بالجذر نفسه.

نموذج لمزج الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية ومقارنة بين الشعر والقرآن

الشعر العربي كنز عظيم للخيالات والصور والحركة والإيقاع والموسيقى والصخب وما شاكل تأمل عندما أراد أحد أعظم شعراء العربية على الاطلاق امرئ القيس أن يصف حصانه

ولقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

الرجل يصف حصانه وحركته في ساح الوغى يقول أنه يغتدي ولما تزال الطيور في أعشاشها على حصانه الذي يسميه قيد الأوابد أي الموت الزؤام،، حركة هذا الحصان أنه يكر ويفر ويقبل ويدبر وينحدر سريعا كما صخرة عظيمة تنحدر من شاهق يدفعها السيل فلا يستطيع أحد إيقاف اندفاعه،، وحتى يكون البيت جميلا كان لا بد من الموسيقى المصاحبة للمشهد فجاء امرء القيس بكلمات تحاكي ركض الخيل وأصلا اختار البحر العروضي الذي نظم البيت على أساسه موافقا لركض الخيل فقال:

مكر،، مفر،، مقبل،، مدبر

ولو قرأتها محاولا أن تحاكي ركض الخيل لرأيتها كصوت حركة الحصان في جريه فالبيت يعطيك الصورة الحية لحصان يركض في المعركة يكر ويفر ويقبل ويدبر في حركة واحدة مناورا.

تلاحظ خلو البيت من الألوان وخلوه من غير صورة واحده هي صورة حركة الحصان يقبل ويدبر، وقوة اندفاعه التي صورها بصورة الصخرة المنحدرة من عل. هذا البيت على جماله تعال نقارنه بعشر كلمات من القرآن الكريم في الموضوع نفسه لترى الفرق الهائل في الأسلوب والبلاغة: يقول الحق سبحانه:

[والعاديات ضبحا ** فالموريات قدحا ** فالمغيرات صبحا ** فأثرن به نقعا ** فوسطن به جمعا] أحص عدد كلمات البيت السابق تجدها عشرا وعدد كلمات هذه الآيات تجدها عشرا

هذه العشر كلمات ماذا حوت من طاقة بلاغية؟؟ أولا يقسم الحق سبحانه بالعاديات وهي الخيل التي تعدو منطلقة لساحة المعركة،، والقسم جاء بصيغة اسم الفاعل: والعاديات ضبحا والضبح النفس الحار الذي ينطلق من أنف الحصان وهو يركض مسرعا، ولما كان الوقت صبحا قبل أن تشرق الشمس وما في ذلك الوقت من برد الصباح كان يصاحب ركض الحصان البخار المتصاعد من فمه وتحس هنا صورة حصان يركض وهو ضبح والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون. وعن ابن عباس أنه حكاه فقال: أح أح. قال عنترة:

وَالْخَيْلُ تَكْدَحُ حِينَ تَضْـ ـبَحُ فِي حِيَاضِ المَوْتِ ضَبْحَا

والضبح يكون مع العدو الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة، ولكنه صوت نفس،

وفي اللسان: قال أبو إسحق: ضَبْحُ الخيل صوت أجوافها إذا عَدَت ؛ وقال أبو عبيدة: ضَبَحَتِ الخيلُ وضَبَعَتْ إذا عدت، وهو السير ؛ وقال في كتاب الخيل: هو أن يَمُدَّ الفرسُ ضَبْعَيْه إذا عدا حتى كأنه على الأرض طولاً ؛ يقال: ضَبَحَتْ وضَبَعَتْ.

وضَبَحَ القِدْحَ بالنار: لَوَّحَه،، وضَبَحَتْه الشمسُ والنار تَضْبَحُه ضَبْحاً فانْضَبَحَ لَوَّحته وغيَّرته ؛ وفي التهذيب: وغَيَّرَتْ لونَه.

فعند خروج هذا الصوت من أجوافها وهي تركض في الصباح لا بد سيخرج البخار مع هذه الأصوات والأنفاس.

إذن فهذا الركض فوراً يصبح جريا ومشيا وصوتا.. وفيه نار أيضاً وشرار ومن جماليات استعمال الألفاظ: [والعاديات ضبحا] يبدو أن العدو في الاصل تجاوز الحد، و يسمى العدو عدوا لأنه يتجاوز الحد في معاملته، و منه العدوان لأنه تجاوز للحق، و السرعة القصوى في المشي تسمى عدوا لأنها ايضا تجاوز للحد. و هكذا قالوا في الخيل سميت العاديات لاشتقاقها من العدو، و هو تباعد الأرجل في سرعة المشي

اما الضبح، فقالوا: انه التنفس بقوة، و قيل: انه حمحمة الخيل، و الأقرب عندي: تغير الحال أو تغير اللون، و يقال: انضبح لونه إذا تغير، و لعله لذلك يسمى الرماد ضبحا لأنه يتغير

لونه من أصله، وإنما تسمى الخيل ضابحة إذا تغير من العدو حالها مما ظهر على لونها وتنفسها و حمحمة صوتها

كانت الخيل تعدو بسرعة، و لكن من دون صهيل، و كانت الحركة في الليل - فيما يبدو - حيث تتطاير الشرر من حوافرها التي تحتك بالحصى، مما يظهر أن الارض كانت وعرة، فجاء السياق يقسم بها و هي تنساب بين الصخور في رحم الظلام.

[فالموريات قدحا] عندما يركض هذا الحصان أو هذه الخيل المنطلقة للمعركة تنقدح الأرض تحت حوافرها من شدة الركض وقوة الانطلاق فيتطاير الشرر من تحت الأقدام والفاعل في قدح هذا الشرر هو الخيل نفسها من قوة حوافرها وسرعة انطلاقها،، كما ينبيك هذا عن وعورة الأرض التي تستجيب لهذا الركض القوي بأن تنقدح شررا من تحت هذه الحوافر، وعندما نقول وعورة الأرض في وصف هجوم مباغت في معركة تتخيل أن المهاجمين سلكوا طريقا لا عيون عليها وعرة تحقق عنصر المباغتة، وهو ما يخدم النص، إذ عادة ما تكون الطرق التي تؤدي إلى مرابع القوم ممهدة وغيرها غير ذلك. [فَالـمُورِياتِ] توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها [قَدْحاً] قادحات صاكات بحوافرها الحجارة. والقدح: الصك. والإيراء: إخراج النار. تقول: قدح فأورى، وقدح فأصلد،[فالمغيرات صبحا]: وقت إغارتها على العدو هو الصباح الباكر وما فيه من عنصر المباغتة ومعنى الإغارة في اللغة الإسراع، يقال: أغار إذا أسرع وكانت العرب في الجاهلية تقول: أشرق ثبير كيما نغير. أي نسرع في الإفاضة. [فأثرن به نقعا] عندما توسطت جموع ومرابع العدو في أرضه وعقر داره صبحا أثرن النقع أي الغبار والغبار يسمى نقعاً لارتفاعه، وقيل: هو من النقع في الماء، فكأن صاحب الغبار غاص فيه، كما يغوص الرجل في الماء.

فتتخيل هنا قوما نائمين باغتهم عدوهم وهم في غفلة من أمرهم وتوسط بخيله مرابعهم وأثار الغبار في وسط المرابع والشرر يتطاير والأنفاس تلهث ويتصاعد البخار من الخيل التي تعدو وهي تحمحم ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح، من قوله عليه الصلاة والسلام "ما لم يكن نقع ولا لقلقة" وقول لبيد: فَمَتَى يَنْقَعْ صُراخٌ صَادِقِ أي: فهيجن في المغاز عليهم صياحاً وجلبة. وهذا يعطي بعدا صوتيا آخر تسمع صراخ النساء الثكالى والخائفات وعويل الأطفال المباغتين. [فوسطن به جمعا] أي توسطت جموع العدو وقت الصبح وباغتتهم صورة معركة كاملة من ألفها إلى يائها في عشر كلمات تثير الخيال لترى:

الألوان:

الشرار المنقدح، والبخار المتصاعد من الخيل، والغبار، والصبح الذي محت بشائره الأغبرة المتصاعدة من أرض المعركة،، والخيل التي تغير لونها من جراء العدو الشديد

الموسيقى:

ترى وقع الخيل وحركتها في فاصلة كل آية:

[ضبحا]

[قدحا]

[صبحا]

[نقعا]

[جمعا]

لو قرأتها كما ركض الخيل لرأيتها تحاكي ركض الخيل

بل إن كل آية تحاكي طريقة الحصان في الجري:

[والعاديات ضبحا]

انبساط فانقباض كخيل تطوي أرجلها مجمعة إياها معا ثم ترسلها مسرعة في حركة الخيل ويا ليتك معي لأسمعك كيف تقرأها وتتحسس موسيقيتها المحاكية لركض الخيل لاحظ كذلك أمرين:

أولهما: العاديات فيها مد طبيعي حركتين ثم قدحا كأنما تخطف الكلمة خطفا، وهذا يجسد ركض الخيل بدقة

وثانيهما : أن هذه الآيات التي تصف العدو والهجوم وتوسط مرابع العدو جاءت خاطفة سريعه تستثير الخيال وتسرع في الانتقال من مسهد إلى مشهد أو لنقل من عنصر من عناصر الصورة إلى عنصر، بينما ما جاء بعدها من آيات كلها تحوي المد لأنها موضع تأمل

إن اللإنسان لربه لكنووووود

وإنه على ذلك لشهيـيـيـيـيد

وإنه لحب الخير لشديـيـيـيـيد

فهذه المعاني تتطلب التأمل فتقرأها على نهل لتحس بها

ثم من الموسيقى أيضا ائتلاف الكلمات وتناسقها الرهيب

[فالموريات قدحا]

[فأثرن به نقعا]

لاحظ أن إثارة النقع تناسب كلمة أثرن به نقعا كلمة النقع

وحسن اختيار كلمة أثرن ولم يقل فهيجن به النقع مع أن معنى الكلمتين واحد يقال أثرت الثور أو هيجته

ولاحظ ما في كلمة أثرن من جمال كأنها تعمل ثورة في قلب هذا الغبار لتستخرج مكنوناته وتثيره ليرتفع للأعلى ليزيد من مأساة القوم المباغتين

ثم إن استعمال القسم على صورة اسم الفاعل له من الجمال ما لا يخفى

فإن قلت: علام عطف[فأثرن؟]قلت: على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه؛ لأنّ المعنى: واللاتي عدون فأورين، فأغرن فأثرن.

[والعاديات]

الواو للقسم،، العاديات قسم بصورة اسم الفاعل، أو لنقل الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه،، العاديات أي التي تعدو: فالقسم: والخيل اللاتي عدون...الخ

واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به، ذكر المقسم عليه وهو أمور ثلاثة:

[إن الإنسان لربه لكنود]

[وإنه على ذلك لشهيد]

[وإنه لحب الخير لشديد]

فأثرن: الفاء فاء العطف، العطف على ماذا؟ أثرن: نحن ليس عندنا فعل مسبق، عندنا:

والعاديات ضَبحا، فالموريات قَدحا، فالمغِيرات صُبحا..

فأثرن عطف على ماذا؟ باعتبار أنه اسم الفاعل يقوم مقام الفعل، يعني: فأورين قدحاً (العاديات)، أورين قدحا وأغرن صبحا فأثرن نقعا.. أليس كذلك؟ على اعتبار أنه فعل واسم فاعل، وكل واحد يقوم مقام الآخر بالنسبة للعكس، فأثرن به نقعا بأي شيء؟ ضمير، ومرجع الضمير معناه مثلما يقولون، يعني: فأثرن بالإيراء والعدْو والغارة (بهذه الأعمال التي حصلت).. أثرن بهذا الشيء نقعا

هذا من جماليات القسم الذي قام اسم الفاعل فيه مقام الفعل

فلك أن تتخيل هذا الغبار والنقع الذي تثيره خيل تعدو تصهل وتغير

كم سيكون في مقدور العدو أن يستعد للحرب؟

مباغتة وهذا المشهد الصاخب المثير!!

البلاغة أن يترك لخيالك العنان أن تتفكر وتقدر وتتصور ما سيحصل بعد ذلك

لا أن يأتي لك بالكلام مقولبا جاهزا

البلاغة أن يستثير انفعالاتك وإحساسك ومخيلتك بأسلوب رهيب

فالألوان والموسيقى والمشهد كل ذلك يعتبر قطعه فنية بالغة الروعة والدقة

كذلك من كنوز الآيات التي يجدر بنا الوقوف عليها:

أنه تعالى إنما أقسم بالخيل لأن لها في العدو من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، فإنها تصلح للطلب والهرب والكر والفر، فإذا ظننت أن النفع في الطلب عدوت إلى الخصم لتفوز بالغنيمة، وإذا ظننت أن المصلحة في الهرب قدرت على أشد العدو، ولا شك أن السلامة إحدى الغنيمتين، فأقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين،

وفيه تنبيه على أن الإنسان يجب عليه أن يمسكه لا للزينة والتفاخر، بل لهذه المنفعة، وقد نبه تعالى على هذا المعنى في قوله:

[وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً] فأدخل لام التعليل على الركوب وما أدخله على الزينة.

[فالموريات قدحا] وقال مقاتل: يعني الخيل تقدحن بحوافرهن في الحجارة ناراً كنار الحباحب والحباحب اسم رجل كان بخيلاً لا يوقد النار إلا إذا نام الناس، فإذا انتبه أحد أطفأ ناره لئلا ينتفع بها أحد. فشبهت هذه النار التي تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التي لم يكن فيها نفع

وقيل: هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة، روي ذلك عن ابن عباس، ويقال: لأقدحن لك ثم لأورين لك، أي لأهيجن عليك شراً وحرباً، وقيل: هو المكر إلا أنه مكر بإيقاد النار ليراهم العدو كثيراً، ومن عادة العرب عند الغزو إذا قربوا من العدو أن يوقدوا نيراناً كثيرة، لكي إذا نظر العدو إليهم ظنهم كثيراً وسادسها: قال عكرمة: الموريات قدحاً الأسنة. وهذا يعطينا بعدا آخر لوصف هذه المعركة يتضمن التخطيط والمكر والخديعة. طبعا سياق الآيات يكتمل بمعرفة ما يأتي بعدها إن الانسان لربه لكنود السورة ويكفي هذا مقارنة بين عشر كلمات صورت معركة كاملة وبين بيت أحد أشعر شعراء العرب المفلقين

وعموما ما ذكرته هو غيض من فيض مما تناوله الاستاذ محمد المبارك رحمه الله في كتاب عن التصوير الفني في القرآن ومن تفسير الزمخشري والرازي وغيرهما فمزج الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية أن يأتي بك وقد استثار خيالاتك ووضعك في أجواء بلاغية راقية

ليقول لك بعد ذلك

[إن الإنسان لربه لكنود]... الآيات وما فيها من تفكر وتدبر

ثم بعد ذلك: [أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور]

تأمل الفعل بعثر

هؤلاء الأموات الذين في قبورهم تبعثر محتويات هذه القبور لإخراجها إلى البعث وما فيذلك التصوير من هول وتخويف

[وحصل ما في الصدور]

كأنه لا يبقي ولا يذر فيأتي على كل صغيرة وكبيرة في هذه الصدور ليحصلها تحصيلا

[إن ربهم بهم يومئذ لخبير]

خبير كيف يحاسبهم وأين يضعهم

فهنا مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية جلي واضح

الغاية من هذه الصورة تخويف الناس من عاقبة أعمالهم وأنها ستحصى عليهم تحصل تحصيلا

وأن مآلهم إلى القبور حتى إذا كانوا فيها بعثرت من حولهم ليقوموا للحساب.

بقي أن نضع أيدينا على أهم معالم البحث:

فاعلم أن مزج الطاقةالعربية بالطاقة الاسلامية إنما يكون على محورين:

أولهما الخصائص المشتركة بين العربية والاسلام

وثانيهما أن تكون العربية هي المعبرة عن الاسلام

أما الاولى فالناظر يرى أن الاسلام يمتاز بخصائص ثلاث (من ضمن خصائصه) وهي التأثير والتوسع والانتشار

أما التأثير في الاسلام، فالاسلام أولا عقيدة عقلية وبالتالي فلديه لكل سؤال جواب ولكل عقدة من العقد الكبرى التي تؤرق الانسان في رحلته في هذه الحياة الدنيا حل، وهذا الحل يقوم على العقل وعلى إقناع العقل وعلى خطاب العقل ليتفكر ويتدبر ويخرج بالنتيجة ثم بعد ذلك هذه العقيدة مبنية على العقل أي أنها توافق الفطرة ولا تعارضها فهي تؤثر أيضا من هذه الناحية فلا تكبت الغرائز ولا تطلقها وتشبع الجوعات بما يترك الانسان مطمئنا

والاسلام مؤثر أيضا كونه يرعى شئون الناس في الحياة بنظام عادل فريد يبث الطمأنينة في المجتمع ولا يدع الانسان يتخبط تحت رحمة المشرعين وأصحاب الأهواء يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام فإذا ما نظر المرء في شرائع الاسلام وجد الخير كل الخير والهدى والرحمة والحكمة والاسلام مؤثر أيضا في أنه لا يترك الناس في هذه الحياة الدنيا فوضى لا يضبطهم بقانون يردعهم في الدنيا وعقاب في الآخرة وكذا لا يترك المحسن بلا جزاء على فعله في الدنيا والآخرة

وهذا يضمن للانسان أن يكون لديه فيه منه وازع داخلي يسير معه أينما سار والاسلام مؤثر حتى في معاملته لرعاياه ممن لم يدخلوا دينه فقد ضمن لهم معاملة كمعاملة المسلمين سواء بسواء أمام الدولة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمد كثيرا على هذا الأمر فتراه لما يقع بين يديه أحدهم يتركه بباب المسجد ثلاثة أيام يرى من خلالها تعامل المسلمين وصدق المسلمين وأخلاق المسلمين وسجاياهم

فلا يمضي عليه اليوم الثالث حتى يسأل عن طريقة الدخول في هذا الدين فإذا ما ضممنا لهذه الخاصية في الاسلام اللغة العربية لتنقل المفاهيم الاسلامية من عقائد وتشريعات ونظم وأخلاق ومواعظ وترغيبات وترهيبات باللغة العربية الجميلة الدقيقة،،، عندها ولا شك أن قوة هذه الأفكار ستظهر وتتجلى وتأثيرها في النفوس سيزداد

لاحظنا مثالا على ذلك كيف أن رب العزة سبحانه مهد لهذا الأعرابي البدوي ولمن خلفه من البشر إلى يوم الدين بمشهد الحرب المثير والإغارة على القوم في الصبح بالخيل العاديات إلى أن تنبهت كل حاسة في هذا السامع المتلقي جاءه بالأفكار العقدية الكبيرة بأداء لغوي فظيع بديع

[أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور]

وهكذا يكون مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية

الجانب الثاني من الاسلام هو الاتساع

فأما منظومة الفقه والتشريع فقد جاءت ابتداء لتخاطب الانسان بوصفه انسانا ووضعت المعالجات على هذا الأساس

والانسان هو هو إلى يوم الدين وبالتالي فكل ما سيطرأ عليه من تغييرات لا بد سيكون علاجها بناء على هذه المنظومة التشريعية الدقيقة

ولسنا بحاجة لوضع تشريع خاص إزاء كل فعل أو كل حاجة أو كل حادثة تطرأ في حياة كل شخص في الأرض

بل نعالج الانسان كإنسان غرائزه هي هي وحاجاته العضوية هي هي وما يتغير عليه من وسائل مادية لا تؤثر كثيرا في هذا التشريع بل إنك ستجد لها الأصل الذي تقيس عليه

ثم بعد ذلك أتى الفقه الاسلامي بألفاظ تحتمل أحيانا أكثر من معنى ويمكن أن تنزلها على أكثر من واقعة

تأمل مثلا كيف أن آية [ولكم في الحياة قصاص] يمكن أن تستنبط منها الأحكام الكثيرة وأن تبني عليها منظومة العقوبات

ومثلا [فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن] هذه الآية استنبط منها الفقهاء مجلدات في النظام الاقتصادي ومباحث الأجرة وما شابه

ومثلا [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا] هذه أخذنا منها قاعدة الوسيلة إلى الحرام محرمة

وعلى هذه القاعدة تستطيع قياس ما لا حصر له من الأحكام الشرعية وهكذا

فالفقه الاسلامي من هذه الناحية جاء بأصول عمومية تستطيع أن تنزلها على وقائع لا حصر لها تفي بالتغيرات التي تطرأ في حياة الناس إلى يوم الدين

أمر آخر أن بعض الأحكام جاءت معللة وبالتالي فيقاس عليها كل ما اجتمع معها في العلة ذاتها

وهكذا فمن هنا كان التوسع في الفقه الاسلامي والذي أعطاه هذه الميزة بالدرجة الأولى هو قدرات هذه اللغة العربية على أن تقوم ألفاظها ومعاني هذه الألفاظ ومجازاتها واستعاراتها وما إلى ذلك بهذا الدور خير قيام

ولو أنك أردت أن تصوغ الاسلام كاملا بلغة أخرى غير العربية لاحتجت إلى كتب مدادها البحور السبعة ولا تنقضي

كل هذا اختزلته اللغة العربية بصفحات معدودة وعبارات المعاني فيها تتوالد من معاني والوقائع فيها تتنزل عليها النصوص بردا وسلاما

ومن التوسع في الاسلام أيضا أن الأفكار المبنية على العقيدة أو المتعلقة بالاعتقاد كذلك جاءت بألفاظ تحتمل معاني فينشأ عن ذلك المذاهب الفكرية المتعددة وهي ظاهرة

صحية لولا أن البعض اشتط فيها وخرج عن الأصول وأخضع الظني للقطعي والقطعي خلطه بالظني

ولو أن الفرق والمذاهب انطلقت في حياض العقل وما يمكنه التفكير فيه والظن ومجاله والقطع ومجاله لكانت الفرق الاسلامية التي أنتجت هذا التراث الفكري الضخم أعظم أثرا في نشر هذا الدين وتجلية حقائقه

ومن التوسع في هذا الدين
أن هذا الدين متين
فأوغلوا فيه برفق
فإن المنبت لا أرضا قطع
ولا ظهرا أبقى
كما قال عليه السلام

من التوسع في الدين أن ترى أكثر من خمسمائة مجلد في الفقه الحنفي في مكتبة واحدة

من أين جاءت كل هذه الأحكام والآراء التي كلها ترد إلى الكتاب والسنة!!!

من التوسع في الدين أنك قد تأتي على مفهوم من مفاهيم الاسلام وتطرقه فتخرج بفهم لم يخرج به أحد من قبلك على كثرة المشتغلين بهذا الفن وهذا العلم وما زال المجتهدون ينزلون أحكام الدين على الوقائع

وما زال المفكرون ينتجون النتاج الفكري الجميل الذي لا نظير له وكل هذا وغيره الكثير ترى أن اللغة العربية لعبت الدور الحاسم الهام بامتزاج الاسلام بها وبأنها المعبرة عن الاسلام

وأما الانتشار فالاسلام بهذه الخصائص وهذا العمق وهذا الطرح وهذه الربانية تراه ينتشر بسهولة يدخل القلوب بلا استئذان ، ويفتح للنور أعينا عميا ، ويسمع بهمس الحق آذانا صما ، ويجلو التراب عن قلوب غلف فتتعلق به أكثر من المولود مسلما ولم يتذوق طعم الاسلام بعد الجاهلية!!

وتمتزج خاصية الانتشار في اللغة بخاصية الانتشار في الاسلام خصوصا بوجود الدولة الاسلامية التي تحسن مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية فتنشر الاسلام وتنشر اللغة العربية

وأما الصعيد الثاني فأن تكون العربية المعبرة عن الاسلام وبذا يحصل المزج وقد أشبعنا هذه المسألة بحثا

فهذه هي قضية مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية
وهذا هو سبيل فهم الاسلام الفهم الدقيق
وهذا سبيل النهوض بالمسلمين لاقتعاد ذروة المجد التي يستحقون

اللهم ما كان في هذا البحث من حق فمنك وحدك أحمدك عليه
وما كان من خطأ فمن نفسي الأمارة بالسوء ومن الشيطان أستغفرك عليه
رب اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات يوم يقوم الحساب

خاتمة ..

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣
مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ
غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

آمين

اللهم صل وسلم وبارك على خير خلقك نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم صلاة أهل السموات والأرضين عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أمورنا بفضل رحمتك وكرمك ولطفك يا كريم.

اللهم إني أسألك بك يا رب العالمين، أسألك باسمك الأعظم الذي إن سئلت به أجبت، وإن استغفرت به غفرت، وإن استرحمت به رحمت، وإن استشفيت به شفيت، يا مجيب دعوة الداعين:

أسألك يا رب بك يا أيها الذي ليسَ إلّاهُ ربٌ يُدعى، سألتك يا مالك حوائج السائلين الذي يُعطِي إذا سُئل، ولا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما، وعلى كثرة الإلحاح إلا تفضلا وإحسانًا، يأتيه المُثقَلُ بالهموم شاكيا، فيفرج كرباته، والغارق في الذنوب مستغفرا، فيغفر زلاته، والمستيئس من النجاة، فيمد له يد نجاته، إذا أساءت العباد حَلِمَ وأمْهَلَ، وإن أحسنوا تفضلَ وقَبِلَ وإن عصوا ستر، وإن أذنبوا عفا وغفر، وإذا دعوه أجاب، فكان أقرب إليهم من حبل وريدهم، وأرحم بهم من والدهم على وليدهم، وإذا نادوه سمعهم، وإذا أقبلوا عليه أسرع

إليهم، من تقرب إليه بشبر قربه ذراعا، ومن أتاه يمشي أسرع إليه هرولة، وإذا ولَّوا عنهُ تكرم وتفضل ودعاهم، ولم يوصد بابه أمامهم، شديد العقاب، وهو الغفور الرحيم، لكل مُسترحمٍ لديه رحمة، ولكل راغبٍ إليه زُلفى، تتابعت نعمه وآلاؤه، حتى اطمأنت الأنفس بتتابعها، وتظاهرت المنن منه حتى اعترف أولياؤه بالتقصير عن حقه، أسبغ نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، سألتك بمن تظاهرت العِبَرُ حتى نطقت الصوامتُ بحجته، ودل كل ما كُتب على صفحة نجوم السماء، وحبات رمل أديم الأرض على عظيم قدرته، وأظهر من الآيات حتى أفصحت السماوات والأرضون بأدلته، وقهر بعظيم قدرته حتى خضع كل شيء لعزته وعنت الوجوه لعظمته .

سألتك يا اللّه بك أن تنزل علينا شآبيب رحمتك، وأن تتقبل أعمالنا وان تجعلها خالصة لوجهك، وان تستر علينا في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك لنا وللمسلمين أجمعين من خير ما سألك الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون، وأعوذ بك لهم ولنا من شر ما استعاذ بك منه الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون

أسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد خير خلقك، وعلى آله وصحبه وسلم صلاة أهل السموات والأرضين عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أمورنا

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

الحمد للّه على نعمائه، ونسأله تعالى أن يكون أجرى الحق على ألسنتنا وبأيدينا، وأن يكون عصمنا من الزلل، وأن يتجاوز عنا برحمته، وفضله، وكرمه، فإنا واللّه لذاته العلية محبون، على ما فينا من التقصير، والشرود عن الجادة، والانغماس في الدنيا، ومع أن هذا كله يدل على تقصير من جانب المحب، إلا أننا نسأله تعالى أن لا يكون حبنا له ادعاء،

أنا مذنب أنا مخطىء أنا عاصي ... هو غافر هو راحم هو عافي
قابلتهن ثلاثة بثلاثة ... وستغلبن أوصافه أوصافي

حدثنا المزني قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبدالله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولاخواني مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلى الله واردا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها، أو إلى نار فأعزيها، ثم بكى، وأنشأ يقول[١١]:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي وإن كنتُ -يا ذا المنِّ والجود- مجرماً
ولَّما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوكَ سُلّمَا
تعاظمني ذنبي فلَّما قرنته بعفوك ربي كانَ عفوكَ أعظما
فَمَا زلْتَ ذَا عفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
فلولاكَ لم يصمد لإبليسَ عابدٌ فكيفَ وقد أغوى صَفيَّكَ آدما
فإن تعفُ عني تعفُ عن متمردٍ ظَلُومٍ غَشُومٍ لا يزايلُ مأثما
وإن تنتقمْ مني فلستُ بآيسٍ ولو أدخلوا نفسي بجُرْمٍ جهنَّما
فَلِلَّهِ درُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إنَّهُ تفيض لِفَرطِ الْوَجْدِ أجفانُهُ دَمَا
يُقِيمُ إذَا مَا الليلُ مَدَّ ظَلاَمَهُ على نفسهِ من شدَّةِ الخوفِ مأتما
فَصِيحاً إذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ وَفِي مَا سِواهُ فِي الْوَرَى كَانَ أعْجَمَا
ويذكرُ أياماً مضت من شبابهِ وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أجْرَمَا
فَصَارَ قَرِينَ الهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ أخا السُّهدِ والنَّجوى إذا الليلُ أظلما
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي كفى بكَ للراجينَ سؤلاً ومغنما
ألستَ الذِّي غذيتني وهديتني وَلاَ زلْتَ مَنَّاناً عَلَيَّ وَمُنْعِمَا
عَسَى مَنْ لَهُ الإحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتي ويسترُ أوزاري وما قد تقدما
حَواليَّ فضلُ اللَّه من كل جانب ونورٌ من الرحمن يفترش السَّمَا
وفي القلب إشراقُ المحبِّ بوصلِهِ إذا قارب البشرى وجاز إلى الحمى
حواليَّ إيناسٌ من اللَّه وحده يطالعني في ظلمة القبر أنجما
أصونُ ودادي أن يدنسه الهوى وأحفظ عهد الحبِّ أن يتثلما
ففي يقظتي شوقٌ وفي غفوتي مُنًى تلاحق خطوي نشوة وترنُّما
ومن يعتصم باللَّه يسلم من الورى ومن يَرْجُهُ هيهات أن يتندَّما

١١ روى المزني بعض هذه الأبيات، وألحقت بها باقي القصيدة من مراجع أخرى.

كذلك ونسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، صائبة، خالية من حب الشهرة، وحب الذكر، وأن لا يكون نصيبنا منها إلا الخير في الدنيا والآخرة، وأن يغفر بفضله لسادتنا العلماء، ولمن أخذنا عنهم هذا الدين العظيم، وأن لا يجعل في صدورنا غلا للذين آمنوا، فإنا واللّه نحب المسلمين، ونحب لهم الخير، ونحب لهم أن يجتمعوا على ما جمع اللّه عليه قلوب من لو أنفق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما في الأرض جميعا، ما ألف بين قلوبهم، ولكن اللّه ألف بينهم، فاللهم ألف بين قلوب المسلمين واجمعهم على محبتك وطاعتك وحسن الإيمان بك، وحَسَنِ العمل الخالص لوجهك الكريم.

وبعد، فهذا ما اجتهدنا فيه في هذه المسألة ، وهو جهد المقل، وللمسلم على المسلم حق النصح، فمن أراد مخاطبتي وأداء واجب النصح لي على زلة غير مقصودة، أو رأي مرجوح، أو استفسار عن شيء من ذلك، فعليه مكاتبتي على بريدي الالكتروني:

imammalek@hotmail.com

المراجع:

القرآن الكريم

أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم د. محمد حسين الصغير

تيسير الوصول إلى الاصول: المهندس عطا أبو الرشتة

الشخصية الاسلامية الجزء الثالث: تقي الدين النبهاني

مجاز القرآن د. محمد حسين الصغير

التصوير الفني في القرآن سيد قطب

المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير

موقع الدكتور سالم الخماش المسمى لسان العرب

الكشاف للزمخشري

التفسير الكبير للرازي

تفسير الطبري

تفسير ابن عاشور

نحو تأصيل مفهوم شرعي للايمان

مفهوم الظن في القرآن الكريم وعلاقته باليقين

مفاهيم حزب التحرير

القاموس المحيط للفيروزأبادي

لسان العرب لابن منظور

إعجاز القران الكريم.د.فضل حسن عباس. سناء فضل عباس

الشخصية الاسلامية الجزء الأول لتقي الدين النبهاني

المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي

موقع الامام محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

إرشاد الفحول للشوكاني

فقه اللغة وسر العربية للثعالبي

مجموع الفتاوى. ابن تيمية

البيان والتبيين للجاحظ

وأنوه إلى أنني كثيرا ما تصرفت في النصوص المقتبسة منها تصرفا كبيرا لحاجة تماسك البحث

اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك.